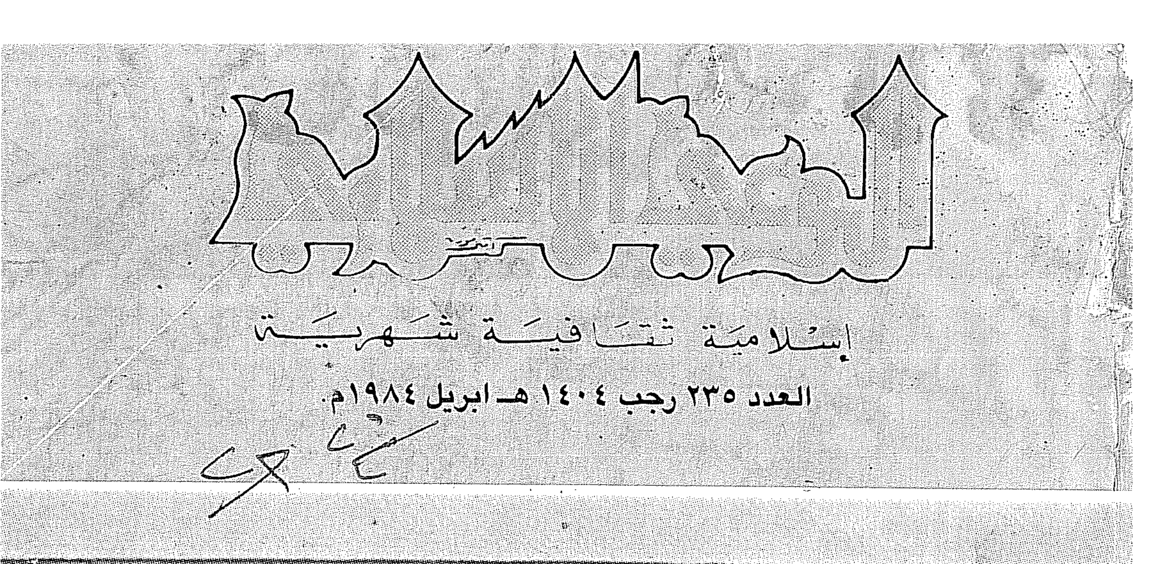
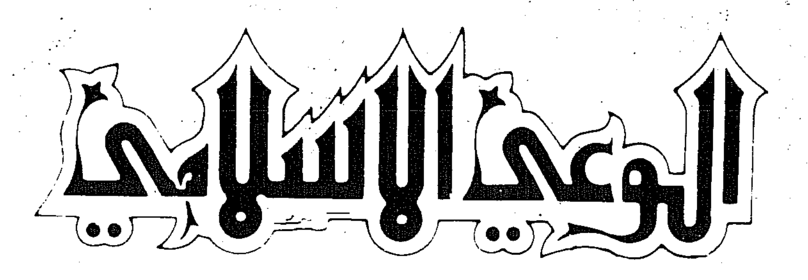


إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٣٥ رجب ١٤٠٤ هـ ابريل ١٩٨٤م

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان


فلذلك فادع
واستقم كما أمرت
ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب
الشورى : ١٥
١٣٨٢



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٣٥ / رجب ١٤٠٤ هـ . (ابريل - مايو) ١٩٨٤ م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ - ٢٤٦٦٣٠٠

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش .م .ل)
ص .ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي

بسم الله الرحمن الرحيم



وأن الفرج مع الكرب

من آيات الله الكونية أن يبدد ظلمة الليل بإطلالة فجر ينير الدنيا ويبعث الحركة وينشر الضياء ، وبذلك يعلم الناس أن الله بيده ملكوت كل شيء ، وأنه لا أحد يكشف الضر سواه ، وأنه القادر على تفريج الكرب بعد استحكام حلقات الهم والضيق والمعاناة وصدق الله تعالى إذ يقول : (**أَمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون**) ٦٢/سورة النمل .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهض داعيا إلى الله ولم يكن طريق الدعوة مفروشا بالزهور والرياحين بل كان محفوفا بالمكاره والصعاب في وقت عَمَّ فيه الفساد واختلت موازين القيم وضلت سفينة الحياة طريقها وسط عواصف تنذر بالخطر ومن أجل القضاء على الدعوة الجديدة في مهدها تحالفت قوى البغي والشر ، وأخذت الأحداث الجسام تواجه الرسول الكريم وهي تتوالى من قومه ومن بعض أهله ، وكان يحس بعمق الجرح في قلبه كلما رأى من آمن به يواجه التعذيب الوحشي البشع وظل الرسول ماضيا في دعوته لا يبالي بسخرية الساخرين وسفاهة المكذبين ولكن وسائل الكيد له وللدعوة أدت إلى إعلان حرب الحصار والمقاطعة ، فجمع عبد المطلب زعيم بني هاشم أهله وانحاز بهم إلى شعب سمي شعب أبي طالب واستمر حصار قريش لهم نحو ثلاث سنين بلغ فيها الجهد بالمحاصرين غايته ولكنهم لم يضعفوا ولم يستكينوا حتى خرجوا من الحصار أقوى إيمانا وأصلب عودا

وأعظم ثقة بالله وبأنفسهم، وماكادت محنة الحصار تنتهي حتى تعرض النبي الكريم لامتحان جديد عصر قلبه بالحزن والضيق حيث فاجأته مصيبة الموت بفقد زوجته خديجة وعمه أبي طالب ، وكيف لا يحزن ! وقد وقفت خديجة رضي الله عنها بجانبه ربع قرن من الزمن تقاسمه متاعب الدعوة ومغارم الجهاد ، كما كان عمه أبو طالب درعا قويا يرد عنه الأذى ويشد أزره ويقول : يا ابن أخي أدعُ إلى ربك ما أحببت . وبفقدهما أصبحت قريش لا تهاب في محمد أحدا بعد ذلك . فرأى أن يتجه إلى الطائف لعله يجد هناك آذانا صاغية وقلوبا واعية ، ولأن بها قبيلة ثقيف التي لها وزن ومكانة في العرب وترتبط مع أخواله بنسب ومصاهرة ، فكانت قلوبهم أقسى من الحجارة التي استقبلوه بها ، وكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وعاد إلى مكة بخطوات يثقلها الهَمّ وقلب يعصره الألم ، ويشتد الكرب ويبلغ الضيق مداه حيث لم يستطع أن يدخل مكة إلا في جوار رجل مشرك وفي هذا الظرف العصيب جاء تكريم الله لنبيه ومصطفاه بالإسراء والمعراج ، وانتقل ضيف السماء من جو أرضي خانق إلى عالم الإشراق والنور، وبعد أن رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى عاد يتابع مسيرة الدعوة بإيمان لا حَدّ له ويقين لا يقبل الشك بأن كل يوم يمر هو خطوة على طريق النصر القريب . وكما جاءت معجزة الإسراء والمعراج تكريما للنبي وتفريجا لكربه وبلسما لجراحه وتثبيتا لقلبه ، فقد نزلت آية الإسراء بردا وسلاما على قلوب المؤمنين وهي تحمل البشرى بأن هذا البيت الذي لايستطيعون أن يعلنوا فيه عبادتهم سيكون مثابة وأمنا ومسجدا حراما تخلص فيه العبادة لله وحده ، وأن الاسلام سيمتد إلى أرض الشام ، وأن خرائب الرومان في بيت المقدس ستتحول إلى مسجد أقصى يبارك الله حوله وتعلو فيه كلمة التوحيد من جديد ، ومعلوم أن وقت نزول آية الإسراء لم يكن في مكة مسجد حرام بالمعنى المعروف ولا في الشام مسجد أقصى على الوجه المألوف ، ولكن الآية تصرح بالمسجدين بعثا للأمل وتأكيدا للبشرى وتحريضا للمؤمنين على مواصلة الجهاد حتى يأتي وعد الله . وبفتح مكة تحرر المسجد الحرام وتهاوت أصنام الشرك تحت مطارق الايمان ، وعلى يد عمر رضي الله عنه تم تطهير المسجد الأقصى وصدق الله وعده وزاد المؤمنون إيمانا بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأنهم ما داموا مع الله فلن تستطيع قوة في الأرض أن تقهرهم أو تطفيء نور الله وصدق الحق سبحانه إذ يقول : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**) الآية ٤٠/سورة الحج .

قبل المحنة الأخيرة والنكبة المعاصرة بعدة قرون، تعرض المسجد الأقصى

لعدوان صليبي آثم ، وبقي في قبضة الصليبيين ، إلى أن برز من صفوف المسلمين البطل المؤمن صلاح الدين وفي موقعة (حطين) قهر الغزاة وطهّر مسرى رسول الله وحرر مهد الرسالات وخلص جيش المسلمين القدس في اليوم السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣ هـ ، وكما يقول المؤرخون كان يوم جمعة وفيه احتفل بليلة الإسراء والمعراج ، وسجد صلاح الدين لله شكرا وسط تكبير يهز الأرجاء ويملأ سمع الزمن بأن الحق أمضى سلاح ينتصر على الباطل وإن طال الصراع . وانطلق صوت الأذان في سماء الأقصى من جديد تتجاوب أصداؤه في الآفاق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهكذا صان الله مسجده من العبث الصليبي وفك إساره في مثل هذا الشهر المحرَّم كما تنبأ الشعراء والقضاة بفتح القدس على يد صلاح الدين في رجب وقال قائلهم :

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

هذا النصر الكريم الذي أعزّ به الله المسلمين وقهر الطغاة المعتدين أذهل العالم في شرق الدنيا وغربها ، وتناوله المؤرخون والباحثون بالدرس والتأمل ، وانتهت أبحاثهم إلى أن المسلمين تنبهوا إلى أسباب النصر فأخذوا بها أنفسهم عقيدة وسلوكا .

اتجهوا جميعا إلى الصفاء النفسي والسمو الروحي والتزموا بتقوى الله . التزم بها القائد فصلح أمره وإذا صلح أمر القائد صلح أمر الرعية وقبل أن يخوض معركة التحرير طبق أحكام الاسلام وأعلن الحرب على كل منكر وأغلق أندية اللهو وحانات الخمر ، واهتم ببيوت العبادة ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم وتكريم العلماء ، وخلّص الأمة من كل ما يخدش الفضيلة أو يجرح الحياء ودرّب الجيش على منهج التقوى وأوصاهم بما أوصى به سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيدنا سعد بن أبي وقاص وقد وجهه إلى فتح فارس كتب إليه عهدا جاء فيه : « **أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب و آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ....** » وبعد اطمئنانه لسلاح الإيمان اهتم بالاستعداد الحربي وهيأ أسباب القوة المادية لتعمل بجانب القوة المعنوية فشيد القلاع والحصون وبنى السفن والأساطيل وأعد الخيل وطور أسلحة القتال عملا بقول الله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به**

عدو الله وعدوكم ..) الآية ٦٠/الأنفال .

بجانب هذا كان من العوامل المؤثرة في قضية نصر المسلم أنهم توافدوا من كل بلد مسلم من أجل إعلاء كلمة الله وجاءوا مؤمنين بأنهم أبناء عقيدة واحدة ، يؤلف بينهم الاسلام ، ويجمعهم في الآلام والآمال ، وتحت لواء الوحدة الاسلامية انضمت كتائب الحق في جيش تحرك من أجل المقدسات الاسلامية دون اعتبار للجنس أو اللون أو الوطن كما قال الشاعر :

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنا   الشام فيه ووادي النيـل سيان
وكلمـا ذُكر اسم اللـه في بلـد   عددت أرجاءه من لب أوطـاني

وعلى هذا فقضية فلسطين ليست قضية العرب وحدهم ، وإنما هي قضية المسلمين جميعا أينما حلوا وحيثما ارتحلوا . وصدق الله العظيم : (**إنما المؤمنون إخوة)** الحجرات/ ١٠ بل هو واجب المسلمين تجاه كل عدوان ضد الإسلام وأمته على امتداد الزمان والمكان ..

نعم انتصر المسلمون بالأمس في موقعة حطين على أقوى أمم الأرض حين حكموا بالإسلام وشريعته ، ولم يستوردوا لحكمهم أنظمة شرقية أو دساتير غربية وحين اعتمدوا على الله ولم يطلبوا النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

انتصروا بوحدة الكلمة وجمع الصفوف وترابط القلوب لم يخوضوا المعركة باسم شعارات مستوردة . لم ينقسموا على أنفسهم ولم يسمحوا للفتن أن تتسلل إليهم ولا للمطامع والأحقاد أن تدمر قواهم وتذهب ريحهم ، بل كانوا مع الله فكان الله معهم وحرروا أرض الإسراء في عِزة وإباء .

وإذا كان وعد بلفور المشئوم قد فتح الباب مرة أخرى لغزو يهودي حاقد احتلوا به الأرض والمقدسات ، فإن أمر هذا الغزو لن يطول . وإن تكن قوى الغدر قد تحالفت ضدنا فليل الغدر لا بقاء له ، وعقب التناهي في الضيق يأتي نصر الله وعونه ، وذلك إذا سرنا على منهج الله واحتكمنا إلى كتابه وجاهدنا في الله حق جهاده ، يومئذ يتحرر الأقصى من جديد وندخل التاريخ من أوسع أبوابه ويعود الغريب إلى وطنه وتعود الحمائم المهاجرة إلى السقوف الطاهرة .

ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

رئيس التحرير

حسن مناع

من أدب القرآن

للاستاذ / عبدالغني أحمد ناجي

تتفاوت الفضائل في دنيا البشر بين الضآلة والشموخ ، ولكن لا مراء في ان قمة الفضائل الانسانية هو ارتياح النفس البشرية للمعروف يسدي الى الغير ، وللسخاء بشتى صنوف الخير والبر ، وهو ما يعرف بالأريحية .

ولما كان الناس يألفون ذا الأريحية في الحياة وينجذبون اليه ايلافهم ينابيع السعادة ، وانجذابهم لشذى الرياحين ـ ارشد الدين الى التحلي بالأريحية لكونها دعامة الأخوة الندية التي تعتبر الهدف الأسمى لتعاليمه وتوجيهاته ، او قل لفروضه وواجباته .

وحينما نقرأ كتاب الله تعالى نجد الآيات تترى لتؤكد تلك الأريحية وتوصي بالتزامها حتى تغرس في أعماق النفس لتسير بها في رياض الخير والمعروف ، وتجعل الناس في الحياة ملائكة تسعى على البسيطة بعد اقتلاع الشح والكزازة ، والغل الموار ، والأنانية الطاغية .

وإن من يقرأ **سورة الحديد** من القرآن الكريم يجد آياتها الكريمات تسلك كل سبيل يفوق أساليب البشر ـ لتأصيل الأريحية في نفوس البشر . فتبدأ السورة بقول الله تعالى : « **سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** » لترشدنا الى ان اهم دعائم الأريحية الانسانية أن ينزه الانسان ربه وخالقه عن كل نقص ، ويصفه بكل كمال ، ويعترف بأنه القوي الغالب ، وبأنه الحكيم في فعله ، وبهذا يكون الانسان قد انسلخ من غروره البشري الذي يعد العقبة

الإنسان بين الأريحية الإنسانية والكزازة البشرية في سورة الحديد

الكئود التي تصطدم بها الأريحية الانسانية ، فالأريحية والغرور لا يجتمعان لدى امرىء ابدا ، وقبل ان تبدأ الآيات في الدعوة الى الانفاق ـ الذي يعد لباب الأريحية ان كان عن طيب نفس وارتياح خاطر ـ تأخذ في التذكير بعدد من صفات الله تعالى التي يغرس التذكير بها فضيلة الأريحية في النفوس ، فالله مالك الملك بيده الأمر يحيي ويميت ، فلماذا تكز النفس وتشح بما أفاض الله عليها من نعم ، ولماذا الخشية من الاملاق الموهوم نتيجة السخاء والجود ، والله الذي امر بالعطاء قادر على الاغناء . فهو على كل شيء قدير ، وهو الأول السابق على سائر الموجودات فهو موجدها ، وكلها تفنى وهو الآخر الذي لا يبقى بعده شيء منها ، فلماذا التشبث بها وهي فانية زائلة ، ولماذا الانشغال بها عن موجدها القوي القادر الذي يفيض القدرة على من يشاء إن لجأ اليه واعتمد عليه فهو الظاهر بقدرته ، والباطن بجلاله عن أن يرى أو يشاهد إلا في آثاره ومخلوقاته ، وهو العليم ببواطن النفوس وخفايا الصدور ، يعلم الأريحية الحقة وبواعثها الندية ، تقول الآيات الكريمات من تلك السورة : « **له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها** .. » فهو منزل الأرزاق وأسبابها ، العليم بنوازع النفوس نحوها ، وهو مع عباده أينما كانوا يخلف عليهم ما أنفقوا ، ويثيبهم على ما قدموا ، فلماذا الكزازة بخيره على جهات البر التي أمر بايصال الخير إليها ـ وهو المالك لكل شيء ، والمانح كل شيء ، وإليه يرجع كل شيء : « **وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور** » وقد أظهرت هذه الآية الأخيرة لفظ

الجلالة مكان الضمير ، فكان السياق يقتضي الاضمار لا الاظهار فيقال : « واليه ترجع الأمور » لوجود لفظ الجلالة ظاهرا في أول السورة ، ولكن لما كان الخطاب لانسان يشح بطبعه لاخراجه عن شحه الطبعي الى أريحية ندية ـ ناسب أن تفهمه الآيات أن كل شيء في الحياة صائر وراجع الى الله ، وأن كل عمل ينبغي أن يرجع فيه صاحبه الى أمر الله ، واقتضى ذلك اظهار لفظ الجلالة مكان الضمير تأكيدا لذكره حتى يملأ على السامع كل جوانب نفسه فيرتاح لدعاء ربه ، ويطمئن قلبه لفعل الخير الذي يأمره به مادام كل شيء صائرا إليه .

ثم تأخذ الآيات في لفت نظر الانسان الى طبيعة الكون المتغيرة ، وتلفت الى أبرز مجالات التغيير المنتظم الذي لا يتخلف حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، فتلفت الى تعاقب الليل والنهار في الحياة ، وتنسب عمل التعاقب لقدرة الله القوي العزيز ، ليفهم الكاز الشحيح ان غناه لن يدوم ، وان فقر غيره في الجانب المقابل له ايضا لن يدوم ، فكما يتعاقب الليل والنهار تتعاقب احوال الناس في الدنيا لا محالة ، وكان اللفت الى تعاقب الليل والنهار للدلالة (والله اعلم بمراده) ـ الى ان تعاقب احوال العباد في الحياة امر محتوم لا يتخلف مادامت الحياة ، فلماذا اذن يفرح الواجدون فرحا يدعو الى الغرور والخيلاء ، ويحرمهم فضيلة البذل والعطاء ؟ ولماذا يأسى المحرومون أسى يحرمهم لذة الحياة ماداموا ضارعين الى الله الذي يهب كل شيء في الحياة ؟ فالعقل الحصيف والقلب الرؤوف لا يشمسان امام هذا التذكير والتخويف ، بل ينصاعان انصياعا يخلع الانسان من شحه وكزازته ، ويفتح امامه ينابيع سخائه وأريحيته ، تقول الآية المذكرة اللافتة : « **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور** » . وقد ذيلت ثلاث آيات من الآيات الست السابقة بالاشارة الى علم الله واطلاعه على خفايا الصدور ليكون السائرون في دروب الأريحية سائرين باخلاص وطواعية حتى تتأصل لديهم تلك الفضيلة السامية ، يقول الله تعالى في تذييل الآية الثالثة : « .. وهو بكل شيء عليم » ، وفي ختام الرابعة : « .. والله بما تعملون بصير » وفي نهاية السادسة : « .. وهو عليم بذات الصدور » .

بعد هذا التمهيد الذي بدئت به سورة الحديد ، والذي استغرق ست آيات كانت كمفاتيح المغاليق ، او كالمنارات الهادية لأقوم طريق ـ تتوالى الآيات الجاذبة بشتى الأساليب الى الأريحية الانسانية الموصدة منافذ الكزازة والشح ، فتجيء الآية السابعة صريحة في الأمر بالانفاق ، واضعة اياه بعد الأمر بالايمان بالله ورسوله ، وكأن الايمان لا يكمل الا بذلك الانفاق ، او لأن الانفاق آية كمال الايمان وأمارته ، فهو المجال الحيوي الذي يبرز فيه ما في القلب من ايمان صادق ، أو هو الزاوية التطبيقية

لأنوار الايمان التي تسطع فتضيء جوانب النفس فتوقظ فيها بواعث الخير والأريحية ، وتقشع منها دلج الكزازة والشر ، تقول تلك الآية .. « **آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » ونجد تلك الآية الكريمة - عند التدبر فيها - تحطم أقوى ركائز البخل والكزازة ، وهو ادعاء الأغنياء البخلاء أن ما تحت أيديهم من مال لا حق لأحد - كائنا من كان فيه ، فتصرح الآية بأن الأغنياء مستخلفون من قبل الله تعالى في ماله ، فالمال مال الله ، والأغنياء خلفاؤه فيه في الحياة ، وعليهم - إن عقلوا - ان ينصاعوا لأمر مالك الملك والمال ، فينفقوا في كل اتجاه يستدعي النفع الخاص والعام أن ينفق فيه ، فلا يبخلوا على انفسهم ، أو ذويهم ، او على من قست عليهم الحياة .

ولما كانت آيات السورة تدعو الى الأريحية الانسانية ، والأريحية ارتياح بشري لكل جهات الخير والمعروف - لم تحدد الآية السابعة جهة الانفاق وهي تدعو اليه : « .. **أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » وتنتهي تلك الآية بالترغيب في الانفاق عن طريق رصد الأجر الكبير عند الله تعالى للمنفقين ، وصدر الآية وعجزها يؤكد ان أهم بواعث الأريحية وهو الايمان الكامل بالله ورسوله ، وكأن الأريحية رياض ندية لا تكشفها إلا طاقات هائلة من أنوار الايمان : « .. **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » . ثم تجيء الآية الثامنة من تلك السورة الكريمة مصدرة باستفهام تعجبي إنكاري لعدم إيمان من يدعوهم الرسول الى الايمان ، وتجيء الآية العاشرة مصدرة أيضا باستفهام تعجبي إنكاري لعدم إنفاق من آمن بالله ورسوله - اتساقا لاطار الآيات من أول السورة التي جعلت الايمان ينبوعا تتفجر منه الأريحية الانسانية ، تقول الآية الثامنة : « **وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** .. » ، وتقول العاشرة : « **وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض** .. » وكان التعجب من عدم الايمان لقيام الرسول بالدعوة والتذكير ، وقيام الأدلة في الكون الباعثة على الايمان وكأنها العهد والميثاق ، وكان التعجب من عدم الانفاق مع العلم بأن الله مالك كل شيء ، وسيرجع اليه كل شيء في السموات والأرض فصاحب المال مع التصاقه به سيفارقه بالموت وسيرث الله الأرض ومن عليها ، فلماذا الشح والبخل ؟! .

ولما كانت الفضائل تتفاوت فان الأريحية كذلك ، فهي تبلغ ذروة عظمتها وقت الشدائد والأزمات ، ومن ثم صرحت الآيات هنا بأن الذين أنفقوا قبل فتح مكة وقت ضعف المسلمين وقلتهم - هم أعظم درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح حين قوى المسلمون وازداد عددهم ، فالعطاء بباعث الأريحية عند الحاجة الملحة يثلج الصدر ، ويريح القلب ، ويؤكد المودة والألفة اللتين هما من اهداف

الاسلام ، ومن ثم كان الأجر عليها مضاعفا ، اما العطاء عند الرخاء فهو وان كان محمودا ليس له وقع الأول في النفوس الظمئة والقلوب الملهوفة تقول الآية في التصريح بهذا التفاضل : « .. **لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير** » .

ثم تأتي الآية التالية لتفتح ينبوعا آخر من ينابيع الأريحية في دنيا البشر : إنه ينبوع الاقراض الحسن ، ولما كان الاقراض تفريجا لكربة مكروب ، وإغاثة لملهوف مع الحفاظ على كرامته إذ هو سيؤدي ما أخذ بعد حين من الزمن ـ كان في درجة أعلى من الانفاق ، وكان الثواب عليه مضاعفا ، وقد سلكت الآية في الجذب لهذا الباب من أبواب الأريحية الانسانية ـ اساليب تربوية ناجحة ، فاستخدمت الاستفهام الدال على الحث والتحريض ، ونسبت الإقراض الى الله تعالى لسرعة استجابة المقرض ، ولادخال الطمأنينة على قلبه ، فماله الذي اقرضه سيعود اليه لا محالة ، فلابد حينئذ من ان يخف لنجدة المحتاج غير عابىء بموعد الرد ، فالأجر عند الله عظيم ، والله الرزاق هو الضامن والكفيل ، تقول الآية الكريمة : « **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم** » ، وتجد تذييل هذه الآية الكريمة بقوله تعالى : « .. **وله اجر كريم** » لأن الاقراض فيه حفاظ على كرامة المقترض ، في حين ختمت آية الانفاق السابقة بقوله تعالى : « **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » فقد وضع كل تذييل في موضعه المناسب باحكام معجز .

ثم تأتي الآيات التالية موضحة ذلك الأجر الكريم ، عاقدة مقابلة جاذبة لرياض الأريحية البشرية ، فتذكر مشهدا من مشاهد القيامة يظهر فيه المؤمنون في هالات من نور ، فقد نجحوا في مصارعة الشح في نفوسهم ، وتغلبوا على شيطانهم ، فكان النور الذي يحفهم آنئذ فوزا عظيما ، ويظهر المنافقون في ذلك المشهد في وضع ذليل يخالف عزتهم الجوفاء التي تاهوا بها في الدنيا ، يظهرون مستجدين نورا في ذلك اليوم العصيب قائلين للمؤمنين الناجين : « .. **انظرونا نقتبس من نوركم** » فيرد عليهم بالمنع والتهكم : « .**قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا** » كأن الرد يذكرهم بشحهم ومنعهم الخير والمعروف عمن يستحقون في الدنيا ، فقد حرموا النور في الآخرة لجعلهم ايديهم مغلولة الى اعناقهم ، ولاغلاقهم قلوبهم دون نسمات الأريحية الانسانية في الدنيا فكان الجزاء من جنس العمل : جزاء بالحرمان على ذنب هو الحرمان ، تقول آيات المشهدين المتقابلين : « **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم.يوم يقول المنافقون**

والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » ، ونجد تلك الآيات قد ذكرت المؤمنين والمؤمنات في مشهد النور ، والمنافقين والمنافقات في مشهد الذلة والهوان اشارة الى ان الأريحية المنشودة أريحية انسانية لا تفرق بين الذكر والأنثى ، فهي تصدر عن انسان أترع قلبه بالرحمة حتى فاضت على جوارحه خيرا ومعروفا ، وذلك يتأتى من المرأة كما يتأتى من الرجل ، وهما في الثواب عند الله سواء ، ونجد ختام الآيات بيانا لحيثيات الحكم على المنافقين والمنافقات بالذلة والهوان في الآخرة ، وتختم الحيثيات بالغرور الذي أنضب القلوب من الرحمة ، وأمسك الأيدي عن العطاء فلم تتحقق الأريحية الانسانية التي كان ينشدها من به حاجة ولهفة ، فالتهب قلبه غيظا ، واليوم يلهب المنافق الكاز بالنار جزاء وفاقا ، ولما كان الجزاء يومئذ على الشح والكزازة وفقد الأريحية ـ وجدنا الآية التالية تبين أن هؤلاء المنافقين الكازين لن تقبل منهم الآن في موقف الذلة والهوان ـ الفدية كائنة ما كانت ، والفدية عطاء ، وكيف ينفع يومئذ العطاء ، فكأنهم يودون أن يعوضوا ما فاتهم من أريحية ، ولكن أنى لهم ، واليوم يوم حساب لا عتاب ، ويوم جزاء لا عطاء ، « **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير** » .

ثم تفتح السورة صفحة جديدة لمن غفل عن سلوك سبل الأريحية ـ ليفيق وينشط في ميدان الخير والمعروف قبل ان يقسو القلب ، ويدهم الموت ، ويكون النشاط والافاقة القلبية بالخشوع لذكر الله ، وتلاوة آيات الله ، والخوف من عقابه وعذابه : « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم** » وحتى لا يصيب نفوس الغافلين يأس أو قنوط تلفت الآية التالية الأنظار إلى أن القلوب الغافلة تصحو وتفيق بذكر الله فتفيض الخير في كل اتجاه ، كالأرض الميتة يحييها الله بالماء فتهتز وتربو بالنبات ، وتفيض الخير لكل الكائنات : « **اعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون** » وتنبه الآية التالية الغافلين المستجيبين ـ الى اهم ميادين الأريحية الانسانية فتجملها في ميداني التصدق والإقراض ، وقد جمعت بينهما ولم تفرقهما كما فعلت الآيات السابقة ـ لأنها في مجال الإجمال لابرز ميادين المعروف التي تتحقق فيها الأريحية الانسانية ، فأجملت العمل وأتبعته بالثواب والجزاء : « **إن المصدقين**

والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم » وتتوالى الآيات مستخدمة شتى الأساليب للجذب الى تلك الأريحية الانسانية ، فنجد الآيات التالية تستخدم اسلوب اقتلاع حب الدنيا من النفوس ، ذلك الحب المسرف الذي ينجم عنه الغرور بها ، والاخلاد اليها ، والتكالب عليها ، وتستخدم الآية في الاقتلاع التصوير المهون من شأن الدنيا والمنذر بوخيم العواقب لمن يغتر بها فهي في زهوها وازدهارها لدى الانسان كالنبات يخضر ويورق ثم يبلغ اقصى حالات النضرة والايناع ، ثم يصفر ويصبح هشيما وحطاما : « **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** » .

ومادامت الدنيا كذلك فيجب اقتناص الخير فيها قبل فوات فرصتها ، ويكون ذلك بالأريحية والسخاء في مواطنهما الهاتفة بهما ، حتى اذا انتهى العمر أو نضب معين الخير في الحياة كان الانسان قد ادخر له رصيدا من الخير عند الله ، وفي هذا ينبغي السباق : « **سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » ونسير مع آيات السورة حتى نصل الى البلسم الشافي لداء الكزازة والشح ، فذلك الداء مبعثه الخوف الهالع من الاملاق ، فتأتي الآيات المطمئنة الرابطة على القلوب لتقرر أن كل ما يحدث في الوجود للأفراد والجماعات - مكتوب مسطور في الأزل ، فعلام الخوف والهلع ؟! ، فاذا كان الغنى مقدرا له أن يجابه الفقر بعد غناه ، فلن يزحزحه عن ذلك الفقر المكتوب شح أو إمساك فليعقل ذلك ، وليبسط يده بالعطاء حتى لا يحرم الأجر وحسن الجزاء ، تقول الآيات : « **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد** » فالأسى على ما فات ، والفرح الشديد بكل آت ، والفخر والاختيال - أعمال لا تليق بمؤمن صادق الايمان ، لأنها تحض على الشح والحرمان ، وهما مقوضان دعائم الأريحية التي يحبها الله من عباده المؤمنين .

ثم تنتقل آيات السورة الى ميدان أرحب للاريحية الانسانية بمعناها الواسع الرحيب فهي - بذلك المعنى - سعة الخلق ، والهشاشة للندى والمعروف ، والارتياح للنفع يصل الى الغير ، فتشير الآيات التالية الى أن تلك الأريحية الانسانية مطلب محمود في جميع الأديان السماوية لأنها خلق رفيع ، وفضيلة سامية ، فاحترام

الناس للعدل فيما بينهم أمر يريح النفوس ويثلج الصدور عبر الأزمان والدهور :

« **لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » فالكتب السماوية تتضمن ارشادات هادية - ان سار الناس على هديها - سعدوا في الدنيا والآخرة ، سعدوا في الدنيا بالارتياح النفسي مهما كانت ظروف الحياة او قسوتها ، وسعدوا في الآخرة بالنعيم المقيم ، وتشير تتمة الآية الكريمة الى انداح مرابع الأريحية حتى تشمل القوة النافعة ، أو المشعة النفع فيما حولها كالحديد في قوته ونفعه ، **فالأريحي في قوته وغناه ليس صلد الفؤاد أو غليظ الطبع ، ولكنه لين** الجانب ، واسع النفع ، تقول تتمة الآية : « .. **وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** » وقد قالت الآية : « .. **وانزلنا الحديد** » ولم تقل : « .. **وخلقنا الحديد** ، لأن الحديد - ببأسه وقوته ونفعه - حماية للكتب المنزلة وما تهدى اليه من عدل واريحية انسانية منداحة .

ثم تختم السورة الكريمة بنداء المؤمنين وامرهم بتقوى الله ، والايمان برسوله ، ووعدهم على ذلك مضاعفة الثواب ، فيكون الثواب كفلين من رحمة الله تعالى ، كفاء الرحمة التي فجرتها أريحية الانسان في الحياة فاستظل بظلها الظليل احياء قرت عيونهم ، وطابت نفوسهم ، فرضيت قلوبهم ، وهتفت ألسنتهم بالدعاء بالرحمة للأريحى الذي اراح نفوسهم واثلج صدورهم فكان الثواب مضاعفا يوم العرض والحساب :

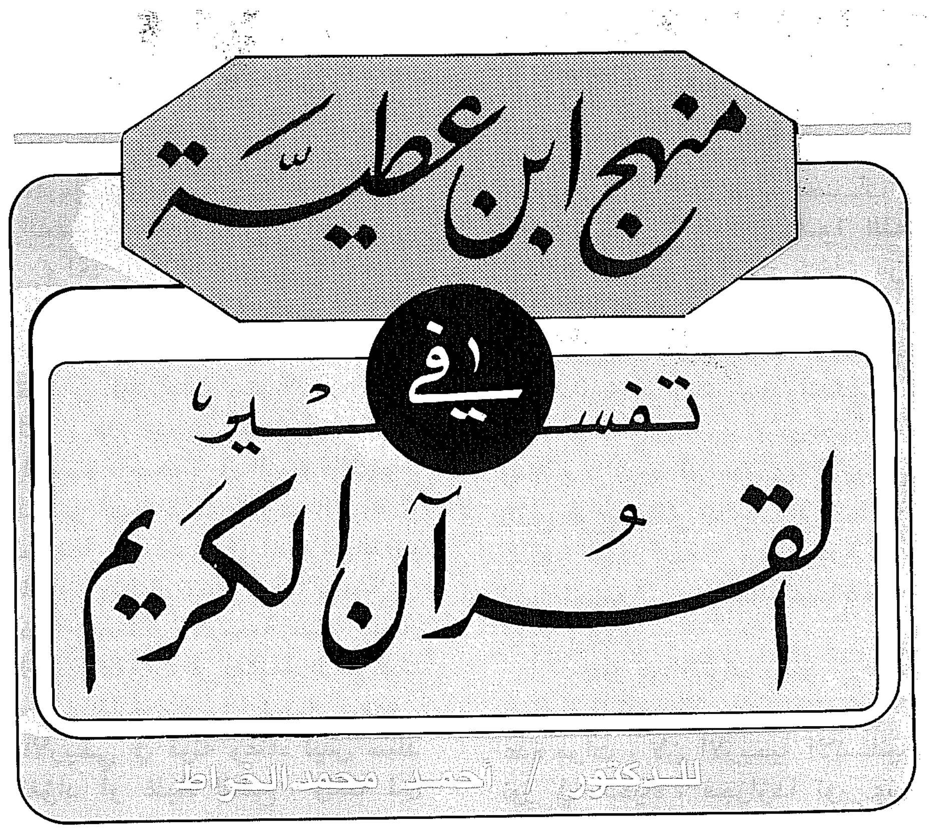
« **يأأيها الذين امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** .. »

والأريحى الذي يفرج الكربات - ينير الطريق امام الحيارى والمدلجين ، فالشدة قتام وظلام ، وتفريجها نور وسلام ، ومن ثم جوزى الاريحى **الذي فرج وأنار الدروب في الحياة بالنور عند الله** : « **ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** .

وقد عبر عن الثواب بالنور في هذه السورة - كفاء الأريحية الانسانية - عدة مرات ، لأن الأريحية الانسانية نور في الحياة ، فجزاؤها نور عند الله .

وينتهي ختام السورة الكريمة بما يريح ذوى البصائر ، فتقرر ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، فالأريحى - وإن كان صاحب فضل - فما عنده من الفضل مفاض عليه من الله برحمة الله ، فليحمد الله تعالى على فضله الذي آتاه : « .. **وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** » .

وبعد ، فلعلنا بعد هذا التطواف في رحاب سورة الحديد الكريمة - نكون قد وعينا دعائم الأريحية ، وفقهنا سرها وأثرها ، وعلمنا انها من سمات الإيمان ، وشيم المؤمنين الصادقين ، ولعلنا ننشدها ثم نحققها في واقع البشر ، ليسعد البشر كما أراد خالق البشر .



لعل « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » في مقدمة الاسفار التي حملت بين دفتيها صفوة جهود العلماء المسلمين لخدمة كتاب الله عبر أكثر من خمسة قرون سلفت ، حيث كان كتابه صدى للاتجاهات العلمية المختلفة .

أما مؤلفه فهو الشيخ الحافظ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرؤوف بن عطية . ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، في أسرة علمية تعرف قدر العلم فترحل في طلبه وتدلي بدلوها في الورود على مناهله المختلفة . وقد نشأ الفتى عبد الحق في بلاد الأندلس الخضراء حيث كانت للمسلمين في تلك الرياض أيام حافلة ، فعاش في غرناطة واتصل بحلقات العلم التي كانت تغص بالعلماء والمتأدبين ، فأخذ عن والده الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرؤوف ، كما تلقى عن مشايخ بلده أبي علي الغساني والصدفي وابن المطرف وابن مكحول والهمداني ، وتتلمذ له ابن مضاء اللخمي . تميز ابن عطية بتنوع الثقافة : فإن ذكرنا الفقه فهو من علماء المذهب المالكي ، وترجم له ابن فرجون في « الديباج المذهب » على أنه من رجال هذا المذهب المشهورين ، وكتابه « المحرر الوجيز » شاهد حق على ذلك .

وإن سألنا عن علوم العربية فهو عند السيوطي في « بغية الوعاة » نحوي من أعلام النحاة الأندلسيين ، وقد ترك في تفسيره فيضا من آرائه وتحقيقاته التي تكشف عن تعمقه في هذا الفن . كما أن للرجل اهتماما في

علم الحديث ودراسة الأدب العربي . تقلد ابن عطية منصب القضاء في المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة ويقال إنه أحس بمسئولية القاضي الكبيرة فامتلأ قلبه حزنا وغما . وما انفك الناس يتصلون به ويفيدون من ثقافته الخصبة وهو الذي وصفه من ترجم له بأنه كان غاية في توقد الذهن إلى أن توفي في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

أما الكتاب فيبدأ بمقدمة طيبة تضم مناقشات وحوارا يتصل بعلوم القرآن ، فهو يتحدث عن فضل القرآن الكريم الذي « أعجز الفصحاء وأخرس البلغاء وشرّف العلماء . ثم يذكر معاناته في طلب العلم « فإني لما رأيت العلوم فنونا ، وحديث المعارف شجونا ، وسلكت فإذا هي أودية ، وفي كل للسلف مقامات حسان وأندية فرأيت أن الوجه لمن تشزن (انتصب) للتحصيل وعزم على الوصول أن يأخذ من كل علم طرفا خيارا ، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غرارا (قليلا) ، ولن يرتقي هذا النجد ويبلغ هذا المجد حتى ينضي مطايا الاجتهاد (يهز لها) ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد ، فجريت في هذا المضمار صدر العمر طلقا وأدمنت حتى تفسخت أينا (ضعفت تعبا) وتصببت عرقا إلى أن انتهج بفضل الله عملي وحزت من ذلك ما قسم لي » ثم يتحدث ابن عطية عن شرف علم كتاب الله فهو « العلم الذي جعل للشرع قواما ، واستعمل سائر المعارف خداما ، منه تأخذ مبادئها ، وبه تعتبر نواشئها » . ثم يشير إلى منهجه في كتابه « وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محررا ، ولا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به ، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم » وذكر أنه نبه على أقوال الملحدين ، وأنه أورد جميع القراءات وسمى المشهورة منها بالمستعملة ، وغير المشهورة بالشاذة وقال إنه « اعتمد تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ . ثم ذكر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن نبهاء العلماء في فضل القرآن المجيد وصورة الاعتصام به وأورد في ذلك فيضا من الآثار المختلفة . ثم ذكر بابا في فضل تفسير القرآن والكلام على لغته والنظر في إعرابه ودقائق معانيه ، ثم أشار إلى ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين»، فمنهم الطبرى الذي « جمع على الناس أشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في الاسناد ، وقال:إن النقّاش والنحّاس « كثيرا ما استدرك الناس عليهما » .

ويتفرغ ابن عطية بعد ذلك إلى دراسة قوله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه » فيعرض لآراء العلماء في ذلك ، فذهب فريق منهم إلى أنها سبعة أوجه فما دونها كتعال وأقبل وإليَّ ونحوي وقصدي واقرب وجيء ، وكاللغات التي في أف وكالحروف التي فيها قراءات كثيرة . وهذا عند ابن عطية « قول ضعيف » .. وقال فريق آخر إن المراد بالسبعة

معاني كتاب الله وهي : أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال .

وقال « وهذا أيضا ضعيف ، لأن هذه لا تسمى أحرفا ، وأيضا فالاجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا في تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة » وما يزال يشير إلى آراء العلماء في فهم الحديث السابق حتى خلص إلى توجيهه توجيها سديدا يدل على رسوخ قدمه وقوة حجته فيقول : « فمعنى الحديث » أي فيه عبارات سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة » ويضرب أمثلة على ذلك منها أن عمر بن الخطاب كان لا يفهم معنى قوله تعالى : (**أو يأخذهم على تخوف**) النحل/٤٧ فوقف به فتى فقال : « إن أبي يتخوفني حقي » فقال عمر : الله أكبر . أويأخذهم على تخوف : أي على تنقص لهم » . يقول ابن عطية : ولم تقع الإباحة في قوله عليه الصلاة والسلام (**فاقرؤوا ما تيسر منه**) المزمل/ ٢٠ بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي عليه الصلاة والسلام ليوسع بها على أمته ، فقرأ مرة لأبيّ بما عارضه به جبريل ، ومرة لابن مسعود بما عارضه » .

ثم يشير إلى عمل عثمان حيث استنتاب العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ، ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفصح اللغات ، فمعنى هذا : إذا اختلفتم فيما روى . واستمر الناس على هذا المصحف المتخيّر وتركوا ما خرج عنه مما كان قد كتب . ثم إن القراء في الأمصار تتبعوا ما روي لهم من اختلافات ولا سيما فيما وافق خط المصحف فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم .

ويبين ابن عطية بعد ذلك مسألة جمع القرآن وشكله ونقطه ، ويشير إلى أنه ليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب وما ورد فيه من كلمات أعجمية جرى مجرى العربي الصريح ، وذكر نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن ، واختار قول الجمهور في أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه ، وأبطل قول المعتزلة في أن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن ولكنهم صُرِفُوا عن ذلك وعجزوا عنه . والصحيح عند الشيخ أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد . ثم عقد بابا في تفسير أسماء القرآن وذكر معنى السورة والآية من حيث اللغة والاصطلاح فالقرآن مثلا مصدر من قولك قرأ الرجل إذا تلا يقرأ قرآنا وقراءة . ثم يصل بعد ذلك إلى الشروع في عرض موسوعته العلمية الكبيرة فيبدأ بالاستعاذة ثم البسملة ثم الفاتحة فالبقرة فما تلاها على حسب الترتيب المعروف لسور المصحف .

سعة مادة الكتاب :

« المحرر الوجيز » ـ كما أسلفنا ـ موسوعة علمية يتميز بغزارة مادته وجمعه لأطراف العلوم المختلفة ، فحديثه في القراءات مثلا حديث العالم المتخصص في حروفها وأصحابها وطرق توجيهها ، وهو لا يقتصر على القراءات السبعة التي اشتهرت على ألسنة القوم بعد أن ذاع صيت ابن مجاهد وكتابه « السبعة » وإنما يتجاوزها إلى ذكر جميع القراءات التي وصلت إلى علمه وهي التي تسمى بالشواذ ، فكان يشير إليها ويسمي أصحابها ويضبطها ، وبعد ذلك يشرع في توجيهها توجيها يقرّبها من لغة العرب ، وكأن الرجل يقصد قصدا إلى حصر هذه القراءات . ومثال ذلك أنه ذكر في « **بئيس** » من قوله تعالى في الأعراف : «**وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون** » الأعراف ١٦٥ خمسا وعشرين قراءة ، وذكر معها توجيهها وأسماء قرائها . وقد أثارت آراؤه في فهم القراءات الشاذة والمتواترة مناقشات وحوارا بين ذوي الشأن ، فنجد في البحر المحيط والدر المصون وجامع القرطبي صدى واسعا لطريقة معالجته لها . ومن ذلك أن ابن عطية ينتقد قراءة أبي عمرو بإدغام راء « شهر » في راء « رمضان » في قوله تعالى في البقرة آية ١٨٥ « **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** » بحجة الجمع بين الساكنين ، فيرد عليه السمين الحلبي صاحب « الدر المصون » هذا الانتقاد قائلا : « وقول ابن عطية « لا تقتضيه الأصول » غير مقبول منه ، فإذا صح النقل لا يُعارَض بالقياس».

وأما قضايا الفقه وأصوله فيعد الكتاب بحرا زاخرا لمذاهب العلماء وآرائهم الفقهية ، فكان يعرض أقوالهم ويسمى أصحاب هذه الأقوال ، وقد يمضي في مناقشتها وترجيح ما يراه مناسبا لاجتهاده ، لقد أخذت آية الوضوء وحدها في المائدة من تفسيره أكثر من عشر صفحات ، حيث كان يعرض لآراء المذاهب الفقهية ولا يكتفي بالأربعة ، وإنما يهتم بعرض أقوال الصحابة والتابعين . ولعلنا في النص التالي نلمس مدى اطلاعه على أحكام الفقه . قال في آية « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** » المائدة ٣٨ « فأما القدر المسروق فقالت طائفة : لا قطع إلا في ربع دينار فصاعدا ، قال به عمر وعثمان وعلي وعائشة وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والليث والشافعي وأبو ثور ، وفيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القطع في ربع دينار فصاعدا » وقال مالك رحمه الله : تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم ، فإن سرق درهمين وهي ربع دينار لانحطاط الصرف لم يقطع ، وكذلك العروض لا يقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم قلّ الصرف أو كثر . وقال اسحاق ابن رهويه وأحمد بن حنبل : إن كانت قيمة السلعة ربع دينار أو ثلاثة دراهم قطع

فيها ، قل الصرف أو كثر . وفي القطع قول رابع : وهو أن لا قطع إلا في خمسة دراهم أو قيمتها ، رُوى هذا عن عمر وبه قال سليمان بن يسار وابن أبي ليلى وابن شبرمة ومنه قول أنس ابن مالك : « قطع أبو بكر في مجنّ قيمته خمسة دراهم » . قال القاضي أبو محمد (وهو ابن عطية) : « ولا حجة في هذا على أن الخمسة حد . وقال أبــو حنيفة وأصحــابه وعطاء : « لا قطع في أقل من عشرة دراهم . وقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري : لا تقطع اليد في أقل من أربعة دراهم . وقال عثمان البتي : « تقطع اليد في درهمين فما فوقه . وحكى الطبري أن عبد الله بن الزبير قطع في درهم . وروي عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : تقطع اليد في كل ماله قيمة قلّ أو كثر على ظاهر الآية وحكى الطبري نحوه عن ابن عباس وهو قول أهل الظاهر والخوارج » .

وهو في مسائل اللغة والنحو ابن بَجْدَتِها فقد أثبت أنه الفارس المجلى ويعد كتابه مثالا لكتب التفسير التي تصول وتجول في علوم العربية ، حتى ليخيل إليك أن الكتاب قريب من « البحر المحيط » لأبي حيان . لقد استوعب الرجل أقوال النحاة وقرأ كتبهم وسبر بضاعتهم ، فكان يستعين بها في تفسيره استعانة الخبير الواثق الـذى يأتى بـالشاهـد في المكـان المنـاسب . إن أعلام النحـاة مثل سيبويه والزجاج والفراء والفارسي والمبرد ومكي يغصُّ بها الكتاب ، غير أن الرجل يغلب عليه إغفال اسم الكتاب الذي نقل عنه هذا القول ، وبذلك قد يصعب على القارىء العودة إلى النص لمراجعته . كما يضم الكتاب آلافا من الشواهد الشعرية الفصيحة التي يوردها لتدعم تفسيره اللغوي لألفاظ الآية أو توجيهه النحوي للوجه الذي يعرضه .

وأما في مسائل التفسير فالكتاب جـامع لأقـوال علمـاء الصحـابـة والتابعين ومن بعدهم ، وكان الشيخ يهتم بإسناد الأقوال إلى أصحابها ، ومن هنا لا نستغرب ما قاله ابن خلدون عنه في مقدمته : « إن ابن عطية لخص كتابه من كتب التفاسير كلهـا ـ ويعني تفاسـير المنقـول ـ وتحرى ما هو أقرب منها إلى الصحة ، وهو متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى »

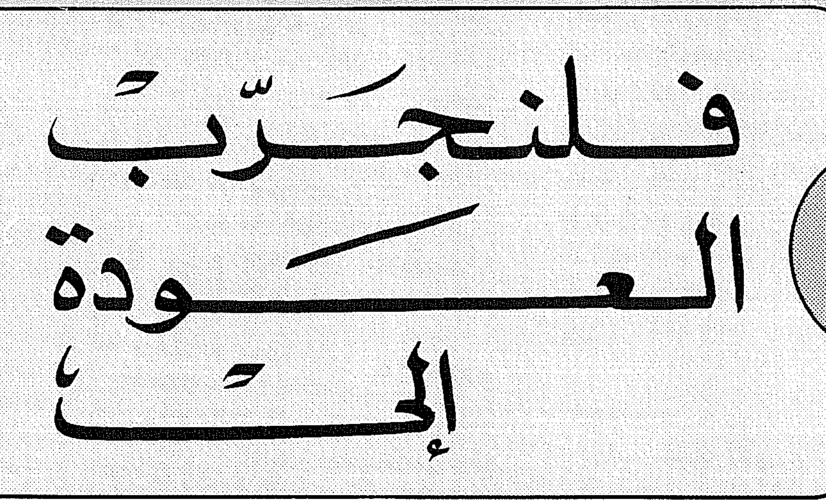
المناقشات التي أثارها :

ترك « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » أثرا واضحا في كتب التفسير وإعراب القرآن التي تلته ، ولذلك أكثر من سبب ، فالرجـل يمتاز بعقليـة اجتهادية وشخصية متميزة فكـان يغوص على أبعاد المعاني ويصل إلى نتائج تكشف عن سعة أفقه وخصوبة ثقافته ، كما أن تنوّع موارد هذه الثقافة من فقه وعلم بالمنقول ونحو وقراءات وحديث جعل الناس يجدون في كتابه ما يُرضي الاتجاهات العلمية كافة ، كل أولئك يفسر كثرة النصوص المقتبسة من كتابه حيث نجد في كتب التفسير والفقه وعلوم العربية من بعده كثيـرا من النصـوص والنقـولات

المستمدة من محرر ابن عطية ، ولعل جامع القرطبي وبحر أبي حيان ودر السمين الحلبي من أكثر المصنفات التي أفادت منه .ومن أمثلة مناقشاتهم معه . فقد ذكر ابن عطية في قراءة علي بن أبي طالب بنصب الحق الثانية من قوله تعالى :) **وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك)** البقرة/١٤٦ و١٤٧ أنه منصوب بـ « يعلمون » قبله فقال السمين في الدر المصون : « وعلى هذا الوجه يكون مما وقع فيه الظاهر موقع المضمر أي : وهم يعلمونه كائنا من ربك وذلك سائغ حسن في أماكن التفخيم والتهويل » . وفي قوله تعالى : « **سأريكم دار الفاسقين** » الاعراف ١٤٥ جَوَّز في الرؤية أن تكون قلبية . قال ابن عطية معترضا على هذا الوجه : « ولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفعولين . ولو قال قائل : المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدر أي : مذمومة أو خربة أو مسعرة على قول من قال إنها جهنم قيل له : لا يجوز حذف هذا المفعول ولا الاقتصار دونه لأنها داخلة على الابتداء والخبر . ولو جوّز لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله تعالى » قال أبو حيان في البحر المحيط : « وحذف المفعول الثالث في باب أعلم لدلالة المعنى عليه جائز فيجوز في جواب : هل أعلمت زيدا عمرا منطلقا ؟ أعلمت زيدا عمرا ، وتحذف منطلقا لدلالة الكلام السابق عليه » قال السمين متعقبا كلام أبي حيان : « هذا مُسَلّم ولكن أين الدليل عليه في الكلام كما في المثال الذي أبرزه أبو حيان » ثم قال أبو حيان : « وأما تعليله بأنها داخلة على المبتدأ والخبر فلا يدل على المنع لأن خبر المبتدأ يجوز حذفه اختصارا ، والثاني والثالث في باب أعلم يجوز حذف كل منهما اختصارا ، تعقب السمين هذا بقوله « حذف الاختصار لدليل ولا دليل هنا » .

طبعاته :

طبع المجلد الأول والمجلد الثاني في مصر ، ووصل المحقق إلى الآية ٢٠٨ من البقرة . ثم قامت وزارة الأوقاف المغربية بتكليف المجلس العلمي بفاس بتحقيق الكتاب من أوله ، وصدر من هذه الطبعة تسعة مجلدات استغرقت الكتاب من أوله إلى آخر سورة يوسف . وقد علمنا أن جامعة الأزهر قامت بتوزيع مخطوطاته على طلاب الدراسات العليا في قسم التفسير وكاد الكتاب ينتهي محققا ونأمل أن يحظى بطبعه إلى نهاية تفسيره للآيات الكريمة ، ونتوقع أن يكون قريبا من عشرين مجلدا رحم الله أبا محمد ابن عطية وهيأ له منازل في عليين والحمد لله رب العالمين .

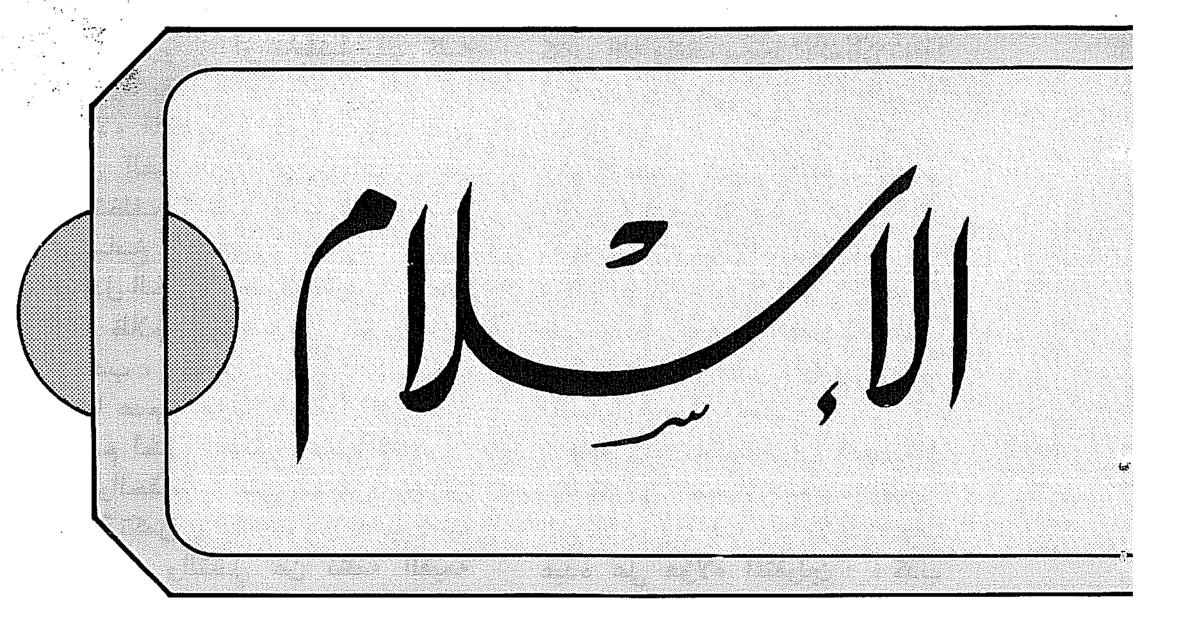


(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)
البقرة/١٢٨

صدق الله العظيم

الاسلام دين الفطرة السليمة ، جاء يخاطب العقل الواعي ، والفكر المستنير ، والقريحة الصافية ، وهو دين المنهاج الرباني الكامل ، لا يقربه نقص ، ولا تشوبه شائبة ، دين جاء ليسمو بالانسانية ويرتقي بالفضيلة .. وهو نظام الحق المستقيم ، المنزه عن كل اعوجاج ، نظام محكم البناء عديم الثغرات ، نظام العبادة والعمل .. العطاء والجني .. الاخلاص والتراحم ، الحب والايثار ، نظام الرابطة القوية والحبل المتين ، من تمسك به عز ومن تخلى عنه باء بخسران مبين : **(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)** آل عمران/ ٨٥ .

ولقد ظلت النظم الاسلامية تتبوأ المكانة العليا بين نظم العالم .. ثم تفجرت في العالم الغربي فلسفات وأفكار بسبب استبداد الحكام او استغلال الطبقة الرأسمالية للفقراء والعاملين .. وهذه الأفكار وتلك الفلسفات ـ والتي سميت فيما بعد بالثورات الاجتماعية ـ لم تكن النظم الاسلامية بحاجة الى مثلها .. لأن



للأستاذ/سعيد كامل معوض

العدل الذي هو أساس الحكم لا يعرف الاستبداد ، والاحسان الذي هو لب الشريعة الاسلامية لا يسمح بتعسف أصحاب الأعمال بالعمال ..

لذلك فقد كانت النظم الاسلامية في غنى عن مثل هذه الثورات ! .. ولكن بعض الدارسين الذين ذهبوا للدراسة في بلاد الغرب وأوروبا ورأوا هذه الأفكار والفلسفات وشعروا بمكانتها في نفوس من روجوا لها .. أخذوا ببريقها وخدعوا بزينتها وظنوا أنهم بنظمهم الاسلامية يجهلون معنى الحرية .. والديمقراطية .. والاشتراكية .. إلى غير ذلك من الألفاظ الجوفاء .. فحاول هؤلاء الدارسون نقل هذه الأفكار - كما هي - ولم يفطنوا الى فداحة الجرم الذي ارتكبوه في حق أنفسهم وأهليهم ، فبسبب هذه الأفكار العقيمة بدأ اضمحلال النظام ، وضعف العقيدة ، والتقليد الأعمى لكل ما هو جديد دون نظر الى فائدة أو ضرر .

.. واذا نحن تصفحنا التاريخ الاسلامي ونظرنا بعين فاحصة مدققة الى حال العالم الاسلامي في أوج مجده وسعة رقعته وتأملنا النظم التجارية والمصرفية والعمرانية والاجتماعية والثقافية والسياسية

والعسكرية .. لو تأملنا ذلك كله لشعرنا بفداحة الكارثة التي أتى بها هؤلاء المقلدون .. ففي الوقت الذي كان الغرب يغط في ظلمات الجهل والتخلف كانت حضارة المسلمين تتشامخ في رقي وازدهار .. واليوم تتبدل الحال فنرجع القهقري ، ويحيط بنا ظلام التخلف من كل صوب وحدب ، ونبحث عن العلة !! ونظن أنها عدم مجاراتنا لحضارات الغرب وعدم أخذنا بأفكاره وفلسفاته !

والحقيقة - التي نتغاضى عنها أن العلة تكمن في ابتعادنا عن تعاليم ديننا الحنيف والتخلي عن نظمه القيمة ومحاولة إرضاء نزعاتنا الخبيثة بتقليدنا لتعاليم الغرب التي لا تسفر إلا عن إباحية ووقاحة وانحلال ، ورويدا رويدا تخلعنا هذه التعاليم من ديننا أو تخلع عنا ديننا ، فلا نجد أنفسنا إلا بين براثن الشيوعية أو العلمانية ، حبائل الشيطان !

واذا نحن قارنا الاسلام - وهو النظام الالهي - بسائر النظم الوضعية لوجدنا الهوة سحيقة والفرق بيِّناً .. فهو نظام الخالق ، وبقية النظم هي نظم المخلوق ، ولذلك لا نجد في الاسلام عجزا أو نقصا ، ونجد أن بقية النظم يعتورها النقص الواضح والعجز المخيف ، فالاسلام هو نظام الاحاطة بكل شيء لأنه النظام الذي يحيط بكل شيء ، وما من قضية علمية سليمة يتوصل اليها علماء الغرب اليوم الا ونجد القرآن - دستور الاسلام العظيم - قد تحدث عنها حديث اليقين .. ولم لا ؟! والقرآن كتاب الله وكيف يحيط الانسان بعقله المحدود بعلم من خلق الانسان اللا محدود ؟!

.. والاسلام دين العلم والعمل والعبادة ، وبذلك يكون هو الكمال بعينه .. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله تعالى ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين » رواه مسلم .

.. ولقد زعم المتقولون ان الدين كان سببا من أسباب تخلف الأمة العربية .. وفي هذا يرد الامام محمد عبده على هؤلاء المتقولين : « كذب الخراصون ، إن الدين أول معلم ، وأهدى أستاذ ، وأرشد قائد الى اكتساب العلوم ، والتوسع في المعارف ، وأرحم مؤدب ، وأبصر مروض ، يطبع الأرواح على الآداب الحسنة ، والخلائق الكريمة .. هو الذي رفع أمة كانت من أعرق الأمم في التوحش والقسوة والخشونة ، فسما بها الى أرقى مراقي الحكمة والمدنية .. »

.. ولنستعرض بعض الميزات التي تميز نظامنا الاسلامي وتعوز بقية النظم .. النظم الوضعية :

● فالاسلام نظام الآخرة والدنيا فحين أمرنا بالعمل من أجل الآخرة .. أمرنا كذلك ألا نتخلى عن دنيانا والتمتع بحلالها وطيباتها .. أمرنا بالتوكل والاجتهاد في العمل والكدح لا التواكل : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/٧٧ .

● وهو نظام يهتم بتربية الضمير الذاتي للفرد .. وهذا الضمير يجعله رقيبا على نفسه .. فلا يفعل إلا ما يراه طاعة لله ورسوله .. وبهذا يضمن الفرد الأمان والاستقرار ، ويضمن المجتمع القوة والازدهار : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا**) الطلاق/ ٢ . والتقوى هي مراعاة الله في كل شيء ، فلا يفعل الفرد ما فيه إغضاب لله أو مخالفة لرسوله .. بل يحاسب نفسه بنفسه كأنه يرى الله فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ويراقبه أينما كان : (**وهو معكم أينما كنتم**) الحديد/ ٤ .

وهذا النظام ينشىء الفرد على الاعتزاز بنفسه واليقين بربه مما يجعله شخصا قويا ناجحا يتقن عمله ليجني ثمرة هذا العمل : (**إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**) الكهف/ ٣٠ .

● وهو نظام الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة : (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**) الأحزاب/ ٢١ . وهو بهذا يرسخ في الفرد القيم السامية ويربى فيه أسس الفضيلة والترفع عن الصغائر .. وذلك بالاقناع لا بالارهاب !

● وهو نظام المساواة .. لا فرق بين جنس أو لون أو لسان ، لا فرق بين غني أو فقير ، أو بين حاكم ومحكوم فالجميع سواسية كأسنان المشط .. نظام لا عنصرية فيه ولا طبقية ولا طائفية ولا عصبية .. نظام قوامه التسامح فالمسلم أخو المسلم يحبه ويشد من أزره ويواسيه ، فالغني يعطي من ماله للفقير في غير مَنٍّ ، ولا يتركه يمد يده في ذل أو إهدار لكرامة .. والصحيح يعود المريض فيمنحه القدرة على الشفاء وقهر المرض .. والحاكم يحنو على المحكوم فيسمع شكواه ويحل مشاكله ، وبذلك يعم الرضا وينعدم التذمر بين الأفراد ويترابط المجتمع ويصبح كبناء واحد متماسك اللبنات : (**إنما المؤمنون إخوة**) الحجرات/ ١٠ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره » رواه الشيخان ..

وفي هذا يقول ماسينون : « يمتاز الاسلام بأنه يمثل فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بالعشر في موارد الجماعة .. وللاسلام ماض بديع من تعاون الشعوب وتفاهمها وليس لمجتمع آخر مثل ما للاسلام ، ماض كله التوفيق في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط المساواة في الحقوق والواجبات » .

والمساواة في الاسلام هي مساواة كاملة فلا تعصب ولا عنصرية ولا تفاضل إلا بالتقوى ، لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى .. وفي هذا يقول فيلسوف الحضارة توينبي : « إن انعدام التعصب العنصري ـ كما هو الشأن بين المسلمين ـ من أبرز ما حققه الاسلام في ميدان الأخلاق ، والواقع أن ثمة حاجة ملحة في العالم المعاصر إلى نشر هذه الفضيلة الاسلامية » . وهذه المساواة قوامها التراحم والتآلف : (**محمد رسول**

الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح/ ٢٩ .

وهذا التراحم النابع من رفعة الأسوة وعظمة القدوة والمساواة هو الذي خلق روح الترابط والتضامن وأرسى قواعد التصافي والتعاون والتواد مما ساعد على قوة المجتمع الاسلامي وعلو مكانته .

● والاسلام نظام السلام .. فلم يشرع القتال إلا دفاعا عن النفس أو العرض أو المال أو الضعفاء أو العقيدة ، وحرم الاعتداء والتعدي على حدود الغير : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)** البقرة/ ١٩٠ .. ولذلك فالفرق واضح بين الاسلام وغيره من النظم التي تسعى الى التوسع والسيطرة وبسط نفوذها على الآخرين وإذلال رقابهم مستخدمة في ذلك الاسلحة المدمرة التي تفتك بكل شيء ، لا تفرق بين طفل وشيخ أو بين بريء ومذنب ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ، سيان كانت تلك الوسيلة شريفة او غير شريفة ..

وفي هذا يقول جيمس متشفر : « اعتقد الغرب أن توسع الاسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون إلى السيف ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأي فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة والدليل قوي على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان مادام أهلها يحسنون المعاملة ، وقد حرص محمد صلى الله عليه وسلم على تلقين المسلمين التعاون مع أهل الكتاب - أي اليهود والنصارى - ولا شك أن حروبا قد نشبت بين المسلمين وغيرهم في بعض الأحيان ، وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات أصروا على القتال ، وفي القرآن آيات تصور العنف الذي استخدم في هذه الحروب ، ولكن الرهبان قطعوا بأن أهل الكتاب كانوا يعاملون معاملة طيبة ، وكانوا أحرارا في عباداتهم ولعل مما يقطع بصحة ذلك ، الكتاب الذي أرسله البطريرك النسطوري ايشوياب الى البطريرك سمعان زميله في المجمع وجاء فيه (بعد الفتح الاسلامي) : « إن العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الأرض اصبحوا عندنا ، ومع ذلك نراهم لا يعرضون للنصرانية بسوء ، فهم يساعدوننا ويشجعوننا على الاحتفاظ بمعتقداتنا وإنهم ليجلون الرهبان والقديسين ويعاونون بالمال الكنائس والأديرة » .

● والاسلام نظام يحترم حرية الفكر وحرية العقيدة فلا إكراه في الدين ولا حجر على العقيدة : (**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الكهف/ ٢٩ .

● وهو نظام الشورى .. تلك اللفظة التي استبدلها هواة التشدق بالألفاظ البراقة بلفظة الديمقراطية : (**وشاورهم في الأمر)** آل عمران/ ١٥٩ . (**وأمرهم شورى بينهم)** الشورى/ ٣٨ . والشورى في الاسلام واجب شرعي يثاب الحاكم إذا فعله ، ويعاقب شرعا إذا تركه .. وبذلك يكون الاسلام أسبق النظم في تطبيق هذا المبدأ الذي يجعل الرعية تشارك الحاكم في تحمل تبعات الحكم

ولا يسمح للحاكم أن يستبد برأي أو يتفرد بقرار ، وبذلك تتلاشى الديكتاتورية وينعدم الاستبداد . ولقد اخذ الرسول الكريم برأي سلمان الفارسي ـ وهو الشخص البسيط ـ في حفر الخندق ، ومن هنا يحس كل فرد أن له دورا في تسيير دفة مجتمعه لا يقل أهمية عن دور الحاكم نفسه .

● وهو نظام الاقتصاد الراقي النظيف ، فلا ربا ولا غش ، ولا استغلال ولا احتكار ، لا اغتصاب ولا تطفيف في كيل أو ميزان ، لا سرقة ولا اكل لأموال بالباطل . نظام الأمانة والسخاء ، الكرم والانفاق الرشيد في غير شح أو تبذير : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) الاسراء/ ٢٩ (**ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون**) المطففين/ ٣ .

● وهو نظام الزكاة .. التي لا يوجد لها نظير في أي نظام من أنظمة العالم .. قد يقول البعض إن الضريبة تناظر الزكاة ، ونقول لهؤلاء إن أقوالهم محض هراء ، فالزكاة تنمية للاحساس الاجتماعي والعاطفة الانسانية وهي تزكية وتطهير للنفس والمال : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) التوبة/ ١٠٣ .

والزكاة فرضت أساسا لتؤخذ من القادر فتعطى غير القادر ، وهي اذن توزيع للدخل العام بما يحقق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والتكافل الاجتماعي . وبهذا لا يكون هناك طبقة تتفرد بالثروة واخرى معدمة لا تجد حد الكفاف ، وبهذا يسود مجتمع الدرجات ويتلاشى مجتمع الطبقات : (**والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم**) المعارج/ ٢٤ ـ ٢٥ .

فلفظة حق كما وردت بالآية الكريمة تعني أن الزكاة حق مكفول للفقير بالاجبار ، وليست مجرد إحسان اختياري ، فالحق يقتضيه دائن مستحق والدائن هنا هو الفقير والغني هو المدين .. هذه هي الزكاة ..!

اما الضريبة فهي جزء من المال يدفعه الفرد للدولة ولا يهمه أن يذهب إلى أخيه الفقير أو لا يذهب ، ومن هنا نشأت فكرة التهرب من الضرائب .. ونشأت الطبقية والرأسمالية في النظم الوضعية ، والزكاة تكون جزءا عادلا ليس فيه إجحاف ولا قسوة .. جزء من المال يدفع عن طيب خاطر ـ رغم أنه إجبار شرعي ـ جزء من المال لا يضير صاحبه ولا يؤدي إلى نقص أو خسران .

(أما الضريبة فقد تكون في بعض الأحيان قدرا من المال يؤدي الى افلاس الفرد ، وهناك أمثلة كثيرة لأناس أفلسوا بسبب نير الضرائب وإجحافها) .

●● واذا نحن تناولنا بالمقارنة الاسلام كنظام سماوي وبقية النظم الوضعية .. ولتكن مقارنتنا على سبيل المثال من ناحيتي الزنا والربا .. لنتبين الفرق :

أولا : الزنا :

وهو الاعتداء على الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، لذلك فهو من أخطر أمراض المجتمعات ، إذا أصيبت به أمة ضاعت كرامتها ، وانفصمت عراها ، ودب الخور والوهن في نفوس بنيها .

والاسلام يقف من الزنا موقف العداء السافر ، وحرمه تحريما قاطعا ، وبشر الذين يأتونه بعذاب أليم : **(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)** الاسراء/٣٢ ..

وقد حرم الاسلام كل طريق يوصل الى الزنا كالخلوة بالمرأة الاجنبية ، والنظر اليها أو لمسها ، ونهى عن كل ما يثير الغرائز ، ويهيج الشهوات ، وفرض أشد العقوبات على من يرتكب هذه الجريمة النكراء ففرض الرجم او الجلد وحرم الاسلام الزنا لأن فيه ضياعا للأنساب، وإهدارا للكرامة ، وخداعا للزوجات واحتقارا للأزواج .

ولقد أثبت الطب أن الزنا هو البؤرة لكثير من الأمراض السرية الخطيرة ، والفرد المصاب بأحد الأمراض السرية « الجنسية » لا يقف خطره على كون المرض معديا فحسب ، ولكن لأن الأمراض الجنسية وراثية فهو خطر على جيله والأجيال التالية بعده حين يورث المرض لأولاده وأحفاده من بعده !!

مما يوضح سببا آخر من أهم الأسباب التي حارب من أجلها الاسلام الزنا .. فاذا كان هذا هو موقف الاسلام من الزنا فما موقف النظم الوضعية منه ؟!

○○ النظام الديمقراطي الحر (الليبرالي) :

لا يمانع في أن يزني الفرد ، لأنه حر في نفسه يفعل بها ما يشاء مادام يدين لمجتمعه بالطاعة والولاء .

ولقد وصلت حالات الاصابة بمرض السيلان في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠ الى أكثر من ٣٠ مليون حالة !.. وتقول مجلة « الصحة العالمية » في عدد نوفمبر ١٩٨٠ : « ان الارتفاع في عدد المصابين بالأمراض الجنسية يرجع بصورة اساسية إلى انحدار المستوى الخلقي وإباحة الصلات الجنسية » .

●● النظام الشيوعي :

لا ينظر إلى الزنا نظرة عداء لأنه يتطلب مجرد الانجاب ، ويحبذ أن ينتسب الأطفال الى الجماعة لأن الأسرة في نظرهم من المظاهر الرأسمالية والحواجز الطبقية : « بمعنى ان الأسرة استئثار بثروة عامة هي جسد المرأة » !!

ثانيا : الربا :

وهو مبادلة مال بمال مع الزيادة ،

وهذا المال لا يشترط أن يكون نقدا .. ولكن يجوز أن يكون سلعة تباع وتشترى ..

وقد حرمه الاسلام تحريما قاطعا وحذر منه وحث على اجتنابه :

وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة/ ٢٧٥ .

(يمحق الله الربا ويربى الصدقات) البقرة/ ٢٧٦ .

وبشر الله الذين يأكلون الربا بأنهم خالدون في النار ، هذه نظرة الاسلام إلى الربا ، ذلك المرض الاقتصادي والاجتماعي الخطير ، الذي يغرس في النفوس الرذائل القبيحة من أنانية واستغلال وقسوة قلب وترهل .

أما المدنية الغربية فلا تقف من الربا موقف الرفض أو العداء بل تستحسنه وتحث عليه والأدلة كثيرة على ذلك : منها تلك البنوك الربوية المنتشرة في كافة أنحاء العالم والتي تتعامل بالفوائد وتقرض الأفراد ثم تسترد هذه القروض مضافا إليها الفوائد ، وحجتهم أن هذه الفوائد تؤخذ كنظير للخدمات وتغطية مرتبات العاملين بهذه البنوك على حين تتعدى هذه الفوائد في بعض الأحيان قيمة القرض الأصلي !

●● من ذلك يتبين لنا أن الاسلام يعني بتكوين الفرد الذاتي ، ويحرص على أن يكون مواطنا صالحا لنفسه ولأمته ، فيربي فيه الضمير الحي والأمانة والصدق وحب الخير والايثار ويهتم بتكوينه الجسماني والفكري والروحي ..

أما النظم الوضعية فلا تعني إلا بتحويل الأفراد إلى كوادر تسند النظام القائم أو السلطة الحاكمة .. وهي في الحقيقة لا تعني بالبناء الذاتي للفرد إلا بالقدر الذي تتطلبه العقيدة المادية والبناء الاقتصادي للدولة .. ومن هنا يتبين لنا أن هذه النظم ما هي إلا نظم وقتية فاسدة واهية .. لا تنجح في الغالب .. وإن نجحت فنجاحها يرجع فقط إلى أثر القواعد النظامية في بناء الجماعة !

أما الاسلام فهو نظام التشريع الرباني الكامل المستقيم .. دين القيمة ، ولذلك فإن تقليدنا لنظم المدنية الغربية الماجنة لن يعود علينا بالنفع كما قد يظن البعض .. فإذا أردنا أن نفيد من هذه النظم فيجب أن نأخذ صالحها ونطوعها لمبادىء شريعتنا الاسلامية وأصولها ، وهذا ما فعله المسلمون الأوائل منذ بداية قيام الدولة الاسلامية ، فقد سمحوا بتبادل الفكر ، والعمل في البلاد التي فتحوها .. في حدود الشريعة الاسلامية ، بحيث فقدت نظم هذه البلاد شخصيتها الأصلية ، وخضعت لغايات الاسلام ، وانصهرت في بوتقته .

من هنا لا يجوز أن نبيح مثلا الاختلاط بين الرجل والمرأة ،

وننادي بحرية المرأة !! أية حرية تلك التي نقصدها ؟ هل هي حرية الجسد ؟!

لا يجوز لنا مثلا أن ننقل النظم المصرفية الغربية كما هي لأنها ربا

صريح .. لكن يجب ان نحولها إلى نظم تتفق مع أحكام الاسلام وغاياته .

.. لهذا نحن نرفض مدنية الغرب التي ينادي بها البعض ، ونطالب بالعودة إلى مبادىء الاسلام والتمسك بأركانه وتطبيق أحكامه والثقة فيمن وضع دستوره إلها واحدا منزها عن كل قصور أو عجز . ولو عدنا إلى مبادىء إسلامنا والتزمنا بهديه فلا بد أن نجني الثمرة .. رقيا وسموا وازدهارا .. ونعود كما كنا أمة تملك الأمم وتدين بأحكامها شعوب الأرض .

.. وتعالوا نسأل أنفسنا : ماذا جنينا من مدنية الغرب ؟! إن المدنية الغربية التي ينادي بها البعض ليست في الحقيقة إلا محاولة من محاولات أعداء الاسلام لاحتواء الحضارة الاسلامية وغزوها غزوا فكريا وتحويلها إلى حضارة هشة ممزقة .. وذلك بعد أن وقعت بعض البلاد الاسلامية فريسة للنفوذ غير المسلم ففرض عليها التخلي عن تطبيق شريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية ونشر العادات القبيحة والأفكار السامة .

.. ماذا جنى المسلمون من هذه المدنية المزعومة ؟!

لم يجنوا غير النكبات والنكسات ؛ فضاعت معظم ممالكهم ، وسقطت راياتهم في كثير من البلاد ..

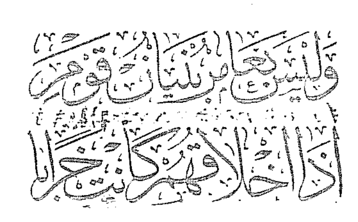
وفرضت الحدود المصطنعة بين بلدانهم ، وأخمدت فيهم روح الحب والتراحم ، وحلت محلها روح التشاحن والعصبية والعلمانية ، وخير مثال على ذلك ضياع بلاد الأندلس ، التي كانت حصنا حصينا من حصون الاسلام ، وسقوط فلسطين في قبضة اليهود ، وضم أرتيريا المسلمة إلى أثيوبيا الصليبية ، ودوران ألبانيا وأفغانستان في فلك الشيوعية والماركسية الملحدة ، وتقسيم دولة باكستان ..

ـ التي كانت من اكبر معاقل الاسلام في آسيا بعد أندونيسيا إلى دولتين .. باكستان الغربية ، وباكستان الشرقية وبذلك ضعفت أكبر قوة اسلامية في آسيا ..

.. واليوم نشهد والمرارة تعتصرنا حربا شرسة بين دولتين مسلمتين . فماذا جنينا من الغرب غير التشتت والدمار والانهيار ؟ لقد كنا خير أمة أخرجت للناس .. وصرنا أمة تتكالب على لحمها الأمم !

أليس من الجدير بنا أن نعود إلى الله بعد أن نسيناه فأنسانا أنفسنا ! فلنجرب العودة إلى الاسلام .. لنجرب !!

وليكن في حسباننا قوله تعالى في سورة الرعد / ١١ (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) .





لا ريب كان شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن الخضر بن محمد ابن تيمية النميري الحراني الدمشقي نسيج وحده، فهو علم الأعلام، إمام المجاهدين الصادقين الصابرين الأخيار، عالم رباني، وعى مصادر الثقافة الاسلامية، واستوعب ما كتبه وألفه أئمة الدين وشيوخه.

مولده:

وقد ولد شيخ الاسلام ابن تيمية

بحرَّان في شهر ربيع الأول ٦٦١ هـ ، وقدم الى دمشق في أثناء سنة ٦٦٧ هـ فسمع من شيوخها وتلقى عليهم علوم العربية والتفسير والحديث والفقه وأصولهما ، وكان خارق الحفظ والذكاء حتى أنه كان آية في ذلك ، فبرع في هذه العلوم ، وفاق الأقران وسبقهم سبقا بعيدا وهو ابن بضع عشرة سنة .

أسرته :

وابن تيمية من أسرة علمية جليلة ، وكان أبوه وجده من علماء الاسلام المبرزين وكانا مثلين سائرين في الزهد والورع ، وكانا يقومان بالخطابة والوعظ وخدمة القرآن والقيام على السنة مع الزهد والعفة والدين .

كان أبوه شهاب الدين عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية إمام حرَّان ، وقد عنى بابنه فأحفظه كثيرا من الآثار ، ودفعه الى دراسة العلوم اللغوية والأدب ، وفتح له أبوه خزانة كتبه ، وكانت تحتوي على كتب التفسير والحديث والفقه والسير واللغة والآداب و التصوف والتاريخ والفلسفة والكلام وحتى الأحياء والفلك مما ورثه عصر ابن تيمية .

نشأته :

نشأ الشيخ تقى الدين - رحمه الله - في تصون تام وعفاف وتعبد واقتصاد في الملبس والمأكل وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت .

ومات والده - وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم - فدرس من بعده ، وقام بوظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على الكرسي من حفظه دون أوراق ، فكان يورد المجلس ولا يتعلثم ، وكان يؤدي الدرس بتؤدة وصوت جهوري وقول فصيح .

أخذ ابن تيمية عن أبيه فقه المذهب الحنبلي حتى أتقنه كما أخذ عنه تفسير القرآن وحفظ كثيرا من الأحاديث النبوية ، ثم درس فقه المذاهب الأربعة ، وأصول الفقه في شتى المذاهب ودرس فقه الشيعة ودرس الفلسفة والنِحَلْ المختلفة .

صورة لعصر ابن تيمية :

كانت الدولة الاسلامية قد تمزقت الى دويلات تتطاحن فيما بينها وكان التتار - على الرغم من هزيمتهم في عين جالوت قبل أن يولد ابن تيمية - مازالوا يغيرون على بلاد الشام ، ويشنون الغارة تلو الغارة على دمشق يريدون الاستيلاء عليها ، وقد عاثوا في الأرض فسادا .

والصليبيون ما زالوا يحلمون بامتلاك أراضي المسلمين ويغيرون على السواحل ويستولون على المدن الساحلية وينالون من المسلمين فيقتلون منهم ويأسرون .

والعصر مليء بالفساد : فالولاة

يرتشون ولا يؤدون الأمانة ويبطشون بمن يقاومهم ويتمادون في سفاهاتهم وعبادة أهوائهم وشهواتهم ويستطيلون في الظلم والبغي والفساد دون خشية من الناس لذلتهم وهوانهم ، ولا من الله لأنهم لا يرجون لله وقارا ، وزاد تماديهم في ذلك ماتمدهم به حاشية السوء وبطانتهم الغاوية من لابسي ثياب العلماء والعباد زورا وبهتانا يداهنون الحكام خوفا من البطش وطمعا في العطاء وما عاد رجال كالعز بن عبد السلام يفرض عليهم هيبة الدين ، ولا كالنووي ينصح الحاكم فاذا رفض الحاكم نصيحته جابهه بأنه مملوك ينهب ماليس له وعليه أن يذعن لرأي أهل التقوى .

والجمود خيمت ظلماته على العقول ، وساد التقليد الأعمى في شئونهم الدينية والدنيوية ، قَلَّ أن تجد فيهم من يعرف نعمة الله عليه في إنسانيته فيقدرها ويحتفظ بها ويستعملها في التفكر في سنن الله وآياته القرآنية والكونية ، بل الناس فيه بجميع طبقاتهم مندفعون في تيار التقليد الأعمى مفتونون به ، زاعمون أنه الدين والهدى من مئات السنين لايخطر على بال أحد منهم أن ينظر الى هذا المجتمع وعقائده ودينه نظرة نقد وفحص وبحث ، ليعرف هل هم يدينون دين الحق من الاسلام الصحيح أم يدينون دين الجاهلية الأولى ؟.

فقد عادوا الى ظلمات الجاهلية والشرك والفوضى والتباغض والتقاطع والى قذارات التقليد الأعمى بالانسلاخ من آيات الله ، فأخلدوا الى ارض الأهواء والشهوات وغلبت عليهم خصائص البهيمية فغفلت قلوبهم عن ذكر الله . واتبعوا أهواءهم فكانوا من الغاوين ، وكان أمرهم في كل شيء فرطا ، واتخذوا أقوال الناس وأهواءهم شرائع تقدم على الشرع الحكيم المنزل من الله هدى و شفاء لما في الصدور .

وتجمدوا على المذاهب الفقهية ، فلا أحد يفكر خارج المذاهب الفقهية المتوارثة وكل حزب يتعصب لمذهبه ، ويكيد كل واحد لأخيه ، وانتشر الفساد ودور اللهو والخمارات حتى أصبحت أكثر عددا من المدارس .

وكانت الدويلات الاسلامية تتطاحن فيما بينها ، وبعض أصحاب هذه الولايات يمالىء التتار أو الفرنج الصليبيين ويظاهرهم على بني وطنه المسلمين ، ومن الشباب من يرخي الشعر تشبها بالنساء ، ومن الذين ينتسبون الى علوم الدين من يحلل المحرمات ، ومنهم من يمارس المجون حتى يفتضح أمره فيضطر قاضي القضاة الى الحكم بإعدامه .

وبعض المنتسبين الى التصوف يزعم أنه قد اتحد في الله فرفع عنه التكليف ، فلا ينهض لأداء أركان الاسلام ـ لا صلاة ولا صيام ولا زكاة ، بل يستبيح المحرمات وتعاطى الحشيش .

وقد حاج ابن تيمية الصوفية ، وكان يرى الصوفية المتأخرة مبتدعة لا يعرفها الاسلام ، أما التصوف الأول الذي ارتضاه السلف فهو جزء من

السنة والأثر ، ومن أمثلته ما في كتاب الزهد والورع لأحمد وكتب الخلال وآراء الجنيد والحسن البصري والحارث المحاسبي والفضيل بن عياض وما عدا هذا فهو يمثل عنده بدعة ويمثل هذا النوع الأخير في نظره : الحلاج وابن الفارض وابن عربي وابن سبعين وأضرابهم .

وفي كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » يحاج المتصوفة ويقول إنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أن لأولياء الله طريقا الى الله غير طريق الأنبياء وأن أسمى درجة يمكن ان يصل اليها بشر هي أن يكون عبدالله خاضعا لشرعته وأحكامه ، وان مقدار سمو العبد وارتقائه في مدارج المجد يتحقق بمقدار امتثاله لهذه الأوامر والنواهي الإلهية ، وأن الله عندما امتدح رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم امتدحه بأنه عبداً لله ، فقال في مقام الإسراء : **« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله »** الاسراء ـ ١ .

والعامة في يأسهم من العدل يلتمسون العدل والبركة في أضرحة الأولياء والمقبورين حتى لقد عادوا في جاهلية جهلاء وظلمة ليلاء ، فعادت الأصنام أكثر رواجا من أيام الجاهلية الأولى ، وعاد العمل والعبادات تقاليد ورسوما آلية ميتة لا تزيد النفوس إلا رجسا ولا القلوب إلا قسوة وظلمة ، ولا الأخلاق إلا انحلالا ومجاهرة بالفسوق والعصيان ، واتباعا لسلطان الهوى والشهوات وتحاكما الى الطواغيت والطامة الكبرى وراء ذلك أن يسموا كل هذا بسمة الاسلام ويزعموا أنه الدين الذي يستحقون به رضوان الله ونصره في الدنيا والآخرة .

وحاج ابن تيمية فرق المتكلمين من معتزلة وجهمية وقدرية .. وغيرهم ممن يراهم خارجين على السنة ومنهج السلف ، فهم يؤلون آيات القرآن الكريم ، وينكرون أن الله يستوى على عرشه وأنه ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا ، وينكرون الصفات كاليد والعين والوجه و القدم والنفس كما جاء بها القرآن الكريم ، وهم في ذلك فريقان : فمنهم المشبهة الممثلة الذين يشبهون الله بخلقه ، ومنهم المعطلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويزعمون أن فهم الآيات بظاهرها تشبيه لله بخلقه وهو منزه عن ذلك .

خرج شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ الى هذا المجتمع بصيرا بآيات الله فيه ، مؤمنا بنعم الله عليه متبعا ما أوحى الله الى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ مقتفيا آثار هذا الرسول الأكرم جهد طاقته واضعا نصب عينه هدفه الذي عرفه وحدده أدق تحديد : وهو تقوى الله بانقاذ نفسه وإنجاء الأمة مما تورطت فيه من التقليد الأعمى الذي أوهن فيها القوى وجرأ عليها الأعداء يتكالبون عليها من كل ناحية ، مؤمنا أصدق الإيمان بأنه لا سبيل الى نجاتها من شرورها وسيئات أعمالها ومن كيد أعدائها إلا بالرجوع الصادق الى كتاب الله وسنة رسوله ـ

صلى الله عليه وسلم .

مذهبه :

وينتمي ابن تيمية الى مذهب أهل الحديث والسنة يقول بمذهب الجماعة كأحمد بن حنبل ويخاصم المعتزلة والأشاعرة ، وينقد الأشعري والباقلاني وإمام الحرمين الجويني والغزالي ، وكان ينكر على الغزالي تحكيمه للفلسفة وقوانين المنطق في أحكام الشريعة وأصولها ، ويبين أنه إنما عول على ابن سينا وجماعته اخوان الصفا ، وأخذ عنهم من الفلسفة ، كما أخذ من مذاهب التصوف عن أبي حيان التوحيدي واستمد من «قوت القلوب» لأبي طالب بن مكي ، ومن كتب الحارث المحاسبي ، ومن رسالة القشيري ، وقد خلط التصوف بالكلام ، والأصول بالفلسفة ، وتأثر ابن تيمية - رغم ذلك - بأسلوب الغزالي في المناقشة والجدل واستعمل في ذلك أساليب الفلسفة واصطلاحات المناطقة في شتى رسائله وكتبه وله في ذلك كتاب « نقض المنطق » وكتاب « في الرد على الفلاسفة » .

وقد وقف ابن تيمية لجميع المذاهب المنحرفة والمخالفة لمذهب أهل الحديث .

وكان الامام ابن تيمية يترسم خطا الامام أحمد بن حنبل ويجله من كل جوانبه وبخاصة في الفقه والعقائد ، ويقول عنه : « صار أحمد مثلا سائرا في الزهد والورع ومثلا يضرب في المحنة والصبر على الحق ولم يكن تأخذه في الله لومة لائم حتى صارت الإمامة مقرونة باسمه في لسان كل أحد » .

ويعتمد مذهب ابن تيمية الفقهي على ستة أصول : الكتاب والسنة وكان لا يقدم عليهما شيئا مطلقا ، بل كان يأخذ بالحديث الضعيف في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال التي لها أصل ثابت .

والإجماع : وهو عند ابن تيمية ممكن حدوثه ، وقد حدث بالفعل في عصري الصحابة والتابعين ، ومرتبة الاجماع عنده بعد السنة ، وأقوال الصحابة وحَدُّ الصحابي عند شيخنا هو من صحب النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ولو لحظة وهو بهذا قريب من نظرة المحدثين الى من هو الصحابي .

والقياس : وهو عنده في مكان متوسط بين أن يعتمد عليه فيهجر النصوص وأن يهجره جملة وتفصيلا فهو يعتمد عليه عند الضرورة كغياب النص أو ضيق الوقت أو ما شابه ذلك ، وهذا نابع من موقفه من استخدام العقل في مجال الشرعيات حيث يجب ألا يقحم في غير مجاله .. ويعتبر ابن تيمية المصلحة المرسلة حيث يرى أن الصحيح منها هو المصلحة الحقيقية وهي داخلة شرعا في القياس الذي راعى الشارع جنسه البعيد .

وسد الذرائع ومنع الحيل : وابن تيمية يميل الى سد كل ذريعة اللهم اذا كان في منحها مصلحة تفوق مفسدتها فالأصل سد الذرائع ولديه من الأدلة

ما يقوي نظرته واجتهاده ، كذلك فجميع الحيل عنده حرام . وكثيرا ما خرج ابن تيمية على مذهبه الحنبلي الى ما يراه متفقا مع فهمه للكتاب والسنة ، ولا شيء إن وافق المالكية أو الحنفية أو غيرهم .

ويستمسك ابن تيمية بنصوص الكتاب والسنة لا يتجاوزها ، وفي مسألة صفات الله يعتمد النصوص ولا يتخطاها ، فيثبت ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له أعلم الخلق به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تشبيه ولا تمثيل له بمخلوقاته ، وينفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تأويل باطل .

فهو يثبت الاستواء والنزول والوجه واليد والنفس والعين وغيرها ، ويثبت الرؤية والكلام والسمع والبصر والارادة والعلم والحياة .. كل ذلك كما يليق بجلال الله من غير تشبيه ولا تعطيل ، وكما يفهم من قوله تعالى : « **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** » الشورى / ١١ .

وأوضح كتبه في ذلك : الفتوى الحموية الكبرى والرسالة التدمرية والرسالة العرشية والعقيدة الواسطية التي نصر فيها مذهب أهل السنة والجماعة .

وفي كتاب «السياسة الشرعية» يرسم القواعد لإصلاح حال الراعي والرعية بنظرة الفقيه المتشرب بروح الكتاب والسنة ، المتمرس بواقع الحياة وملابساتها .

وفي كتاب « التوسل والوسيلة » أنكر كل الوسائل التي اتخذها الناس الى الله ، وآذن أنها وسائل باطلة ، وانما يتوسل الى الله بالعمل الصالح وبما شرع .

وفي كتابه « منهاج السنة النبوية » شدد على الروافض في مسألة زيارة القبور ، وشد الرحال اليها وقال : إن منهم من يجعل الحج اليها أعظم من الحج الى الكعبة ، وهو يرى أن هذه المغالاة في تعظيم القبور والمشاهد وشد الرحال اليها لم يرد به كتاب ولا سنة ، وانما هي مفضية الى الشرك ، بل هي الشرك عينه .

كتبه :

ألف ابن تيمية في كل علم ، وجال في كل فن ، وصنف التصانيف الجليلة في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام ، والرد على الفرق الضالة والمبتدعة ، وله الفتاوى المفصلة وحل المسائل المعضلة حتى لقد بلغت تصنيفاته ثلاثمائة تصنيف منها : « الفتاوى » في سبعة وثلاثين مجلدا ، و« تعارض العقل والنقل » في أربع مجلدات ، و« الجواب الصحيح على من بَـدَّلَ دين المسيح » ردا على النصارى وهو في أربع مجلدات و«شرح عقيدة الأصفهاني » وكتاب « إثبات المعاد والرد على ابن سينا » وكتاب « ثبوت النبوات عقلا ونقلا » و« المعجزات والكرامات » وكتاب « اثبات الصفات » وكتاب « العرش » وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام » وكتاب « الحسبة في

الاسلام » وكتاب « الرد على القدرية » وكتاب « الرد على الاتحادية والحلولية » وكتاب «في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » وكتاب « تفضيل الأئمة الأربعة » وكتاب «شرح العمدة » في الفقه في أربع مجلدات ، وكتاب « الدرة المضيئة » وكتاب «المناسك الكبرى والصغرى » و« الصارم المسلول على من سب الرسول » و«الطلاق » و«خلق الأفعال » و « الرسالة البغدادية » و« التحفة العراقية في الأمراض القلبية » و « الرد على تأسيس التقديس » للرازي في سبع مجلدات ، و« العبودية في الاسلام » و« الفرقان بين الحق والباطل » ... وغيرها .

وفاته :

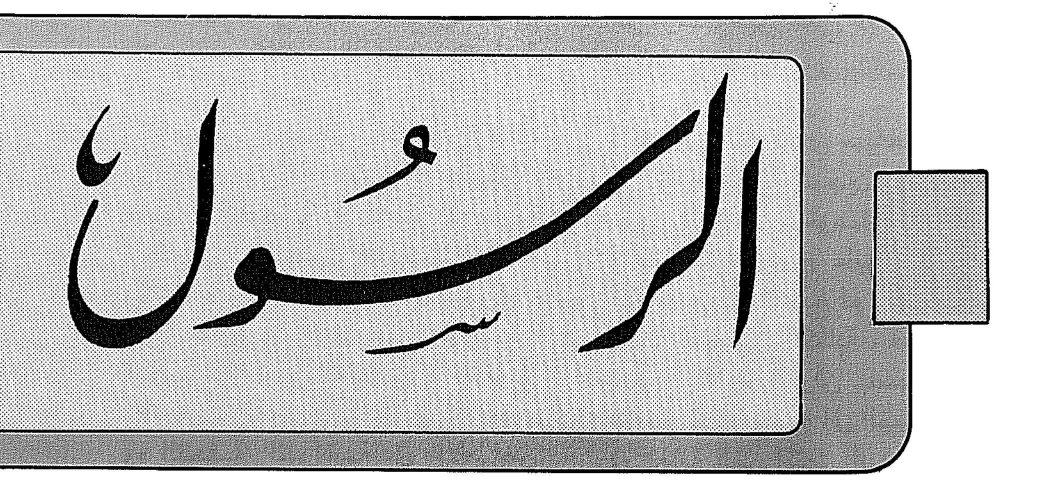
كان من نتيجة آراء ابن تيمية الخطيرة ، وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واغلاقه للحانات واراقته للخمور ، واعلانه للحق دون مواربة أومداهنة ، كان من نتيجة ذلك أن تألب عليه الحكام والعامة والعلماء ، وقادته جرأته في الحق الى المحن والخطوب حتى أنه سجن مرات ومرات ، وأوذي في بدنه ، فسجن في قلعة دمشق وفي سجون القاهرة والاسكندرية ، وكان يتنقل من سجن الى سجن تنقل النجم من برج الى برج ، فما يزيده ذلك الا صلابة في الحق ويقينا منه ، فكان يقول :

« ما يفعل أعدائي بي ؟
أنا جنتي وبستاني في صدري ...
أنى رحت فهي معي لا تفارقني ...
اما حبسي خلوة ..
وقتلي شهادة ..
واخراجي من بلدي سياحة » .

وظل الشيخ سجين قلعة دمشق نحو عامين ، ممنوعا من القراءة والكتابة وقد درج عليها منذ نعومة أظفاره ولكن الشيخ لم يحتمل طويلا وطأة المنع من الكتابة ، فكان يُصَبّر نفسه بتلاوة القرآن بصوت خاشع متهدج موليا وجهه الى السماء ، وكان في الغاية التي انتهى اليها من الورع حتى استأثرت به رحمة الله ، وفاضت روحه وهو يتلو قوله تعالى : « **ان المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر** » القمر / ٥٤ ، ٥٥ .

وخرجت دمشق تودعه وتبكيه أحرَّ البكاء ، رحم الله الإمام ابن تيمية ورضي عنه ، فلقد كان دائرة معارف في الأصول والفقه والتفسير والحديث والفرق والفلسفة والمنطق والكلام ، وشتيت من المعارف والفنون مما جعل له مركز الصدارة والإمامة ووضعه بحق في ذلك المركز الجليل الخطير مشيخة الاسلام حتى اقترن اسمه بها عند الاطلاق .

وهكذا صمت الرجل الذي ملأ الحياة من حوله ضجيجا وزحاما واضطراما بآرائه واقتحاماته الفكرية فضلا عن سيفه وصولاته الحربية ، وما زال فكره يملأ الحياة من بعده ضجيجا واضطراما ، وما زال حتى اليوم يحتفظ بضراوة الخصوم وحماسة الأنصار .



في السنة العاشرة من البعثة ، وبعد وفاة أبي طالب ، ووفاة خديجة رضى الله عنها ، وما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من معاناة في عام الحزن ، وما تحمله من ايذاء قريش وتكذيبها حتى قالت ـ كما ذكر القرآن الكريم . (اجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) سورة ص ٥ ـ ٧ بعد هذا التكذيب من قريش وانصرافها عن الهدى رأى النبي صلى الله عليه وسلم ان يقصد الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، لعله يجد فيها سندا وعونا .

لقي النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من زعماء ثقيف وسادتها ، هم ابناء عمرو بن عمير الثقفي وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، وألقى اليهم بنوره ودعوته ، فكذبوه ولم يستجيبوا لدعوته .

فقام النبي صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خبر ثقيف ، وخاطبهم في حلم النبوة ووداعة الرسالة ، أما وقد أعرضتم فاكتموا عني ، ولكنهم لم يكونوا أهلا لخير فلم يفعلوا . وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به حتى الجأوه الى حائط لعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وجلس عليه الصلاة والسلام الى ظل شجرة من عنب ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء اهل الطائف ، ولكنهما لا يريان ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، انه يرى في حلكة



الظلم والظلمات نور ربه ، ويشهد من عالم الغيب ما لم يشهده العابثون واللاهون من أهل الأرض ، وتصحبه معية الله تعالى فلا يغفل عن ذكره ومناجاته ، ها هي الجبال تبدو خاشعة متصدعة من مناجاته ربه ، وهو يرفع وجهه الى السماء ضارعا الى الله (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين•أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ، ان لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من ان تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

وهز المشهد مشاعر ابني ربيعة ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس ، وعمدا الى طبق فوضعا فيه قطفا من عنب وأمراه أن يذهب فيقدمه اليه ووضع عداس الطبق بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وعزم عليه ان يأكل فلما وضع يده فيه قال بسم الله ، ثم أكل ، وعداس ينظر اليه وقد استعرض في نفسه كل ما كان يكتمه من أمر انتظار هذا النبي الكريم ، ويحمد الله ان وجد أمله الذي من أجله ترك وطنه (نينوى) وضرب في أرجاء الارض يقصد الشام والجزيرة ويأوى الى الأديرة ، يسمع الارهاصات من الرهبان تبشر به وبقرب مبعثه ، وكيف عدت عليه قافلة سلبته ماله واحتجزته فباعته رقيقا حيث يعمل الآن لابني ربيعة ، وكأنما التصقت قدما عداس بالأرض لا يستطيع حراكا . وتعلق بصره بوجه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له النبي عليه الصلاة

والسلام ومن أي البلاد أنت وما دينك ؟ قال: نصراني من أهل (نينوى) قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فسأله عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ ، فقال: ذاك اخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

فاصاب الذهول ابني ربيعة وتشبث بهما كفرهما ، فلما عاد اليهما عداس بالنبأ قالا له: ويحك يا عداس ، لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه . واستغرق عداس في امره وشأنه ، وقفل النبي صلى الله عليه وسلم عائدا الى مكة .

★★★

كذب أهل الطائف النبي ولم يستجيبوا له ، فصرف الله اليه نفرا من الجن يستمعون القرآن ، وذلك بعد نزوله من الطائف ووصوله الى بطن نخلة ، وقيامه من الليل يصلي ويتلو القرآن **(فلما حضروه قالوا أنصتوا . فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم)** . الأحقاف ٢٩ ـ ٣٠ .

ثم كان الاسراء والمعراج فدعاه الله تعالى إلى حضرته ، وشرفه بالدنو منه ، وبعث جبريل بالبراق ، في أعظم موكب تشريف وتعظيم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** الاسراء/١

ذلك النص القرآني الكريم ، بدئت به سورة الاسراء ، وبدئت بقوله (سبحان) ، وقد روى طلحة بن عبيد الله انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، ما معنى سبحان الله فقال (تنزيه الله من كل سوء) وإذن فسبحان اذا قرنت بفعل تنزه وتعالى عن فعل البشر فلا قياس ولا مقارنة ، ثم قال (اسرى) وإذا اسرى الله تعالى فقد خضعت كل نواميس الكون وتبددت حجب الزمان والمكان ، واكتسى الكون كله بالجلال والرهبة ثم قال (بعبده) ليتحقق معنى العبودية للنبي ، والربوبية لله ، فيسخر الكون كله لهذه الرحلة التي لا مثيل لها ، ثم قال (لنريه من آياتنا) وفي هذا القول الكريم مدى لا يحد ، وغاية لا تدرك .

واذا كان الله تعالى قد أطلع ابراهيم على ملكوته **(وكذلك نُرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين)** الانعام / ٧٥ فكذلك يرى محمدا ما شاء ان يطلعه عليه من آياته في الأرض والسماء **(انه هو السميع البصير)** الذي سمع رد قريش وثقيف ، لرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وأبصر ما أساءوا به إليه فشرفه بالاسراء والمعراج .

رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في الاسراء في طريقه ما رأى ، وجمع الله له الأنبياء والرسل ، فصلى بهم في المسجد الأقصى ، ثم أدنى له المعراج فعرج به الى السموات العلا **(ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى** .

فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) النجم من ٨ الى ١٨ .

وفرضت الصلاة في السموات العلا ، وعاد النبي بها الى أمته كأعظم هدية تهدى ، تحدثت هند ابنة ابي طالب وكنيتها أم هانىء ، عن عودته صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فقالت فلما كان قبيل الفجر ، أهبنا رسول الله ، فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فقلت له يا نبي الله لا تحدث بها الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال والله لأحدثنهم) وخرج يحدثهم فكذب المكذبون وقالوا لأبي بكر إن صاحبك يقول كذا وكذا ، فيقول أبو بكر لئن كان قال لقد صدق ، فوالله إني لأصدقه في أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء) وكذلك صدق المؤمنون ، ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى .**) . النجم ٣ ، ٥ .

وتأتي بيعة العقبة ، ويأذن الله أن تكون يثرب هي المأوى الذي يأوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويهاجر إليه فتلقاه القلوب والأفئدة ، وتهتف الولائد والوالدان وترجع الجبال والروابي والسهول والوديان .

طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع.ثم تنطلق كبريات الأمور ، بدر وأحد والخندق والحديبية ومؤتة حتى فتح مكة حيث يحاصرها جيش النبي صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف مقاتل . يفتحها سلما ويشملها عفوا .

ولم تكتف ثقيف بما قابلت به النبي صلى الله عليه وسلم حين قصد اليها ولكنها تحالفت مع هوزان ولما تمض ايام على فتح مكة حيث جمعهم مالك ابن عوف النصري .. واجتمعت نصر وجشم كلها وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير يستشيرونه ويرجعون اليه في أمر الحرب ، وخرجت مع القبائل نساؤها وأبناؤها وحملوا معهم أموالهم وسمع دريد رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاة فسأل عن ذلك فقالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . فلما خاطبه دريد في ذلك قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم . قال دريد : وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك) وانحدر الناس من أوطاس الى مضيق الوادي عند قمم حنين ، ترى هل جاءوا ليهزموا المؤمنين حقا ، أو أراد الله أن يحملوا ذلك بأيديهم ليكون غنيمة في أيدي المؤمنين ؟ ..

لقد داخل بعض المؤمنين شيء من

الزهو والصلف حين ساروا الى عدوهم في اثنى عشر الفا من المقاتلين منهم عشرة آلاف هم الذين قاموا بفتح مكة ، والفان ممن أسلم من قريش ، فاعجبتهم كثرتهم وقالوا لن نغلب اليوم ، فأشهدهم الله تعالى نتيجة قولهم فكر عليهم العدو وفرقهم حتى كاد يهزمهم (**ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكفرين**) التوبة ٢٦ .

ويا له من مشهد رائع فقد التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر فيمن ثبت معه فرأى أم سليم ابنة ملحان . وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها ببردٍلها ، وانها لحامل بعبدالله بن أبي طلحة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم سليم ؟ قالت نعم بأبي انت وأمي يا رسول الله أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك منا تقتل الذين يقاتلونك فانهم لذلك اهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اويكفى الله يا أم سليم وكان معها خنجر ، فقال لها ابو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به .

وبهذه الروح العالية . وبفضل الله ورحمته هزم المؤمنون أعداءهم وقتل دريد بن الصمة بعد ان تنبأ بهزيمتهم . وفرت هوازن وثقيف تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين . اما مالك ابن عوف الذي قادهم ورتب صفوفهم ، فلما انهزموا فر مع ثقيف يحتمي بالطائف .

★★★

ويظهر وجه الطائف مرة أخرى ، ها هي التي أخرجت النبي صلى الله عليه وسلم وحيدا مكدودا يناجي ربه ويشكو اليه (اللهم إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس) ها هو يحاصرها بجيش لم تشهد جزيرة العرب من تاريخها له مثلا .

وها هي الجبال التي بدت خاشعة يوم مناجاته ربه . تبدو الآن مضطربة جياشة تهتاج قممها بما يزمجر به ويغلى هذا الجمع الحاشد والجيش الكثيف .. ويتوقعون أن يفتك النبي بأعدائه او ينقم ممن أساءوا استقباله ..

لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل شيئا من ذلك وان كان قد أرسى قواعد الحرب ، وعلم جيشه كيف يلبس لكل حال لبوسها ، فلمالك بن عوف وقد قاد الجيوش لحرب النبي لا مانع من هدم حصنه الذي يحتمي به في الطائف .

واهل ثقيف الذين تحصنوا بأسوارهم ودخلوا حصونهم يرمون جيش المسلمين من أعلاها بالنبل ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقل عسكره بعيدا عن مرمى النبل في مكان اقيم عليه مسجد الطائف بعد اسلام

ثقيف ، ثم امر الطفيل الدوسي ان يحضر طائفة من قومه (بني دوس) فزحفوا بالدبابات على أسوار ثقيف ورموا حصونهم بالمنجنيق .

وليكون الهجوم أكثر أثرا فقد عمد المسلمون إلى تحطيم معنويات ثقيف بتقطيع كرومهم وتحريقها وهي تمثل أعز ثروتهم حتى ناشدوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها لنفسه أو يدعها لله وللرحم .

وجاءت خويلة بنت حكيم وهي امرأة عثمان فقالت يا رسول الله اعطني ان فتح الله عليك الطائف حليَّ بادية بنت غيلان بن مظعون . او حلي الفارعة بنت عقيل ، وكانت من أجمل نساء ثقيف . فقال النبي صلى الله عليه وسلم وان كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟ .

ثم نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم أنه معتق من جاء إليه من الطائف فتوالت الوفود وكان عداس قد آل بعد قتل سيديه الى ثقيف . واسرع في جمع من الرقيق الى النبي وقد تاقت اليه نفسه ولكن سهما من سهام ثقيف اصابه ولما يبلغ صاحبه . وجاء وفد هوازن مسلمين فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وأبناءهم . وأخبرهم ان مالك بن عوف النصري إن جاءه مسلما رد عليه ما له واهله واعطاه مائة من الابل .

وجاء مالك بن عوف مسلما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ ماله وأهله ومائة من الابل بينما يسمع تنازع بين نفر من جيش المسلمين وقد عنفوا على امرأة كهلة من السبايا ، فقالت لهم تعلموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة .

كانت الشيماء ، أخت النبي حقا من الرضاعة ، فهش لها النبي صلى الله عليه وسلم وفرش لها رداءه وأجلسها فأسلمت وأعطاها ثلاثة أعبد وجارية واستوهبته (بجادا) من بني سعد ابن بكر بن هوازن فوهبه لها .

وأحرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة وأحرم المسلمون يهزون أرجاء الأرض وجبالها بالتلبية (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) .



ألا نهضة منكم

شعر : منذر شعار

أقيمي لنا سيف الجهاد مع الترس
بلادي ، وميلي بالرعال وبالعنس
لعل الذي أسرى بأحمد مفردا
يسير بنا جيشا لبيسان والقدس
لعار عظيم انك اليوم ناظم
قصيدا وأقصاك المطهر في رجس
فأحسن من ذا نظمك الموت لؤلؤا
مع اللبة الشوهاء والعنق النحس
أرى وطني في الحزم منطلق الوغى
ويحسن اسداء العزاء على البؤس
ويرمي ـ اذا يرمي ـ بقوس مجاهد
فترميه أعضاء القرابة عن قوس
لماذا وما بد لتحرير أرضنا
من القيمة الكبرى ومن شظف النفس ؟
لماذا وهذا الدين أول جامع
لنا تحت رايات الأشاوسة الحمس ؟
أكنا على غير الممالك نتكي
أكانت لنا الأبيات الا على الشمس ؟
أمد لنا سيف ولم تقطر الندى
أطال لنا حصن ولم ينس أو يخسى ؟
دخلنا على التاريخ فافترش العلى
وزفت لنا بيض المكارم في عرس
بخفقة سيف في كتاب عقيدة
جعلنا حطاما هيكل الروم والفرس

وهـانحن هـذا اليـوم أجـدر أمـة
بأن ترتدي ثوب البطولة كـالورس
دعوا يابني قـومي خلافـا وأقبلوا
على الجمع من غير ارتياب ولالبس
حضـارتنـا كـانت بُعَيْدَ محمـد
وكانت خرابا يوم ذبيـان أو عبس
ألا ليت شعـري مأقـول ومااللـذي
سنجنيه من حوك القصائد والهجس ؟
وأيـامنـا حـزن وقـدس صـريخـة
لنا تحت وطء اللطم والضرب والدعس
ألا نـهضـة منكـم ألا متـوثـب
كمـا وثب الابطال من قـومنا أمس
أإسـراء خير الخلق يـزهـر يـومـه
ومسراه عند المجرمين على حبس ؟
أتـرتـاح قـدس المسلمـين مغيظـة
علىفـاجـر بـين الجـوانح منـدس ؟
حلفت فلم أعْدُ الذي سبح الورى
له واستضاء المشرقان من الحس
لئن بقيت فينـا الحيـاة أعـز من
جهاد .. لقد نام التراب على الرأس
واني وان نـاحت بنـات قـريحتي
لمثـن عـلى ارثـي ومستلـهـم قنسي
فما غاب « عمار »ولا ضـن « خالد »
ومازال « عباس » يطـل من الدرس
هم سكبـوا المجد الكـريم بكأسنـا
فذوقوا بني قومي من المجد في الكأس

الرعال : جماعة الخيل
العنس : الابل .
القنس : الاصل
عباس : هنا : ابن عباس ، رضي الله عنهما والعرب تتجاوز في اللقب الابن الى الأب .



من الشبهات التي يثيرها بعضهم حول موقف الاسلام من الأعمال الزراعية بخاصة ، واليدوية بعامة ، الشبهتان الآتيتان :

الأولى : أن هنالك أحاديث نبوية ، وأقوالا مأثورة عن السلف الصالح ، تحتقر الأعمال الزراعية ، وتحذر المسلمين حيازة الآلات الزراعية ، لأنها نذير بالفقر والذلة .

الثانية : أن الاسلام بدعوته إلى الايمان المطلق بأن الله وحده : (**هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات/٥٨ ـ وأن الرزق مقسوم ومقدر منذ الأزل لكل مخلوق : (**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**) هود / ٦ : (**وفي السماء رزقكم وما توعدون**) الذاريات/٢٢ : (**ومانُنزله إلا بقدر معلوم**) الحجر/٢١

فالاسلام بهذه الدعوة ـ كما زعموا ـ لا يشجع الناس على السعي وراء الرزق ، والجدّية في العمل والكفاح ، قدر ما يشجعهم على التواكل على القضاء والقدر ، والاطمئنان التام إلى ضرورة وصول رزقه إليه في مكانه ، وإن قعد عن السعي والعمل ، مصداقا للحديث النبوي القائل : « لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه أحمد والترمذي

الأعمال اليدوية والزراعية

للاستاذ/الغزالي حرب

ودفعا لهاتين الشبهتين عن الاسلام الخالد على الزمان أقول : أشرقت شمس الاسلام ، في سماء الجزيرة العربية ، وهي في مجموعها ظلمات بعضها فوق بعض ، وسادتها وكبراؤها جميعهم ، او معظمهم يحتقرون الأعمال اليدوية بعامة والأعمال الزراعية منها بخاصة ، وما حاجتهم إليها ، وتقاليدهم الموروثة تقصرها على الإماء والعبيد ، وعلى الفقراء والمستضعفين ؟!! فماذا صنع الاسلام في مواجهة هذا التخلف العقلي والعملي الصارخ ؟ لقد أخذ أتباعه بتغيير ما بنفوسهم من رواسب وتقاليد فاسدة ، حتى يغير الله ما بهم ، فإذا هم بعد زمن وجيز ، خلق جديد مجيد ، في النظرة إلى الأعمال اليدوية والزراعية جميعها ، وإذا هم خير أمة أخرجت للناس ، بالعمل والمسارعة إلى العمل والاتقان لهذا العمل السريع والمواظبة على هذا الاتقان حتى اللحظة الأخيرة من الحياة ، وقد أحصى بعض الباحثين المحققين الآيات القرآنية الكريمة ، في الدعوة إلى ذلك أكثر من ستين ومائة آية ، ومنها ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) التوبة/١٠٥ (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**) الملك / ١٥ (**وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**) المزمل/ ٢٠ (**فمن**

يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة /٧و٨ **(وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى)** النجم /٣٩ ـ ٤١ **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها)** النحل/ ١٤ **(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** القصص/٧٣ ومن الأحاديث النبوية الشريفة المهتدية بهذه الآيات الكريمة ، الأحاديث الآتية ـ وهي غيض من فيض ـ : « ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة ، وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره ، لقي الله ـ تعالى ـ ووجهه كالقمر ليلة البدر » رواه البيهقي « سئل رسول الله عن أفضل الكسب فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أفضل الكسب : بيع مبرور ، وعمل الرجل بيده » رواه أحمد ، بهذا الهدي الاسلامي ، أدب الله رسوله فأحسن تأديبه طوال حياته و**(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** الانعام/ ١٢٤ وأدب الرسول أصحابه فأحسن تأديبهم ، نجوما يهتدي بهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، ولا سيما ناحية احترام العمل اليدوي بسلوكهم وأجوالهم قبل أقوالهم » :

فالرسول رعي الغنم والإبل ، ثم عمل في التجارة للسيدة خديجة بنت خويلد ، التي كانت هي الأخرى تاجرة قبل أن يتزوجها الرسول ، الذي لم يأل جهدا في تحبيب العمل اليدوي إلى أصحابه ، مهما يكن هوان هذا العمل الشريف على بعض الناس ، مصداقا للحديث الصحيح القائل : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتي إلى الجبل ، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه البخاري

ومن هنا رأينا أصحاب الرسول جميعا أو معظمهم يزاولون ما أتيح لهم من الأعمال اليدوية الشريفة ، وفي الصدارة منهم الخلفاء الراشدون ولا سيما عمر بن الخطاب ، الذي مارس العمل في السوق بائعا أو مشتريا حتى بعد توليه الخلافة الراشدة ، وما أروع كلماته العمرية المأثورة في الدعوة الحارة إلى العمل ، والتنفير الشديد من البطالة والكسل ، ومن هذه الكلمات الخالدة ما يأتي :

« إن الله يكره الرجل الفارغ من العمل » « لا يقف أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » « لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال »« تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته » ، وقال لرجل ترك عمله الذي كان يرتزق منه ، ثم رحل إلى المدينة ليحارب مع المجاهدين في سبيل الله : « ارجع إلى عملك ، فإن عملك بالحق لجهاد حسن في سبيل الله » « لأن يأتيني الموت ، وأنا أبيع وأشتري خير من أن يأتيني الموت وأنا ساجد لربي »« إن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى منا بمحمد يوم القيامة » سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي .

وكان لدرة عمر دورها في استجابة بعض الكسالى لهذه التوجيهات العمرية ، ولم

يفت السيدة عائشة أم المؤمنين ، أن تدفع المرأة المسلمة إلى العمل المنتج الشريف بقولها ـ مثلا : « المغزل بيد المرأة خير من الرمح في يد المجاهد » وإذا كانت الجزيرة العربية وقت ظهور الاسلام ، وخاصة فيما بين تهامة ونجد ، بعيدة بظروفها وأوضاعها عن التوفر على أعمال الزراعة والفلاحة ـ كما ينبغي ـ فإن الاسلام ـ هو الرحمة المهداة للعالمين ـ لم يفته مطلقا ، أن يهيئ الجو ويمهد السبيل ، ويذكّر بالعوامل والوسائل التي تساعد على إتقان كافة الأعمال الزراعية ، وتنمية الثروة الأرضية من القمح والذرة وغيرهما ، ومن أهم الأساليب التربوية الاسلامية في هذا المجال الزراعي ما يأتي :

أ ـ اسلوب التذكرة النافعة بأن الحرث والزراعة من أجل النعم الربانية ، والآيات الإلهية : (**أفرايتم ما تحرثون . أانتم تزرعـونه أم نحن الـزارعون**) الواقعة/٦٣و٦٤ (**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء**) الانعام/٩٩ (**فأحيا به الأرض بعد موتها**) النحل/٦٥ (**فأخرج به من الثمرات رزقا لكم**) البقرة/٢٢ (**أو لم يروا انا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم افلا يبصرون**) السجدة/٢٧ (**ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**) النحل/١١

ب ـ وأسلوب التوجيه التربوي للبصائر والأبصار نحو المزروعات والنباتات ، التي تمثل على اختلافها وتنوعها ، معرضا ربانيا فذاً جديرا بالتأمل فيه مدى الحياة ، والشكر لمبدعه في خشوع وصلاة ، (**وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه**) الانعام/١٤١ ولا معنى لشكر هذه النعم الكبرى ، إلا بالأكل منها حلالا ، والانتفاع بها مجالا ، وإخراج زكاتها حالا ، تطهيرا وتزكية لها كمّاً وكيفاً ، مع التزام الاعتدال ، وتجنب الإسراف ، (**كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) الانعام/١٤١

ج ـ وأسلوب التربية العملية للمسلم على تعود الغرس والزرع ، لأن اليد التي تعمل هي اليد العليا ، التي اعتبرها الرسول خيرا من اليد السفلى ، وبشّر صاحبها العامل الشريف ، بالثواب العظيم ، والأجر الكريم ، مصداقا لحديث البخاري وغيره : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » أما اليد التي لا تعمل ، في غرس أو زرع ، فليس لصاحبها أن يمسك أرضه عن انتفاع غيره من العاملين بها في سبيل المصلحة العامة ، روى البخاري وغيره عن جابر بن عبد الله : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها ، فإن أبى فليمسك أرضه » وعلى منوال هذا الحديث الشريف ، جاءت أحاديث أخرى صحيحة

د ـ وأسلوب التخطيط الزراعي السليم ، وتحديد الأنصبة الزراعية العادلة ،

روى البخاري عن قيس بن مسلم عن أبي جعفر : « ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع » .

هـ ـ وأسلوب الاحتياط للطوارىء والأزمات الزراعية ، ولكل زمن أسلوبه الملائم لظروفه وأوضاعه التي تختلف ـ ولا شك ـ عن ظروف وأوضاع عصر يوسف الصديق لنرى كيف كان أسلوب ذلك العصر في الاحتياط ومواجهة الأزمات : (**قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يَعصِرون**) يوسف/٤٧ ـ ٤٩ وبهذه الأساليب الاسلامية ، أخذت الحكومات الراشدة ، ومنها حكومة الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز الذي سجل له التاريخ ـ فيما سجل ـ أنه كان يحذر ولاته وعماله إهمال زراعة الأرض حتى لا تبور ، ومن هؤلاء العمال عدي بن أرطاة ، الذي كتب إليه عمر ما نصه : » انظر ما هو قبلكم (جهتكم) من الأرض فأعطوها بالمزارعة على النصف ، وإلا فعلى الثلث حتى تبلغ العشر ، فإن لم يزرعها أحد فامنحها ، وإلا فأنفق عليها من مال المسلمين ، ولا تُبيرنَّ قبلك (جهتك) أرضا » ، وهكذا لم يكتف الاسلام باعتبار الزراعة والفلاحة من الشئون الشعبية ، وإنما اعتبرها بلسان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز من الشئون الدولية الحكومية ، التي ينبغي بل يجب أن تعنى بها كل حكومة إسلامية تشعر بمسئوليتها أمام الله والتاريخ عن المصلحة العامة للأمة ، وقد كان عمر بن عبد العزيز في هذه السياسة الرشيدة ، متشبعا بالروح الاسلامية الأصيلة ، ومهتديا بجده عمر بن الخطاب الذي كانت له أرضه الزراعية بالمدينة ، وكان له أسلوبه في معاملة الناس عليها ، وإليه أشار البخاري بقوله : « وعامل عمر الناس على أنه إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر ، وإن جاءوا هم بالبذر فلهم كذا .... »

وفي ضوء ما سبق ، يتبين لنا أن الشبهتين المشار إليهما في مَطلع هذا المقال، لا تنهضان على قدم وساق : أما **الشبهة الأولى** : فتقول إن هنالك أقوالا منسوبة إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه فضلا عن عمر بن الخطاب والإمام مالك بن أنس ، وهي تنفر من الحرث والزراعة ، وتندد بهما وبأصحابهما ، وقد أورد ابن حزم هذه الأقوال ثم فَنَّدَها على الوجه الآتي :

أ ـ روى أسد بن موسى عن محمد بن راشد عن مكحول : « أن المسلمين زرعوا بالشام ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأمر بإحراقه ، وقد ابيض فأُحرق وأن معاوية تولى حرقه »

ب ـ وروي أسد بن موسى عن شرحبيل بن عبد الرحمن المراري أن عمر بن الخطاب قال لقيس بن عبد الغوث المرادي : « لا آذن لك في الزرع ، إلا أن تقر بالذل وأمحو اسمك من العطاء »

ج ـ وروى أيضا أن عمر كتب إلى أهل الشام : « من زرع واتبع أذناب البقر ، حلت عليه الجزية »

وفي التعقيب على هذه الروايات كلها قال ابن حزم ما نصه : « **هذه الروايات مرسلة أي غير متصلة السند إلى عمر بن الخطاب ، وراويها أسد بن موسى ضعيف أي لا يعتد بحديثه ، ويعيذ الله أمير المؤمنين من أن يحرق أرض المسلمين ، ويفسد أموالهم ، ومن أن يضرب الجزية على المسلمين** »

وكما نسبوا إلى عمر بن الخطاب هذه الأقوال نسبوا إلى الإمام مالك بن أنس أنه كان يكره الزراعة في أرض العرب محتجا بحديث رواه البخاري تحت عنوان « باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به » : عن أبي أمامة الباهلي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى سكة (حديدة تحرث بها الأرض) ، وشيئا من آلة الحرث ، فقال مشيرا إليهما :«لا يدخل هذا بيت قوم إلا دخله الذل » وفي رواية أبي نعيم :«لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخلوا على أنفسهم ذلا لا يخرج عنهم إلى يوم القيامة »

وعلى التسليم جدلا بصحة هذا الحديث الذي رواه البخاري ينبغي بل يجب فهمه على أنه إنذار بالذل للقاعدين أو المتقاعدين عن الانتفاع بآلات الحرث والزراعة . دون غيرهم من العاملين الذين يؤمنون أصدق الإيمان ، بمباركة الاسلام للأعمال اليدوية والزراعية على اختلافها .

وأما الشبهة **الثانية** : فتقول : إن الاسلام لا يشجع الناس على السعي وراء الرزق ، اعتمادا على أن الرزق مقسوم ومقدر لكل إنسان ، وسيأتيه في مكانه وإن لم يعمل كما يرزق الله الطير المتوكلة على الله حيث تغدو خماصا ، وتروح بطانا ، وخير ما يساعدنا على جلاء هذه الشبهة ، إعادة النظر فيما مَرَّ بنا من آيات وأحاديث ، تؤكد هي وغيرها دائما أن الاسلام دين **التوكل** لا دين **التواكل** ، وعماد التوكل على الله الأخذ بالأسباب والوسائل المعينة على العمل المنتج الذي دعانا إليه القرآن بقوله : (**وقل اعملوا**) كما دعانا إليه حديث الطير المتوكلة التي وصفها الرسول بأنها تغدو وتروح » ولم يصفها مثلا بالبقاء في أعشاشها دون ما غدو أو رواح ..

وكما دعانا الاسلام إلى العمل دعانا إلى المسارعة إليه ودعانا إلى إتقان هذا العمل السريع بقوله تعالى : (**إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**) الكهف/ ٣٠ وقول الرسول ـ كما روى البيهقي وغيره : « إن الله يحب من عبده إذا عمل عملا أن يتقنه » ، ودعانا كذلك إلى المواظبة على هذا الاتقان للعمل السريع المحكم بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلَّ » رواه البخاري ومسلم .

وإذا كان هنالك قصور أو تقصير ، فالذنب ذنب المسلمين لا ذنب الاسلام ، ورحم الله أحمد شوقي :

من عادة الاسلام يرفع عاملا ... ويسود المقدام والفعّالا
ظلمته ألسنة تعايره بكم ... وظلمتموه مفرطين كسالى !!

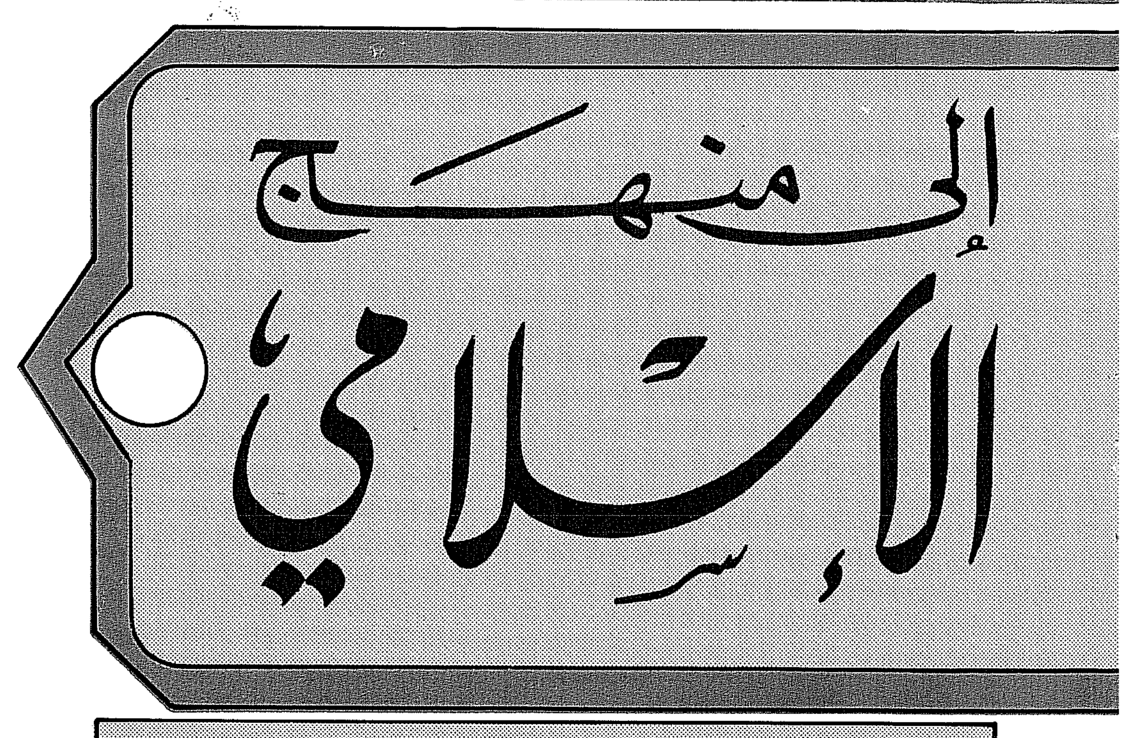


إن مصادر التاريخ الاسلامي في حاجة ماسة الي التمحيص ، لأن أخبارها جمعت في فترات الفتن والخلافات السياسية والمذهبية حتى استغل أعداء الاسلام من اليهود والمشركين هذه الفتن فاختلقوا الروايات التي تظهر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمظهر الذين باعوا دينهم وأنفسهم من أجل المال وزينة الحياة الدنيا الأمر الذي يثير التناقض بين هذه الروايات المفترض أنها تمثل الواقع ، وبين ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية عن صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فقد وصف الله هؤلاء الصحابة بقوله تعالى **(للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر ٧ ـ ٩ فكيف يقطع القرآن بصدق هؤلاء وتجردهم ثم نتبع من يكذب هذا الوصف ؟

قال الله فيهم **(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (خير أمتي قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) كما قال (لا تسبوا



للأستاذ / سالم البهنساوي

أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) رواهما الأربعة . التاج جـ ٣ ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

وقال الحافظ أبو بكر بن الخطيب البغدادي(لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما جاء في القرآن والسنة لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين القطع في عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم) العواصم من القواصم ص ٣٤ .

إن المسلم لا يمكنه التسليم بهذه المهازل عن رجال الصدر الأول للاسلام الذين نقلوا الينا القرآن الكريم وسنة النبي صلي الله عليه وسلم وجاهدوا بالمال والنفس لنصرة الاسلام .

ولقد أراد الله حفظ دينه بحفظ سنة نبيه عن طريق رجال من أشد الناس إخلاصا لدين الله وحبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فعكفوا على الأحاديث النبوية يستبعدون ما شابها من دس واختلاق ويتعقبون الكاذبين من الرواة بالبحث والتحري حتى

استأصلوا شأفة الوضع والوضاعين . كما وضعوا مناهج فريدة للبحث والتحري عن الرواة وتمييز الصحيح من الضعيف من الاحاديث . فظهر الجرح والتعديل ؟ حتى أصبح المجتهد والباحث في الفقه الاسلامي وأصول الدين يجد بين يديه ثمرة طيبة دانية القطوف أصلها ثابت وفرعها في السماء .

إن مناهج علوم الحديث والفقه والأصول توجب ألا يقبل الخبر إلا إذا رواه العدل الضابط عن مثله فيصل السند من غير شذوذ ولا علة ، وهذه المناهج تتحدى أرقى ما وصلت إليه مناهج البحث الحديثة في الدنيا كلها حتى يومنا هذا حيث انفرد المسلمون بالاسناد .

ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لكتابة التاريخ أو تصنيفه . فقد زاول المؤرخون كتابة التاريخ الاسلامي بأن جمعوا في مصنفاتهم كل ما سمعوه أو قرؤوه . فانضم الى هذا الكذابون والقصاص وأهل الأهواء والمذاهب السياسية ، وأصبح التاريخ الاسلامي وعاء لكل أنواع الأخبار الصحيحة والباطلة .

لهذا فإن مصادر التاريخ الاسلامي بحالتها لا تعبر تعبيرا حقا عن الأحداث . ومما زاد الطين بلة أن الكتاب في تاريخ الاسلام . مخلصهم ومغرضهم أقبلوا على هذه المصادر يأخذون كل ما فيها دون أن يكون هناك منهاج يسير الباحث على ضوئه ليميز الخبيث من الطيب ويهتدي سواء الصراط .

ثم ظلت عصور التاريخ الاسلامي الأخرى مرتعا خصيبا للدس والوضع والتجني والجهل بالاسلام فاستمسك بها أعداء الاسلام وأهل الملل الأخرى يأخذون منها نصالا مسمومة لتشويه تاريخ الاسلام والمسلمين .

ولكن لم يخل الأمر من ومضات أزالت بعض الشبهات ، وردت بعض المفتريات ولكنها كانت متفرقة لم تجمع في شكل بحث محدد أو منهج واضح .

لهذا فالمسئولية الملقاة على عاتق علماء المسلمين اليوم هي جمع أخبار التاريخ الاسلامي وتصنيفها وتحقيقها وتهذيبها في ضوء منهج لا يتعارض مع أصول الدعوة الاسلامية .

لقد وقع التاريخ الاسلامي ضحية مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على أصول الاسلاموإلباس الباطل ثوب الحق ، والطعن في رجال الاسلام وقادته ، وإضعاف عقائد المسلمين لاثبات أن الاسلام كان قولا لا عملا وأن المسلمين لم يثبتوا على دينهم إلا فترات قليلة من تاريخهم الأول ، ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة الأهواء كغيرهم من أصحاب الملل والنحل .

إن هذا الافتراء لا يستعصي على الرد أو التفنيد لو عكف المسلمون على التحقيق الجدي المثمر لأخبار تاريخهم بلا ملل .

إن المؤامرات على الاسلام وتاريخه ، لم تقتصر على أعمال بعض الأوربيين وعلى تقليد بعض العرب للفلسفة الأوربية ، بل امتدت الى تغيير

بعض أحداث التاريخ الاسلامي لتلائم الفلسفة الأوربية ، ثم امتدت المؤامرات الى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير المذهب الماركسي في تفسيره المادي للتاريخ ، وكان الرواد الأوائل من ذلك بعض صبيان الرأسمالية الغربية ثم أتباع الماركسية من الأعراب أو بعض من تحولوا من الفكر العلماني الى الاسلامي بكتابات أسهمت في بعض الأخطاء نقلا عن مناهج بعض المؤرخين الذين دونوا التاريخ الاسلامي أو كتبوا عنه .

مؤثرات في تدوين التاريخ الاسلامي

ترجع هذه المؤثرات الى عاملين : أحدهما استخدام العقل في غير موضعه ، والآخر ملابسات تدوين التاريخ الاسلامي .

استخدام العقل في غير موضعه ،

لقد احترم الاسلام العقل ، وأمر المخالفين أن يستخدموا عقولهم للتعرف على الحق . قال الله تعالى(**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون**) البقرة/٢٤٢ .

وسجل الله تعالى على المخالفين عدم استخدام عقولهم . فقال تعالى : (**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**) الملك/١٠

والاسلام قد وضع العقل في مكانه الصحيح ، لأن العقل يستمد حكمه من خلال الحواس الخمسة ، فلا يعرف الأبيض من الأسود إلا عن طريق حاسة البصر .

وبالتالي فالمجال الذي ينفرد فيه العقل بالحكم على الأشياء هو ما خضع لنطاق هذه الحواس . وأما الأمور غير المادية التي لا تخضع بذاتها لنطاق هذه الحواس ، فسبيل العقل فيها هو الآثار المادية التي تدل عليها ، فتعرف النجوم والكواكب التي لا تري **بالمناظير المكبرة** عن طريق الضوء الصادر عن هذه الكواكب ، ولهذا أرشدنا الله تعالى الى هذه الوسيلة في قوله تعالى : (**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة / ١٦٤ .

إن استخدام الانسان عقله في غير موضعه نشأ عنه صراعات وخلافات دفعت البشرية ثمنها ، ومازالت تجني آثار الصراع بين أصحاب المذاهب السياسية والاجتماعية على مر السنين .

ونتيجة لذلك ظهر ما يسمي بالمذهب الفردي والمذهب الجماعي . وأصحاب هذه المذاهب قد تجاوزوا حدود الفكر الذي **بنيت عليه فلسفتهم** ، فابتدعت كل طائفة تفسيرا لأحداث التاريخ الإنساني يؤيد فلسفتها كالفلسفة الأوربية والفلسفة المادية

كما وضعت كل فرقةمناهج للنفس

البشرية ، مع أن هذه النفس لا تخضع للتجارب المادية ، وبالتالى فالمناهج التي تبنتها كل فرقة ليست علما بالمعنى الصحيح ، فلم تبن على نتائج محددة لتجارب علمية ، ومن ثم اختلفت هذه المناهج اختلافا شاسعا حيث بنيت على الظن والتسليم بصحة المذهب الاجتماعي الذي انبثقت عنه . لقد ظهر ذلك في الفلسفة التاريخية الأوربية وفي منهاجها ومؤثراتها كأثر لحرمان الانسان من حرية التفكير ولحرق المئات من العلماء والمفكرين بدعوى أن هذا العلم في نظر الفكر الديني الأوربي السائد في القرون الوسطى هو سحر وهرطقة .

ومن المحزن المبكي أن المجتمعات العربية والاسلامية قد سادها أقوام ظلوا أتباعا للغرب ومذاهبه حتى انضموا إليه في اسقاط الخلافة الاسلامية ومحاربتها . لأن بريطانيا في زعمهم ستقيم لهم خلافة إسلامية عربية قرشية هاشمية . مما كان له بالغ الأثر في المنطقة العربية والاسلامية .

كما تجاسر أفراد للعمل على إخضاع الاسلام وقيمه للفكر الماركسي فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو مؤسس اليسار ومشرع مبادئه ، وأن أصحابه كانوا موزعين بين اليمين واليسار ولقد كان لهذه الفلسفات بشطريها أثر في فكر بعض المسلمين الذين يعلمون ظاهرا من علوم الدنيا وهم عن الاسلام غافلون .

فظهر الصراع بين أهل العقل وأهل النص ، وظهر ما يسمي باليمين الاسلامي واليسار الاسلامي .

وحاول كل طرف أن يؤيد مذهبه وفكره بتفسير خاطىء للقرآن والسنة النبوية وتحريف صريح لمواقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم

ملابسات تدوين التاريخ الاسلامي

إن هذه المغالطات التي استخدمها خصوم الاسلام في نطاق السيرة والتاريخ قد ساعدت عليها ملابسات ترتبط بتدوين التاريخ الاسلامي أهمها :

أولا : تأخر تدوين التاريخ الاسلامي

إن السنة النبوية قد دون بعضها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ثم دونت كلها في عصر التابعين الذين أخذوا عن الصحابة وكان ذلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ولكن أحداث التاريخ الاسلامي لم تدون إلا في منتصف القرن الثاني للهجرة بعد أن ظهرت الفرق السياسية والفلسفات المعادية وروجوا الاخبار والروايات التي تخدم مذاهبهم ومنها الوثنية والمجوسية والمزدكية .

ثانيا عدم تحقيق الروايات

إن الذين دونوا هذا التاريخ كان كل همهم جمع الروايات والاخبار التي تصل الى علمهم وتدوينها كما هي بغير

تمحيص ولا تحقيق لسببين : ـ
الأول : أنه قد نشأ علم الجرح والتعديل الذي كان المقياس لقبول الرواية أو ردها فكان معلوما أن هذه الروايات لن تؤخذ قضايا مسلمة بل ستخضع للتمحيص والتحقيق العلمي .
الثاني : سارع المؤرخون الى تدوين جميع الروايات الصحيح منها والسقيم قبل أن يحول الموت بينهم وبين جمع الأخبار ، وكان عذرهم أنهم يذكرون أسماء رواة الأخبار ليكونوا محل بحث وتمحيص .

ولكن لم يحصل اهتمام بتحقيق هذه الروايات بالميزان الذي محصت به روايات السنة النبوية لأن هذه الروايات تمثل عند هذا العصر أخبارا لا تتصل بالحلال والحرام .

ولقد استفاد خصوم الاسلام من عدم تحقيق هذه الروايات فنقلوها كما هي ونسبوها الى المؤرخين ليضفوا عليها الثقة وهي من الأكاذيب فمثلا ينقل الطبري عن أبي مخنف خبرا عن التحكيم ثم ينقله عنه ابن مسكون ؟ وكذا ابن الأثير ثم ابن كثير وابن خلدون ويخيل للقارىء أن الخبر قد رواه خمسة من الرواة وورد في ستة مصادر تاريخية وهو في الحقيقة قد رواه شخص واحد هو أبو مخنف الأزدي ، ومصدر واحد هو الطبري ، وهذا المصدر قد نبه صاحبه أنه نقل ما سمع من صحيح وسقيم للأمانة العلمية وأن ما ورد من روايات فيها شناعة فليس مسئولا عنها ولا يوثقها إنما نقل ما نقل إليه ليخضع للتمحيص والتحقيق .

كما قد يخيل الى القارىء أن الراوي أبا مخنف الأزدي هو الصحابي الجليل مخنف بن سليم بن الحارث الأزدي الذي كان أميرا على أصبهان من قبل الامام علي رضي الله عنه وقد روى له أصحاب السنن الأربعة ولكن بالبحث الدقيق والعميق يتضح غير ذلك ، فأبو مخنف الأزدي يروي عن التابعين فهو ليس من طبقة الصحابة وأسمه لوط بن يحيى ويكنى (أبو مخنف الأزدي) وهو حفيد الصحابي الجليل سالف الذكر ، وهذا الحفيد أغفله المؤرخون وعلماء الرجال فلم يرد اسمه ضمن الرواة الثقات أو الضعفاء فلا يجوز والحال هذه توثيق روايته .

ثالثا : تسرب فكر أعداء الاسلام

لقد استطاع خصوم الاسلام أن يروجوا الروايات المصطنعة للنيل من الاسلام ورجاله ، ولم يشعر المسلمون بهذا الخطر .

فمثلا، يلفق هؤلاء روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمر والنساء وروج ذلك جورج زيدان في رواياته التاريخية حتى أصبح اسم هارون الرشيد مقترنا بالمجون والخمر والنساء على الرغم من أن ابن خلدون في مقدمته قد نبه الى ذلك بقوله (ما علمنا عليه من صحبة سوء فقد قام بمنصب الخلافة من الدين والعدالة وبما كان عليه من صحبة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن

السماك ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم وما كان عليه من المحافظة على أوقات الصلوات بل روى الطبري وغيره أنه كان يصلي من كل يوم مائة ركعة نافلة ويغزو عاما ويحج عاما .

ويؤكد الامام الطبري أنه روى أخباراً شنيعة لا تقبل وذلك أداء للامانة نقلا عن غيره فيقول (فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماجنين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها صحيحا ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وإنما أوتي من بعض ناقليه الينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا) .

وفي ذلك يقول ابن خلدون (وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالطات في حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط) .

رابعا : الاعتماد على كتب الأدب :

لقد ألف الأدباء المعاجم والكتب خلال العصر العباسي ، وذلك لينالوا العطاء من الأمراء واتخذوا من الخلافات الأخبار المتناقضة سبيلا لتسلية الناس .

ولهذا اخترعوا القصص والروايات لتكون مادتهم في التسلية فأساءوا الى أهل الفضل والتقوى من علماء المسلمين ، فمثلا تضمن كتاب البيان والتبيين للجاحظ كثيرا من الخطب المنسوبة إلى الامام علي والى معاوية وفيها من التجريح وبذاءة اللسان ما يعف عنها السفهاء بله كبار الصحابة .

كما نجد في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه قصصا عن الخلفاء والأمراء والوزراء فيها من التناقض ما لا يصدقه العقل ، وفعل مثل ذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ، وهذه الكتب وغيرها من الكتب الأدبية غير المحققة لا تعد مصدرا للأخبار ولكن للأسف الشديد ينقل منها من يكتبون عن التاريخ الاسلامي ومنهم أساتذة في الجامعات العربية والاسلامية .

ولا يوجد عذر يحول بين هؤلاء وبين تحقيق الروايات وتمحيصها واستبعاد الروايات الباطلة والسقيمة .

خامسا : أخطاء بعض الفرق

كان من عوامل تحريف بعض أحداث التاريخ الاسلامي ظهور الاختلاف بين المسلمين وقد كانوا صفا واحدا ثم محاولة بعض الفرق اختلاق روايات تؤيد مذهبها وتحريف بعض المواقف وتفسير خاطىء لبعض نصوص القرآن والسنة مما ساهم في وجود مورد عذب لخصوم الاسلام لمحاولة تطويعه لخدمة مناهجهم يمينا أو يسارا .

من وحي الإسراء

بقلم : د/زيان احمد الحاج ابراهيم

الحمدلله محيينا من العَدَم ... حمدا جرى في عروقي كلها ودمي
حمدا كثيرا تعالى أن يحيط به ... حصر من العد أو وصف من الكَلِمِ
صلى الإله على الهادي وعترته ... وكل من لم يحِدْ عن نهج ذى الكرم
نعوذ بالله من آثام أنفسنا ... ومن جميع بذور الشك والتهم
ونشكر الله في سر وفي علن ... فمن يبادر لشكر الله يغتنم
فالحب في الله موصول بلا طرف ... ومن يحب لغير الله ينفصم

○○○

وقفتُ بالأمس والأحزان تعصرني ... من نزف جرح أراه غير ملتئم
فظلتُ أكتم آلاما تساورني ... أبثها سرَّ قرطاسي وفي قلمي
فنبضة القلب قيثاري بلا وتر ... ودمعة الحزن أشعاري بلا نغم

○○○

إني لأُطْرِقُ رأسي كلما خطرت ... ذكرى الرسول النقي الطاهر العلم
ذاك السراج الذي قد كان مبعثه ... نورا يشعُّ لخلق الله كلهم
جاء الأمين إلى قوم ليخرجهم ... بإذن ربهمُ من حالك الظلم
يقودهم حيث نور الحق يرشدهم ... ويخرجون من الأدغال والأجم
فناصبوه عداء بئس ما فعلوا ... والنفس أمارة بالسوء والتهم
وحاولوا حجب نور الشمس في يدهم ... ومجدوا راية الطاغوت والصنم

○○○

اقام دولته بالعدل وارتفعت ... راياتها ، إذ لغير الله لم تقم
ثم انبرى وسيوف الحق تكنُفه ... يُحيي ويبعث أقواما من الرمم
حتى تقهقر جيش الشرك مندحرا ... ورفرفت راية الاسلام في القمم
وزلزلت كل بنيان يقوم على ... قواعد الشرك والإخلال بالنظم
وخيم الأمن في نجد وفي حزن ... ولم يعد يفرّقُ الراعي على البُهم

○○○

وهب من بعده يعلو برايته ... غُرٌّ ميامين من عُرْبٍ ومن عجم
فدوّخوا الشرق حتى لان في يدهم ... واقبل الغرب في ذل وفي سقم
تلقفتها أياد بيض طاهرة ... تهوى الجهاد فسل عن سيف معتصم
أجاب صوتا لأخت قد دعاه على ... بعد المسافة لم يُغمِض ولم يَنم
وان نسينا صلاح الدين تذكره ... تلك الربوعُ من الإسراء والحرم
إذ قد أعاد الى الاسلام عزته ... فما أقام على خسْفٍ ولم يُسَمِ

○○○

كنا ، وكانت عرى الاسلام تجمعنا ... كالطود نشمخ والأعداءُ كالقزَم
كنا إذا شاكت الإسلام شائكة ... في اي شبر أحسَّ القومُ بالألم
كنا اذا ما اشتكى عضو تبيت له ... من حرقة سائر الأعضاء ، لم تنم
كنا إذا أنَّ في الأهرام منتصف ... لبى له الشام في جرّاره العرم
وان دعا في ثرى الزوراء مصطرخ ... أجابه في ذرا أوراسَ ذوهمم

○○○

لكن توالت على آثارهم شيع ... فاهملوا الدينَ في ركن من العدم
فسلط الله شذاذ الشعوب على ... خير البرية ، إذ هم أجبن النعم
[illegible]م قومي تنكيلا وتفرقة ... واوقع الله فينا أبشع النقم
وطوّحت من سماء المجد رايتنا ... فاليوم امتنا منكوسة العلم
واليوم نشهد أوصالا ممزقة ... جسما اشلّ ، صريع الداء والسّقم
واليوم أصبح مسرانا وقبلتنا ... أسيرَ قبضة أمشاج من الأمم
يدعو رجالا فلا تصغى لصرخته ... فالقلب في عمه ، والأذن في صمم

○○○

ياقوم هذى ديار المسلمين غدت ، كما ترون بحق ، ملعبَ القدم
ونحن صرنا لدى أقدامهم كرة وتحت رحمة مافون ومنتقم
اما ترون بانا أمة هزلت وخرَّبنيانُها ساقا على قدم
وأن شوكتها من كسبها ذهبت واصبحت ـ لَهَفِي ـ اضحوكة الأمم
وأن عزّتها العظمى قد اندثرت وانها اليوم قطعان من الغنم
فالمسلمون بكل الأرض جرحُهم نزّافُ حزنٍ كما هطالة الديم

○○○

اقول قولة حق ليس ينكرها قومي ، تسير كوشك البرق في الظلم
لا الشرق ينفعنا ، لا الغرب يسمعنا الدين يرفعنا في قمة القمم
ما لم تقم راية التوحيد شامخة ستنطوي صفحة الإسراء في العدم
وتصبح القدس مسرى النور أندلساً أخرى ، تضيع مع الأجيال والقِدم

○○○

فحكِّموا الشرع في قول وفي عمل وقوِّموا النشءَ بالإسلام يستقم
ووحدوا الصف بالإيمان تنتصروا وضمدوا الجرح بالتوحيد يلتئم
ورددوا صيحة بالله تربطكم « الله أكبر » جيش بالغُ العِظَم
فالنصر حق ورب العرش يمنحه لأمتي ان بحبل الله تعتصم

○○○

رباه أدعوك ملتاعا ومبتهلا بأن تجدد فينا ميت الهمم
وردَّ يارب اقواما لقد غفلت رداً جميلا الى الاسلام ذي النعم
واجمع على الحق والإيمان قادتها ومن تأسى بخير الرسل والأمم

○○○

فنحن يارب خطاءون أجمعنا وانت أوسع غفار ومعتصم
فلو بذلنا كنوز الأرض قاطبة والله ما ألّفت قربى ذوي رَحِم
لكنَّ قضاؤك يمضي نافذاً أبداً فاصلح البين واراب كل منفصم
وتمم الفضل والطف ياكريم بنا كما بدأت ، فاحسن خير مختتم

جزاء المهاجرين

قال تعالى : « والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسناً وإن الله لهو خير الرازقين . ليدخلنَّهم مُدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم » الآيتان ٥٨ و ٥٩ من سورة الحج

الصلاة

قال أحد العلماء : الصلاة معراج العارفين ، ووسيلة المذنبين ، وبستان الزاهدين .

حاجتنا إلى العلم

قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : تعلموا العلم فإنه زين للغني ، وعون للفقير ، لا أقول إنه يطلب به ، ولكنه يدعو إلى القناعة .

القدس

إليها كان إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها كان معراجه ، وفيها ثالث الحرمين .. وقد تعرضت على مر التاريخ لموجات من أهل الكفر والباطل ، حتى هيأ الله سبحانه للأمة الاسلامية صلاح الدين الأيوبي قائدا ، فحرض المسلمين على القتال ، وانقض بهم على جنود الصليبيين ، فاستنقذ بيت المقدس في سنة ١١٨٧ م ، وخرج الصليبيون يجرون أذيال الخيبة بعد أن استولوا عليه نحو قرنين من الزمان .

فما أحوجنا إلى البطل المسلم ليعيد مجد الاسلام والمسلمين من جديد !!

الصبر والقناعة ومحاربة الغلاء

يقول الشاعر :

إني رأيت الصبر خير معوِّل ... في النائبات لمن أراد معوّلا
ورأيت أسباب القناعة أكذبت ... بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا
وإذا غلا شيء عليَّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

تفاحة القلب

دخل عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - فوجده يداعب ابنته عائشة ، فقال عمرو : من هذه ؟

فقال معاوية : هذه تفاحة القلب .

قال عمرو : انبذها عنك ، فو الله إنهن ليلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغناء .

قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فو الله ما مرَّضَ المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع خاله .

هُدِيتَ وهدية أمتك

رغم المعاناة ، والمآسي التي يعيشها عالمنا الاسلامي المعاصر ، فإن أملنا في الأمة الاسلامية عظيم ، فقد ورد في الحديث عن الإسراء والمعراج ، وبعد أن صلى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعدد من الأنبياء في بيت المقدس أنه عرض عليه ثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فسمعت قائلا يقول حين عرضت عليَّ : إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته ، وإن أخذ الخمر غوى وغوت أمته ، وإن أخذ اللبن هُدى وهُديت أمته .

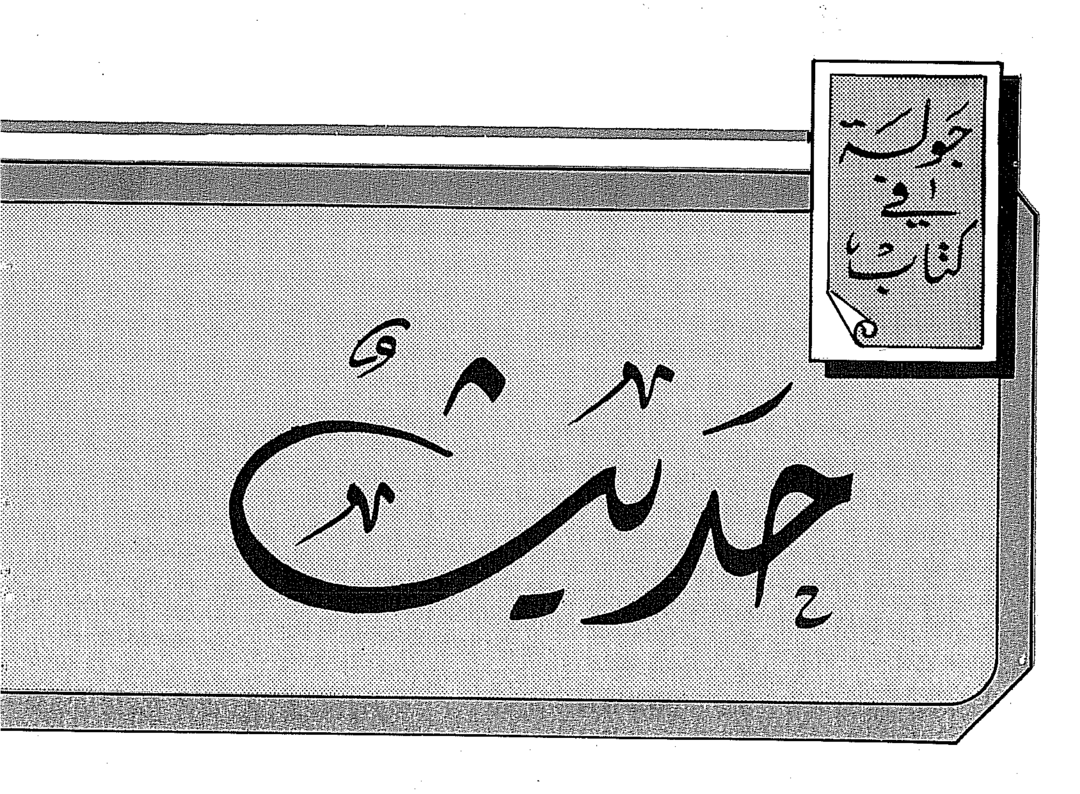
قال : فأخذت إناء اللبن فشربت منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُديت وهُديت أمتك يا محمد .

« من سيرة ابن هشام »

الجهل

يقول أحمد شوقي :

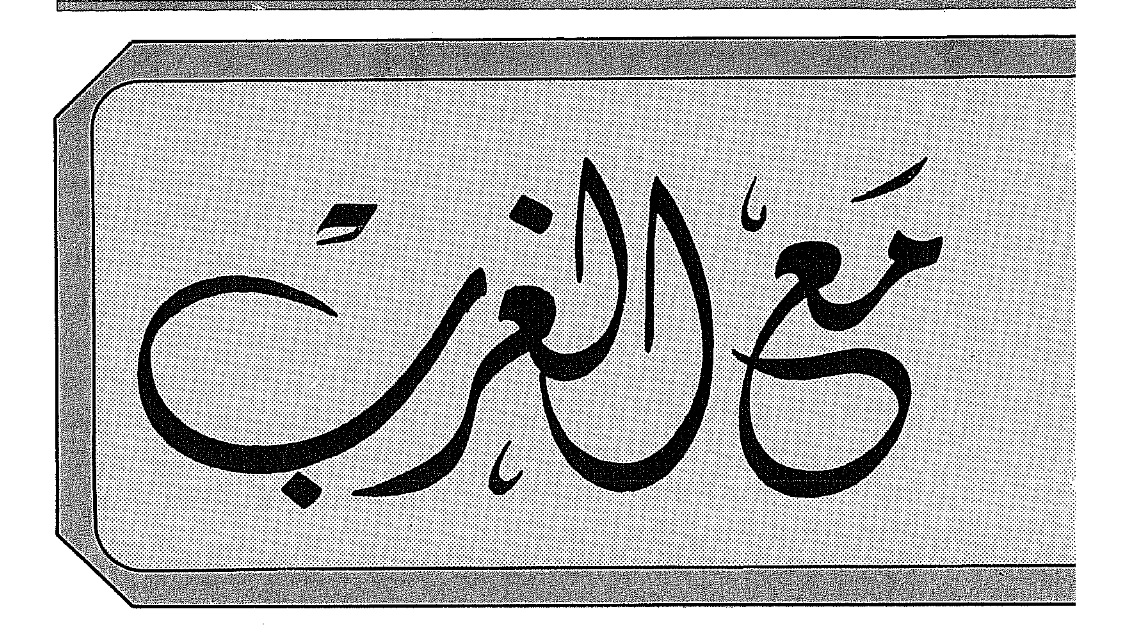
وفي الجهّال لا تضع الرجاء كوضع الشمس في الوحل الضياء
يضيع شعاعها فيه هباء وكان الجهل ممقوتا ذميما



قبل ان نقلب صفحات الكتاب ، لابد من إشارة سريعة الى الآثار العميقة التي احدثتها الحضارة الأوروبية في فكر العالم الاسلامي وعقيدته ، وفي طرائق عيشه واسلوب حياته ، فمما لا شك فيه ان نهضة اوروبا واستيلاءها فكريا وسياسيا واقتصاديا على العالم المعاصر ، كانت حادثا كبيرا ، باغت العالم الاسلامي الذي لم يكن قد أعد نفسه لمواجهة هذا الواقع المفاجىء ، فلم يعر هذه العاصفة الفكرية الشديدة التي هبت عليه عناية وانتباها ، حتى اذا هجمت عليه وجاست دياره وجد نفسه بين مواقف ثلاثة :

الأول : موقف مستسلم خاضع ، ومقلد أعمى ، اصحابه كانوا ذوى فكر محدود ، وقدرة ضئيلة على المواجهة ، إذ ما لبثت الحضارة الغربية أن بهرت أبصارهم ، وشلت مراكز التفكير في أدمغتهم ، فكانت النتيجة هذا الايمان الشديد بتقدم الحضارة الغربية في المجال العلمي أيا كانت اشكاله واتجاهاته ، وبقيمها الثقافية وبمذاهبها السياسية والاجتماعية ، متنكرين في ذات الوقت لقيم مجتمعهم وعقيدته ناعين عليه فقره وجهالته .

الثاني : موقف حانق ثائر لم ير أصحابه في الحضارة الغربية الوافدة الا شرا مستطيرا ، تجب محاربته والتصدي لأخطاره ، فتركزت معظم جهودهم في محاربته سياسيا وعسكريا ، دونما محاولة جادة منهم للتعرف على جوانب القوة والضعف في بنيانها . لقد رأوا في أصحاب هذه الحضارة محتلين لأرضهم غاصبين لأموالهم ، أكثر من أن يروا فيهم



تأليف العالم الاسلامي الهندي : أبو الحسن الندوي

عرض وتقديم شحادة مطر

محتلين لمعتقداتهم غاصبين لتراثهم ، فكانت النتيجة أن وجد الغرب سبيله الى الاحتلال الفكري والى بث سمومه ونشر معتقداته في العالم الاسلامي .

أما الموقف الثالث ، فموقف متأمل دارس ، أصحابه لا ينكرون الحضارة الغربية برمتها ، ولا يخلطون بين القيم والمبادىء التي جاء بها الأوروبيون وإما حققوه من تقدم مادي علمي ، لأن التقدم الأخير شركة بين الأمم كلها ، لا تحتكره أمة دون أخرى . وهكذا فاذا كان أصحاب هذا الاتجاه قد حاربوا بشدة الروح المادية الجشعة التي تسربت إلى كيان الحضارة الغربية وجرت منه مجرى الروح والدم ، فإنهم في ذات الوقت يحمدون لها تقدمها العلمي وبراعتها في شؤون التنظيم والادارة ، وهما الأمران اللذان يقفان وراء ما ينعم به أهلها من قوة وتقدم .

ويذهب هؤلاء إلى أبعد من ذلك فيقرون صراحة أن هناك مواطن نضج في هذه الحضارة لا يمكن أن تخطئها النظرة الموضوعية المتجردة وواضح أن موقفا كهذا يتسم أصحابه بكثير من النضج والعقلانية لابد وأن يكونوا على قلتهم أقدر على النقد والاختيار ،

وبالتالي أفعل في مد جسور التفاهم والالتقاء بين الشرق والغرب .

وكتاب « **حديث مع الغرب** » موضوع حديثنا يصور موقف هذه الفئة الثالثة في قوة وصراحة . ويقدم **ابو الحسن الندوي** فيه لرجال الدعوة وقادة الفكر الاسلوب القويم في مخاطبة الغرب ، أسلوبا ليس فيه ضعف المستسلم المتخاذل ، ولا سلبية الرافض الجاهل ، وهو من ناحية ثانية لا يكتفي بهذا القدر من الدعوة ، وإنما يوجه حديثه إلى الأوروبيين ، ويلفت انتباههم إلى ما هم فيه من أنانية ومادية جشعة ، سدت عليهم منافذ النور ، وباعدت بينهم وبين قبول الحق .

وهو لا ينسى أيضا أن يوجه حديثه إلى الشباب المسلم خاصة المغترب منه ، محذرا إياه أن يقع تحت تأثير حضارة الغرب فيفقد القدرة على النقد والاختيار ، ويدعوه إلى أن يقف منها موقف المتفحص المدقق ، فلا يأخذ إلا ما لا يتعارض مع مقومات أصالته وشخصيته الاسلامية .

والكتاب بعد ذلك مجموعة من المحاضرات التي كان العالم المسلم **أبو الحسن الندوي** قد ألقاها في بعض الجامعات الأوروبية والمراكز الاسلامية في لندن وبرلين وجينيف ، وغيرها من المدن الأوروبية تولى جمعها ، وترجم بعضها إلى العربية الأستاذ علم الله الحسني .

يتصدر الكتاب محاضرة بعنوان « رسالة الانسانية للشرق والغرب » يستهلها ابو الحسن الندوي بالاشارة الى الآثار الخطيرة الناجمة عن مقولة الشاعر الانجليزي « كيبلنغ » الشهيرة في بداية هذا القرن « الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان » فعلى الرغم من أن هذه المقولة لها جذورها التاريخية العميقة في نفوس كل من الشرقيين والغربيين لقرون طويلة ، كان يسودها في معظم الأحوال الحروب ، وما يستتبعها من كراهية وشك وحذر ، الأمر الذي جعل كليهما لا يعرف الآخر الا معرفة ضئيلة سطحية ، خاصة معرفة الغرب بالشرق الاسلامي ، نقول على الرغم من ذلك كله ، فاننا لا نعرف مقولة جنت على الانسانية ووحدتها ومناهج فكرها مثل ما جنت هذه المقولة ، لأنها تعمل كما يعتقد الندوى على ترسيخ فكرة توزيع الأسرة الانسانية الواحدة إلى اسرتين إحداهما غربية والأخرى شرقية .

ويعرض الندوي بايجاز لبعض الوقائع التاريخية الكبرى ، التي كان من المأمول أن تنتج آثارها الحميدة في تقريب الشرق إلى الغرب ، وفي تضييق الفجوة الكبيرة التي تفصل بينهما ، فكان أول تعارف الغرب بالشرق من قريب في الحروب الصليبية ، وإذا كانت هذه الحروب ، كما هو مقرر في تاريخ الحضارة ، لم تخل من فائدة ، إلا أنها نظرا للظروف والملابسات التي حكمتها لم تستطع أن تكون عاملا إيجابيا في التقريب بين الطرفين بل ساعدت في توسيع وتعميق الفجوة بينهما .

وكان أول تعارف الشرق بالغرب

من قريب يوم أن مد الغرب يده الحديدية القوية مدفوعا بمصالحه الاقتصادية والسياسية الى الشرق ، وبسط سلطانه على أقطاره وزحف إليه بحضارته وعلومه وأساليب حكمه ويذكر الندوي الأسباب التي اعتقد أنها قد حالت بين الشرق والافادة مما برع فيه الغرب وتفوق وبالتالي بين تقاربهما المنشود .

بالاضافة إلى قوة الصدمة التي أفقدت الشرق توازنه وشلت تفكيره أمدا طويلا ، يذكر القيم المادية للحضارة الغربية التي تتعارض في العديد من جوانبها مع روحانية الشرق ومثاليته ، والشعور الزائد بالسيادة وكرم العنصر الذي اتسم به المستعمرون ،والأعمال التي كانوا يرتكبونها مما لا يتفق مع ابسط قواعد السلوك الانساني ، ومما يتناف مع روح الديمقراطية الغربية التي دافع عنها الأوروبيون أنفسهم في بلادهم دفاعا مجيدا .

بعد ذلك يعرض ابو الحسن الندوي للدور الذي لعبته حركة الاستشراق فهو مع تسليمه بما لها من مآثر كثيرة وأفضال مشهودة ، إلا أنه يعتقد أنها لم تكن في مجملها بعيدة عن الشبهات ، لذلك لم تستطع أن تقدم صورة واضحة صادقة عن الشرق خاصة فيما يتصل بالدين الاسلامي ، بل هناك شعور واضح لدى معظم المسلمين بأن رباطا ما كان يجمع بين حركة الاستعمار وحركة الاستشراق فضلا عن الروح الدينية الضيقة التي كانت وراء نشاط كثير من المستشرقين .

ويلخص الأسباب التي باعدت الشرق والغرب بعضهما عن بعض في سبب رئيسي يرد اليه كل اختلاف وانشقاق بينهما ، الا وهو اختلاف المجال الطبيعي الذي استأثر باهتمام كل منهما ، فاذا كان الشرق قد اتجه باهتمامه منذ القدم الى الانسان في ذاته من حيث بنائه واعداده لحمل الأمانة التي تعهد بحملها ، وهي خلافة الله تعالى في أرضه الأمر الذي جعله على اتصال قوي ودائم بالسماء ، فإن الغرب ولظروف تاريخية يطول شرحها كانت قد ضعفت صلته بالسماء بعدما فقد ثقته بالدين والأديان وهو ما قوى عنده الاتجاهات والنوازع المادية ، واتجهت عنايته لا إلى الانسان وإنما إلى بيئته ومحيطه ، إلى الطبيعة وعلومها ، واستطاع أن يحقق في هذا الميدان إنجازات عظيمة لم تشهد لها البشرية مثيلا ، وهكذا فشقاء الانسانية كما يعتقد أبو الحسن الندوي هو في انفصال الشرق عن الغرب،في انفصال العلم عن الايمان ، فالايمان مايزال ينتظر مرافقة العلم ، والعلم لا يزال ينتظر مراقبة الايمان ، والانسانية لا تزال تنتظر التقاءهما وتعاونهما لبناء مجتمع انساني جديد .

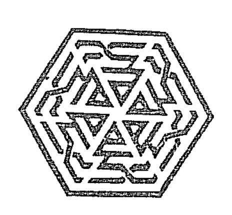
وفي محاضرة اخرى القيت بجامعة برلين ، تحدث ابو الحسن الندوي الى الشعب الألماني ، فأشاد بما اتسم به من جدية وكفاح ، وبالانجازات الفكرية والعلمية العظيمة التي حققها مفكروه وعلماؤه . إن الشعب الألماني

كان مهيئا بما حباه الله من امكانات مادية ومعنوية للثورة على أسس الحضارة الغربية المادية ، هذه الأسس التي حولت الانسان إلى مارد غوى وآلة صماء ، لا روح لها ولا قلب ، وحولت الحياة إلى رحلة لا غاية لها . لقد كانت المانيا ومعها أوروبا كلها بحاجة إلى ثورة أعمق وأوسع ، وأعود على الانسانية بالخير من كل الثورات التي قام بها رجالاتها ، وقادتها في العصر القديم والحديث ، إنه لشيء يبعث على الأسى أن تقع ألمانيا ومعها أوروبا أسيرة الأغلال المادية بعدما جاهدت طويلا لتحطيم الأغلال التي كانت تكبلها الكنيسة بها .

وينتهز الفرصة فيدفع عن الاسلام ما روج له المغرضون في اوروبا من تهم باطلة ضد الاسلام أرادوا عن طريقها تشويه صورته وصورة نبيه الكريم العظيم ، والحيلولة دون فهمه ، فضلا عن تقديره ومد جسور التواصل ومع الشعوب المؤمنة به ، الأمر الذي لو تم لكان عائده خيرا على الانسانية جمعاء . ثم يذكر بعض العوامل التي كانت وراء الحملة الظالمة على الاسلام إذ لعبت الحروب الصليبية . ولعب رجال الكنيسة والمؤلفون الأوروبيون الذين سيطرت عليهم العاطفة الدينية المتعصبة ، دورا كبيرا في تلك الحملة .

ولما كان يؤمن بأن الشباب هم عدة المستقبل للأمة الاسلامية ، وقادتها في المستقبل ، فقد خصهم فضل عنايته ، خاصة أولئك الذين يقيمون في ديار الغرب سواء كانت إقامتهم طلبا للعلم ، أو كانت سعيا وراء الرزق ، وقد دارت احاديثه إليهم على محورين رئيسيين يسلم كل منهما إلى الآخر **الأول** دعوتهم الى الألتزام بقيم مجتمعهم وتعاليم عقيدتهم الحنيفة ليكونوا القدوة الصالحة والصورة المشرقة ، فيكسبوا احترام المجتمعات التي يقيمون فيها . أما **الثاني** فهو تحذيرهم وتنبيههم الى مواطن الزيف والضعف التي تعتور حضارة الغرب والتي مازالت تهددها بالانهيار باعتراف كثير من الأوروبيين أنفسهم ، منتهزا الفرصة بين الحين والآخر لعقد المقارنات كأسلوب للاقناع بين قيم هذه الحضارة ومقولاتها وبين قيم ومقولات مجتمعاتهم وعقيدتهم الاسلامية .

إن أهم ما يميز ابا الحسن الندوي في كتابه هو ، **هذا الاتجاه الانساني الرحب والعميق البعيد عن كل اشكال التعصب** ، وهذه الاحاطة الشاملة الواعية بالتاريخ والعقائد ، وهي إحاطة رافقتها نظرة عميقة فاحصة استطاع من خلالها الكشف عن أهم الأمراض الفكرية والاجتماعية التي ابتليت بها الحضارة الأوروبية المعاصرة والتي تهددها في ذات الوقت بالانهيار .





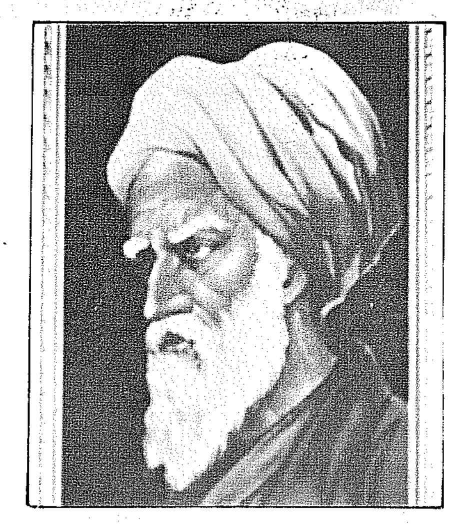
للدكتور / كمال الزناتي

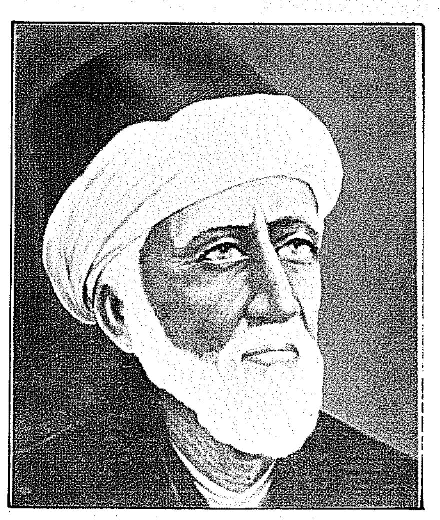
بسم الله الرحمن الرحيم

« إمـا يبلغن عندك الكبـر أحد هما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما »

يحيا الانسان على الأرض في أطوار طفولة وشباب ورجولة وشيخوخة والشيخوخة في لفظها كانت مناغمة للعجز الصحي والتدهور الفكري والضعف والمرض الذي لا يملك الطب أمامه شيئا ولا يمكن تجنبها وأن المسنين هم طبقة من الناس في حاجة الى المساعدة ولهم طلبات وليس لهم إنتاج وفي الماضي كان بلوغ سن معينة هو إجبار من قبل السلطات للشخص بتركه عمله وعزله من نشاطه في المجتمع وما يصاحب ذلك من انحطاط في صحته العامة وقواه الفكرية وكره للحياة حيث يشعر أن لا فائدة منه للآخرين .

وفي إحصائية أجريت في عام ١٩٨٠ م . بلغ مجموع الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة في العالم ٢٦٠ مليون وهم بذلك يمثلون ٨ر٥٪ من سكان العالم وفي عام ٢٠٠٠ يتوقع أن





يكون عددهم ٤٠٠ مليون بحيث يمثلون ٦ر٤٪ من مجموع سكان العالم . وتدل الاحصائيات أن تحديد سن للاعتزال وراء انتشار أمراض القلب والبدانة وضغط الدم والكآبة النفسية بل والأمراض الخبيثة والحوادث المختلفة . لذلك فإن ما تفعله بعض الدول بجعل سن محددة لاعتزال الخدمة ليفتح المجال للآخرين ولمنع البطالة جعل المسنين ينظرون الى أنفسهم أنهم أناس يستكملون آجالهم تحت رعاية أبنائهم .

وإذا كان هناك بعض المسنين ممن يعانون من انحطاط في قواهم الطبيعية فإن مرجع ذلك يكون بسبب إصابتهم ببعض الأمراض العضوية وليس مرجعه التقدم في السن ولا يجوز تعميم هذه الظاهرة على كل المسنين . صحيح أن الشيخوخة تقلل من المقاومة للأمراض عامة ولكن بالتقصي والفحص الطبي والرعاية الاجتماعية للمسنين أمكن التوصل لمنع كثير من العلل التي تصيبهم كضعف الذاكرة وحماية الجسم ضد الأمراض المعدية التي كانت تودي بحياتهم ولقد اهتم كثير من المراكز العلمية بالدراسات في هذا الشأن وإصدار توصيات من أجل حياة أفضل للمسنين حاليا ومستقبلا فمن أبناء اليابان في عام ١٩٥٠ لوحظ أن ٥ر٦٧٪ ممن تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة كانوا يعتمدون اعتمادا كليا في حياتهم على الغير وفي عام ١٩٨٠ أصبح عدد الذين يعتمدون على الغير ٤٩٪ أي أنهم يستطيعون الاعتماد على أنفسهم أكثر من ذي قبل .

ومن الملاحظات لحياة الذين وصلوا سن السبعين أنهم يستطيعون العطاء بتقوية الروابط الأسرية والمشاركة في إبداء الرأي والمشورة المبنية على الحكمة والتجربة وهما أغلى شيء في تسيير الأمور والرقي بالمجتمع .

ففي عام ١٩٥٥ أجريت تجارب على ٤٧ رجلا تتراوح اعمارهم بين ٧٠ - ٨٠ سنة وفي عام ١٩٦٦ كان معظمهم على قيد الحياة ومظهرهم جيد ويبدون في سن أقل من الحقيقة حيث أسندت إليهم أعمال تتناسب مع سنهم ووضعوا تحت الاشراف الصحي مع برنامج في التغذية والرياضة والتسلية .

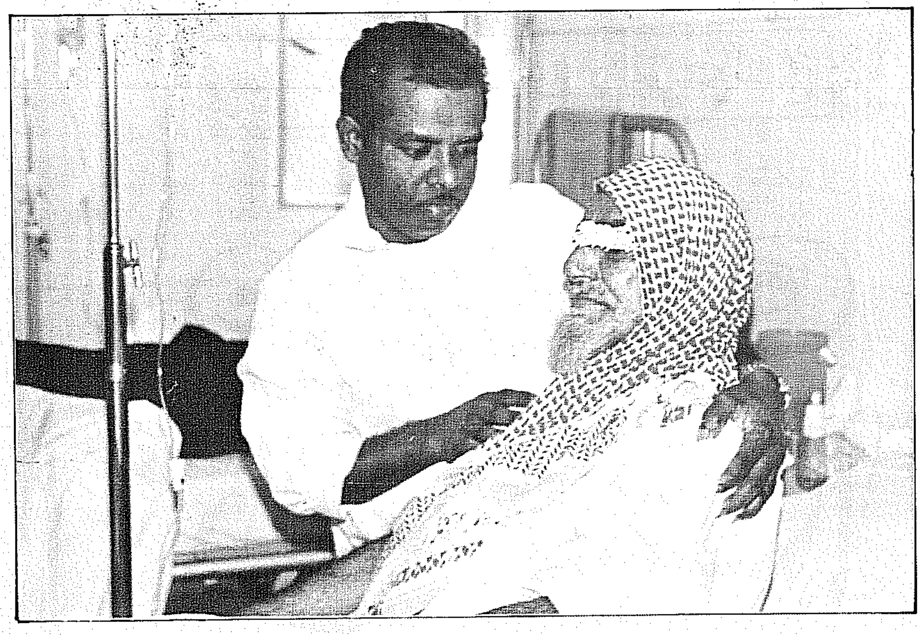
وفي المجتمعات النامية فإن معظم الأيدي العاملة في الزراعة وفي غير هذا المجال يكون الاعتزال بناء على رغبة الأفراد لا طبقا لسن محددة وباستمرارية العمل يقل الفقر والتفاوت في الطبقات ومما لا شك فيه أن الحكمة وخبرات الحياة تزداد كلما تقدم الانسان في السن وما أحوج العالم الى الحكمة في جميع نواحي الحياة لتهدأ النفوس وتطمئن القلوب في هذه الحياة المتصارعة . إننا لا ننكر على الغرب أو ما يقال عنهم الدول المتقدمة تقدمهم الصناعي في شتى الميادين ولكننا نؤكد تخلفهم الانساني نحو أنفسهم ونحو العالم أجمع فهم يودعون المسنين من آبائهم المصحات ودور الرعايةويأبى ديننا هذا علينا وتأباه علينا فطرتنا فالمسنون من آبائنا في أعيننا والأخلاقيات والحمد لله تكاد تكون ثابتة في بلادنا ولا تتغير بالسرعة التي تتغير بها الحياة الاقتصادية أو التقدم التكنلوجي (التقني) وهذا مما يبشر بالخير وينبه بضرورة التمسك بقيمنا وعاداتنا وديننا حفاظا على روابط الأسرة فإن الأسرة المتماسكة خير بيئة لتقديم الخدمة للآباء وليس في دور الرعاية أو المستشفيات فلا تقطع عن المسن حنان الأسرة المتأصل في النفس والنابع من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ذلك أن احتياجات كل مسن تختلف عن الآخر ولا يجوز تعميم الخدمة وتوحيدها لكل هذه الفئة فبعضهم يميل للعمل وبعضهم يميل للمرح وبعضهم يميل للقراءة أو الجلوس الى أصدقائه وفي هذا الصدد نرى الاختلاف في المزاج فمنهم من يحب الجلوس مع من في عمرهم والآخر يحب صداقة الشباب وفي دور الرعاية والمؤسسات تحطيم لهذه الرغبات والمسنون في الواقع لا يريدون أن يكونوا فئة لها وضع خاص في المجتمع تعزل في دور معينة ولكنهم في مجتمع واحد متماسك لا ينفصلون عنه ورعاية الابن لأبيه والجار لجاره والصديق لصديقه من صميم السلوك الانساني وهو السلوك السوي الذي يجب أن يكون بيننا في جميع مراحل العمر وليس كما تفعل المجتمعات التي تعتبر نفسها متحضرة حيث يعاملون المسن معاملة المريض يكفيه الطعام والدواء لقد نسوا أن الاتقان في العمل إنما نتعلمه دائما ممن هم أكبر منا سنا والنماذج المتازة في إتقان العمل إنما هي دائما من نتاج المسنين سواء في الفنون أوالآداب أو العلوم لذلك فمن المفيد الاستفادة من خبراتهم كمستشارين في تخصصاتهم والاستفادة من أثمن وأغلى مرحلة من العمر حيث القدرة في النفاذ الى أعماق

الحقيقة والمسنون اليوم مطالبون بأن يقودوا مجتمعاتهم بالحكمة التي تجنب أوطانهم الجدال التافه والمهاترات والنزاعات المخادعة وبخبراتهم يوجد التعاون بدلا من التنافس العقيم على التوافه من الأعمال ويكون الاهتمام بالأمور النافعة للأوطان بدلا من التعسف والقهر الذي تتعرض له كثير من شعوب الأرض نتيجة القيادات حديثة السن قليلة الخبرة عديمة التجربة قليلة الحكمة في تدبير الأمور أما على مستوى العائلة فيعتبر الجد المعلم للأطفال في البيت عندما يكون الأب منشغلا في السعي على الرزق ومنه ومن حكمتهتكون التربية للنشء فإذا تفككت الأسرة فما لهذا النشء من مرب الا الخادم وشتان بين هذا وذاك والعلم والتعلم لا يكون في المدارس والكتب فحسب ولكن من خبرات الحياة ومن أجل ذلك لابد من التركيز على مزيد من العناية تجاه المسنين واحاطتهم بما يستحقونه من التكريم والرعاية مفسحين لهم مجال الاستمرار في العمل في المجتمع الذي بني بأيديهم وعلى أكتافهم ولا يبخلون على المجتمع في شتى النشاطات الاجتماعية فهم أصحاب دراية وخبرة وهم القادرون على إعطاء الأجيال الشابة من خلفهم خطوط الحضارة والتقدم وتاريخ الأحداث لجعل الغد أكثر إشراقا .

إن التطور السريع في جميع نواحي المعرفة والقوانين التي كثرت مع الادارة الحديثة تجعل كثيرا من المسنين يحجمون عن المشاركة الفعلية في الحياةالعمليةمماقديعرضهم للانطواء والاضطرابات النفسية من أجل ذلك لابد من الاهتمام بالاعتبارات الانسانية التي تؤثر على نشاط المسن كإيجاد تأمينات اجتماعية معيشية مناسبة وخدمات صحية تعطي الاطمئنان في الشيخوخة . أما الاحترام الواجب لمن في هذه المرحلة من العمر فإنه يتطلب برنامجا تربويا يدرس منذ الصغر فهو جزء من عقيدتنا ومن المعلوم أن المسن صحيح البنية يكون في مجتمع صحيح المعتقدات فتوعية الأبناء منذ طفولتهم وبيان فضل المسنين وواجب الصغار والشباب نحوهم من صميم ديننا الحنيف .

لقد كان خروج المرأة للعمل خارج البيت بداية التفكك العائلي اذ تركت أكبر مسئولية إنسانية مما أدى الى تحلل المجتمع من قيمه العليا والسلوك الانساني القويم وما أحلى العودة الى نظام التجميع العائلي فلم تكن الاضطرابات النفسية والقلق والاكتئاب بهذه الصورة المنتشرة بهذه الحدة في هذه الأيام والزيارات المتبادلة بين الجار والجار وأولي الأرحام أمر يشيع المودة والحب والاستقرار لجميع أفراد المجتمع .

وفي الكويت يبلغ سكان الكويت حوالي ٤ر١ مليون نسمة منهم ٦ر٣٪ يزيد عمرهم عن ٦٠ سنة ومنهم المعمرون وذلك بسبب ارتفاع مستوى الخدمات الصحية التي تقدم



والأحوال المعيشية عامة لذا فإن متوسط العمر في الكويت ٦٩ سنة كمثيله في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية وأن الحكومة في سعيها الى إيجاد التكافل الاجتماعي ونشر الثقافة والمعرفة ورعاية المسنين قد حققت الكثير فهي تمدد سن اعتزال الخدمة لمن يريد وتحث على إبقاء الروابط الأسرية الأصيلة التي أرسى أسسها الدين الاسلامي عندما يكون الجد وأبناؤه وأحفاده في بيت واحد فيمنح الأحفاد الخبرة والرأي في أمور الحياة ولا يكفون عن العمل حتى ولو كان رعاية الأحفاد والجميع يعيشون في مجتمع واحد متماسك لا ينفصلون عنه .

إن السلوك الاسلامي يجب أن يكون بيننا في جميع مراحل العمر من الطفولة حتى الشيخوخة ومنع العادات التي تسيء الى صحة الانسان سواء في أكله أو في إدمانه على الأشياء الضارة المتعارف عليها والتي لها عواقب وخيمة على صحة الانسان كلما تقدم به العمر ، من أهم الأمور التي يجب أن يسير عليها المجتمع تخفيف الانتقال الفجائي من حالة التوظف الى حالة اعتزال الخدمة وهذه الأمور هي التي تخفف من الاضطرابات النفسية في هذا السن ولا يفهم من ذلك كله وضع قوانين ونظريات ولكننا ننصح المسن بألا يهمل نفسه في أي مجال يحقق له الصحة ويا ليت العالم يلتفت الى الاسلام وتعاليمه وروابطه الأسرية ليتغير وجه الحياة التي يشقى فيها البشر الى حياة يحيا فيها الحفيد والابن والجد في سعادة ونشاط وعطاء كريم متبادل .

(قصة النجم الذي كاد يهوى في بحر الظلمات)



كثيرا ما يقف قاريء القرآن الكريم مليا عند آية أو آيات من كتاب الله المجيد ، يتدبر معانيها ، ويدير النظر في ظاهرها وخافيها ، وكلما سلط عليها أضواء الفكر ألقت في خاطره ظلالا شتى ، وشقت أمام بصيرته الاكمام عن زهور المعاني الباهرة ، أرأيت ذلك الصياد حينما يفض الأصداف عن خرائد اللؤلؤ ويقلبها بين أنامله تحت أشعة الشمس فيقف الناظر اليها مأخوذا بما ينبعث منها من بريق أخاذ وألوان ساحرة ، تتمايز حينا وتأتلف حينا آخر ، لتكون مزيجا يحس بروعته وسحره ، ويعجز عن وصفه ، وادراك كنهه .

هكذا كنت أمام سورة الناس التي ختمت بترتيلها تلاوة القرآن الكريم ، فالله رب الناس وراعيهم وحاميهم ، وهو مالك نواصيهم المتصرف فيهم ، وهو الاله القادر المسيطر على كل الوجود يوجه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين الى الاستعانة به ، والاستنجاد بجبروته من شر الوسواس الخناس من الجنة والناس . فمن هو الوسواس الخناس ؟ ذلك الشيء العاتي الرهيب الذي لا يردعه ولا يعيذ منه الا قوة الاله الملك الجبار ، وكيف يخلص الى الصدور ، وما الوسوسة وما الخنس ؟ .



للأستاذ/محمد عبد الرحمن صان الدين

تصورات شتى كانت تزحم خاطري ، وتتراءى لي كأطياف الليل ، وأنا في طريقي لزيارة صديقي العالم الباحث (الشيخ حيدر) إنه نجى روحي وظهيري في حل معضلاتي الفكرية فهو بحق لا يصدر الا عن فقه وروية ولا يتحدث الا بصدق ويقين إنه على تقوى من العلم **(إنما يخشى الله من عباده العلماء)** وعلى علم من التقوى **(واتقوا الله ويعلمكم الله)** له صولات وجولات في حلبات التفسير والتأويل لاتبارى ، فما ان دخلت عليه وحييته حتى بادرته سائلا : ما الوسواس الخناس من الجنة والناس ؟ لقد احتوشتني الافكار والتصورات كما تحتوش الأمواج العاتية في ثبج البحر زورقا صغيرا ، فهيا افصل بين خواطرى المشتبكة وجل أمامي ما التبس علي ، فأطرق برهة وهويمسح على جبهته العريضة المشرقةوكأنما يستحث الذاكرة لتنفض عن مخزونها ركام الأيام واحداث الزمان ، ثم رفع رأسه وهو

يبتسم قائلا : لقد سألت مجربا ،واستعنت بخبير ، كان في يوم ما هدفا للوسواس الخناس من الثقلين ، قلت وكيف كان ذلك - يرحمك الله - فهات ما عندك يا أبا الاسود[1] وهل لتفسير كتاب الله الا فرسانه المدججون بسلاح العلم والفطنة المدرعون بدروع الايمان واليقين ، فهم إن جنحت بهم شطحات العقل ونزعات الشيطان ردهم الى الجادة دليل التقوى والايمان .

أخذ الشيخ حيدر يتحدث قائلا : في ضحى شبابي وريعة عمري إبان طلب العلم كنت أسكن بحي شعبي في بيت قديم في بنائه وطرازه ، يتوسطه صحن فسيح قامت في وسطه شجرة سدر عتيقة شاحبة طالما أطاحت فأس البستاني منها بأغصان ، حتى لا تحجب الضوء عن النوافذ ، وكان مكتبي الذيأكتب وأقرأ عليه بجانب نافذة مطلة على الصحن ، التماسا للضوء والهواء ، وكانعلى جانبي الدهليز بين باب البيت الخارجي والصحن حجرتان احداهما يسكنها رجل قد أشرف على الخمسين من عمره لا أعرف من أمره شيئا كان يطيب له أن يجلس على كرسي أمام حجرته أو تحت شجرة السدر أو أمام مدخلمسكني فكان علي أن ألقي عليه السلام كلما مررت أمامه داخلا أو خارجا فيرد التحية مضاعفة وباهتمام بالغ ، ثم لا أكثر من ذلك ، فأنا بطبيعتي لا أميل الى الاختلاط بمن لا أعرف ، ولا أخطب ود من ليسوا في مجالي أو من أترابي ، وقد علمت فيما بعد أن اسم الرجل (...) ويلقب بالاحول وهو جدير بهذا اللقب فإنه وإن لم يكن أحول العين فإنه أحول الفكر والوجدان كما تكشف لي فيما بعد ، وقيل إنه يملك مدارس خاصة ويديرها ، ولكنها ذهبت أباديد وأصبح بائسا رقيق الحال يسكن تلك الحجرة المتواضعة .

- وفي أحد الأيام عند دخولي المنزل - وكان جالسا على كرسيه - هب واقفا ومد يده للسلام وهوينا ديني باسمي مع لقب أستاذ قائلا : مالي أراك نائيا عنا مستوحشا منا ؟ ألسنا جيرانا ؟ وأنت من أهل العلم تعرف للجار حقه وعلى الرغم من أني أكبر منك سنا فإني لا أرى بأسا من أن أبدأ أنا بزيارتك توا إن لم يكن لديك ما يشغلك ، فلم أجد بدا من الترحيب به في مسكني وإكرامه كزائر لأول مرة .

وتكررت الزيارات وتعددت اللقاءات إما تحت الشجرة أو داخل المسكن نتجول في ضروب الحديث ودروبه ، والحديث ذو شجون ، وقد بهرني من الرجل أنه واسع الاطلاع ، أنيق العبارة ، جذاب الحديث ، حلو النبرات ، يستهوي السامع بأفانين من الأقاصيص المدبجة والوقائع المثيرة ، ويخوض في كل ضروب المعارف الانسانية سياسية وفنية وأدبية ، وكان من أهم ما

(١) كنيته بذلك لأن اسمه حيدر وهو من أسماء الأسد .

جذبني إليه أنه ذواقة للشعر والأدب ، وقد عرف أني أتعلق بالشعر وأقرضه فكان كثيرا ما يطلب مني إنشاد ما أنظم فيطرب عند سماعه ، ويبدي إعجابه به ويستعيد أبياتا منه يقف عندها مبهورا ـ أو هكذا كان يبدو لي ـ قائلا بصوت منغم : ما أبدع هذا الكلام !! لله درك يا أستاذ !! ، ثم يهز رأسه وهو يقول : خسارة ! أنت جوهرة مجهولة،كان ذلك يستهويني منه ويجذبني إليه ، فأستزيده من الجلسات ، وأقريه بكل شهي عزيز لدي ، وللاطراء تأثير وسحر في نفوس الكهول والشيوخ ، فمابالك الشباب الغرير الذي لم تصقله التجارب ، ولم يفطن بعد الى جوهر الحياة .

قال حيدر : ومضت على هذا المنوال أيام وأيام لم أر فيها ولم اسمع من الرجل ما أنكره الا أنه كان اذا صادف وقت صلاة لا يبدي اهتماما بها الا اذا دعوته للصلاة ، فيقوم متثاقلا ويصلي خلفي مأموما مدعيا أنه علي وضوء من قبل ، فليكن ما ادعى فذلك شأنه وليس عليّ أن أبحث واستوثق .

وفي إحدى الجلسات وبعد أن سمع إحدى قصائدي وقرظها قال : ولكنك قد تركت ضربا من أشهر ضروب الشعر ولونا من أرق وأبدع ألوانه وما من شاعر في القديم والحديث إلا وبدأ به ، وصال وجال فيه ، حتى المتصوفة أهل الزهد والورع ، الا وهو الغزل ، إنه قمة الشعر بل هو الشعر نفسه مع أنك شاب والشباب بطبيعته شبوب العاطفة ، جياش الشعور ، مرهف الحس والوجدان فما سبب ذلك يا ترى ؟ قلت : إني أرفض أن أمارس ذلك الضرب من الشعر ، فإن رجولتي وعزة نفسي تأبيان علي أن أركع أمام امرأة باكيا متذللا مسترحما كعابد الصنم ، وعندي أن شاعر الغزل مفتون فتان بصور ويكشف من المرأة ما يجب أن يستتر ، ناسيا أو متناسيا ما يقترف بفكره وقلمه من جرم على الفضيلة ، غافلا عما ينتظره في آخرته . فقال الأحول : وهو يبتسم ابتسامة شاحبة ذات مغزى : ذلك منطق العاجز ، وحجة من به خلل في تركيبه الوجداني ، وبنائه الجسماني فقلت : بانفعال الشباب وقد أثار مشاعري ذلك اللمز المفتري : كلا كلا،هذا بهتان وظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا . إنني ـ بحمد الله ـ على أكمل ما يكون المرء تكوينا وبناء ، ولست أنكر ما للمرأة في نفسي من تأثير وجاذبية ، ولكني جعلت الله بيني وبينها فلا أتحدث عنها الا في إطار القيم السامية ، ولا أريدها الا بشروطها التي شرعها الله لعباده الملتزمين بشرعه الحكيم ، وما أبسطها وأيسرها . قال الأحول : لعلك أردت أن تقول المتزمتين الذين يعيشون على هامش الحياة مقيدين محرومين ، لكأني أسمع ـ وأنت تتكلم شيخا فانيا يقف على أبواب الآخرة ، وقد فرغ من الحياة ونفض يده من دنياه ، فهو وإن كان فيها بجسمه المتهدم المتداعي ، فإنه خارج عنها بحسه وفكره وسلبيته ، يا عزيزي : إننا نعيش في عصر تطورت فيه الأفكار وتغيرت القيم واتسعت

المدارك ، فلا يصح أن نبقي جامدين متخلفين بل يتحتم أن نساير ركب الحضارة ، ونسلك طريق الرقي والتقدم محتذين في ذلك بلدان العلم والنور والحرية ، قلت له : أولو كان في ذلك هدملأخلاقنا ومثلنا وإهدار لقوانين ديننا التى هي منحة السماء لعباده كي تستقيم لهم الحياة ، ويقوم عليها للمؤمنين كيان ، وتنمو وتترعرع حضارة كما كان ، ثم قلت محتدا : إنني يا صاحبي ـ مع إعجابي بك وحبي لك أكاد أشك في أمرك !! فضحك الرجل وهو يقول : لا تغضب يا أستاذ واطمئن ، إنني مسلم متدين من أبوين مسلمين بيد أني متحرر الفكر ، أومن بأن الدين يسر لا عسر وأني بكلامي هذا معك إنما أحب لك الخير وأريد أن أفتح عينيك على الحياة ، لتكون عالما عصريا متطورا تتلاشى من طريق حياتك المصاعب والعقبات ، وأني لو كنت أتمتع بمثل موهبتك وصفاتك لكنت شيئا آخر غير ما ترى ، ثم هب واقفا وهو يقول : إنني على موعد هام ، قد حان وقته ، فإلى لقاء آخر .

قال حيدر : وانصرف الأحول وغاب عن عينى أياما لم أره فيها ، ولكن بقيت من حديثه في شعاب نفسي أصداء متباينة ، ظلت تتردد حينا ثم انشغلت عنهاوعنه ، وطرحت من فكري ما كان ولم يبق منه الا مثل ما يترك لفح الهجير علىأديم الضارب في البيداء المحرقة .

قال الشيخ : وعاد الرجل من غيبته ، وقد كنت أتطلع اليه وأتوق حديثه الشيق ،واستراح قليلا في حجرته ثم أقبل الي ، وما إن أخذ مجلسه حتى بادرني قائلا إني لأعجب من أمرك يا فتى ، وأرثى لحالك !! قلت في دهش : فما الذي يوجب العجب ويدعو للرثاء ؟ قال : أليس عجيبا ـ وأنت شاعر ـ أن تشغل فكرك بالآخرة وتصبغ سلوكك بصبغة المشرف عليها الماثل أمامها ، مع أنبينك وبينها أمدا بعيدا ، وعمرا مديدا ، لقد ضيقت على نفسك رحبا واسعا والزمتها شيئا ليس يلزمها ، فقبعت في قوقعة مغلقة لا تنفذ اليك منها الأضواء الباهرة ، ولا تترقرق عليك فيها أنسام الحياة البهيجة العبقة . إنك ذو مواهب جمة فأنت الى جانب علمك الديني أديب وشاعر مبدع ولكن منهجك في الحياة يخمد فيك الاحاسيس ، ويخنق المواهب ، ويعقم الفكر ، ويخمل الذكر فتحيا وتموت مغمورا مجهولا لا يحس بك أحد ، ولا يفطن الى وجودك إنسان ذو بال ، فحرام أن تظل هكذا . إن اللؤلؤ إذا لم يستخرج من قاع البحر ، وتشق عنه الأصداف ، وينكشف للشمس والهواء يبقى مطمورا في غيابات المجهول ، لا تستمتع ببريقه الأخاذ عين ولا يتلألأ على صدور الغيد والحسان ، وظلم لنفسك أن تترك زهرة شبابك النضير تذبل وتنتثر من قبل أن تتنسم الحياة وتتندى بأنداء المتاع والبهجة في الدنيا !! قلت ـ وقد بلغ مني حديث الرجل مبلغا ـ : فماذا أفعل ؟ قال ـ وقد لمح في نظراتي وأحس من نبراتي ما يغري بالمضي في الخطة

المحكمة : ياأستاذ انطلق ، انطلق في الحياةكما ينطلق البلبل الغريد ، في رحاب الرياض ، وبين الخمائل والمروج ، يستمتع بألوان الزهور المتفتحة ويستاف أريج الرياحين العبقة ، فيملأ الفضاء ترنيما وشدوا ، إن العندليب الصداح لو سجن في قفص ولو من ذهب ـ كما تسجن أنت نفسك في مجال ضيق قاحل ـ لما تغنى بأبدع الألحان وأشجى الانغام ، إنها الحرية والانطلاق من كل قيد يا عزيزي ، ولا تنس أنك وأنت في أول طريق الحياة في حاجة الى من يأخذ بيدك ، ويوقفك على سلم الصعود الى سماء المجد والشهرة ـ قلت وأنا كالحالم في ليل الربيع ـ : فما السبيل الى ذلك أيها الصديق ؟ قال ـ وقد تهلل وجهه ـ دع هذا لي فما عليك الا أن تضع يدك على كتفي وتسير فإذا بك كما تحب وتشتهي قلت : زدني ايضاحا وتفصيلا . قال : يا عزيزي أنت في ريعة العمر مكتمل البنية مستقيم العود ، بادي القوة ، تتوثب حيوية وفتوة ، وتتمتع أيضا بوسامة أخاذة ونظرات نفاذة . وهنا التفت الشيخ حيدر الي مبتسما وهو يقول : وكنت يا هذا اذ ذاك وسيما صبوح الوجه فقلت له : ولازلت كذلك على الرغم من أن صبح المشيب قد تبسم في ليل شعرك ، فأحال الظلام ضياء فقال : أشكر لك هذه المجاملة اللطيفة الماكرة ، فما زدت عن أن قدمتني لنفسي في صورة ينفر منها ، ويحتال على إخفائها كثير من الناس ، ولكني بها فخور قرير العين ، ثم استطرد في قصته قائلا : واستمر الاحول في حديثه يقول : تلك الصفات التي تملكها وتتمتع بها تفتح أمامك القلوب المغلقة وتجذب نحوك العيون المغضبة ، وتخضع لك كل مستعصية ، وتستقبل من أعلام الفكر ونجوم الفن ، وزهرات المجتمع بالقبول والترحاب أينما حللت ، وتقضي حوائجك ، وتنفذ رغباتك كيفما كانت ، الا وإن لي أصدقاء من أرباب القلم وعباقرة الشعر والأدب ، والنقد ممن لمعت أسماؤهم ، وذاعت شهرتهم ، وإني لعلى استعداد لأن أجمعك بهم في أشهى المحافل ، وأربط بينك وبينهم برباط وثيق من الود ، فلا تلبث حتى تكون نجما براقا تردد اسمك الأفواه ، وتهتز تحت قدميك منابر الاعلام ، ذلك إن تخليت عن تشددك وتمسكك بما لا يجديك في حياتك شروى نقير ، وليس له في لداتك من نظير . وإني اليوم على موعد في إحدى جلساتنا الحافلة بما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين بين الخضرة والماء والوجه الحسن ، وإنك لمن أليق الناس لتلك المجالات المونقة وأولاهم بها ، وإني أدعوك لمشاركتنا ذلك الفردوس الغائب عنك المجهول لديك ، وما خصصتك بالدعوة الا تقديرا لك وثقة فيك وقياما بحق الجوار فهل لك فيما دعوتك اليه ؟ فقلت له : دعني أفكر في الأمر فقال : اجعلها استكشافا وتجربة فإن راقك ذلك المجال فقد بلغته ، وعرفت السبيل إليه وإلا فلا حرج عليك في نبذه والانصراف عنه ، والخيار لك ،قال هذا ثم ودع وانصرف ولم ينس أن يترك

على المكتب بطاقة كتب فيها العنوان والساعة التى ينتظمفيها عقد الزمرة ، زمرة الحظ والهوى .

قال حيدر : وخنس الأحوال وكف الانسان عن وسوسته بعد أن أدى المهمة التى ندب نفسه لها بحذق ومهارة ، فقد استطاع أن يهدهد المشاعر ، ويعزف على أوتار العواطف والغرائز فتضطرب وتتلجج في حيرة . قال : وكان وقت صلاة المغرب قد حان منذ قليلوكنت على وضوء ، أو خيل الى ذلك ، فأحرمت بالصلاة وأنا شارد اللب ، مبلبل الفكر ، فقمت وقعدت حتى فرغت الصلاة ، وكانت صلاة ميتة لا نبض فيها ولا روح ، إنها تحتاج الى تفكير واستغفار وقمت الى سريري وألقيت بجسدي عليه في غمرة التنازع بين الاقدام والاحجام . تدفعني عواطفي ورغباتي طورا ، ويردني عقلي وخلقي طورا آخر دون بت وحسم في الأمر ، ومضى الشيخ حيدر يقول : كان هناك أبو مرة [١] (إبليس اللعين)خانسا ، في يقظة وتحفز يرصد نتائج جولات صنوه وظهيره من بني الانسان ، اليس الهدف واحدا وهو الاغواء والاضلال ولى الفطر السليمة عن خطها المستقيم وإن اختلفت طريق كل منهما عن الأخرى ، فالانسان يصل الى الفكر والشعور عن طريق السمع والشيطان يصل عن طريق حديث النفس بعد أن يدس فيها خرطومه نافثا ما يشاء من تزيين وتلبيس .

ورآني اللعين مترددا أكاد أتقاعد تحت أشعة العقل الكليلة المرتعشة ، فأراد أن يجهز على الفريسة وهي مترنحة قبل أن تفيق وتتماسك ، فعاجلني بجرعة مسكرة من معناه الشيطاني ، وحاورني محاورة أفرغ فيها كل دهائه وحيله ، واتخذ معي منطق العلماء الذين يقررون حقيقة ربانية ، ويعمقونها في العقل والوجدان ، وهكذا الشيطان يلبس لكل حال لباسها ويختل ضحاياه بفخاخ لا تريب بعد أن يستدرجهم اليها . .قال ـ عليه لعنة الله ـ :يا حيدر ألست من أهل العلم والفطنة تحفظ القرآن الكريم ، وتطالع تفاسيره ، وتلم بالكثير من الاحاديث النبوية الشريفة ؟ قلت : بلى ، قال : فما تظن بالله ؟ قلت : خيرا ، قال : إنه عفـو غفور تواب رحيم هل في ذلك شـك ؟ قلت : استغفر الله ومن سواه لذلك ؟! قال : حسن حسن فهل تحضرك الآيات القرآنية التي تدل على ذلك وتقرره ؟ قلت : أجل قال الله تعالى : **(والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها و آمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم)** ، الاعراف/١٥٣ وقال سبحانه **(إن الله يغفر الذنوب جميعا إنههو الغفور الرحيم)** الزمر/٥٣ ، قال : جميل جميل إنك لقارىء حافظ يا حيدر تأمل بفكرك الثاقب ، تجدهما تقرران ان الله غفور رحيم قلت : نعم نعم قال : ومن هم الذين يلحقهم الغفران وتنالهم الرحمة ؟ إنهم

(٢) أبو مرة : كنية إبليس

الذين عملوا السيئات وارتكبوا الذنب أليس كذلك ؟ قلت : بلى قال : فلو أن الناس جميعا كانوا أبرارا أطهارا لا يذنبون ولا يعملون السيئات فهل يكون للرحمة والغفران مجال تعملان فيه ؟ قلت كلا قال : فهل يليق بك ـ وأنت العالم الفهم ـ أن تعمل على تعطيل صفتين من صفات الله عن العمل ؟ قلت ـ في بلاهة ـ يخيل لي أن هذا منطق معقول قال : إذا لابد من ارتكاب السيئات وإتيان الذنوب ليمحوها الغفران وتغسلها الرحمة . قال : حيدر : وران على قلبي التدليس والتلبيس وخيم على عقلي منه ضباب كثيف فلم أعد أميز الخبيث من الطيب ، والحق من الباطل ، ونسيت قول الله تعالى (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب**) النساء/١٧ (**ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون** ....) الاعراف/١٥٦ فالتوبةتمنح لمن جهل المعصية ولم يتعمدها ، والرحمة منوطة بالتقوى وهي التحرز من الوقوع في الاثم والمعصية . نسيت هذا وغاب عن ذاكرتي قول الله تعالى (**نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وان عذابي هو العذاب الأليم**) الحجر/ ٤٩/ ٥٠ فاذا كان المذنب العاصي عن عمد وإصرار يحظى برحمة الله وغفرانه فلمن أعد العذاب الأليم المقابل للمغفرة والرحمة ؟ أحفظ كل هذا وأعيه وأطبقه منذ علمت ووعيت ولكني نسيته اذ ذاك وما أنسانيه الا الشيطان أن اذكره ، قال حيدر : ومضى أبو مرة يقول : فماذا عن الأحاديث النبوية ؟ هناك حديث يقرر أن الله يفرح بالعبد المذنب التائب فرحا عظيما فهل تحفظ الحديث ؟ قلت : نعم جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله عز وجل أنا عندظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة و....) وأردت أن أكمل الحديث فقاطعني اللعين قائلا في انزعاج : كفي كفي فهلا تريد أن يفرح الله بك يا حيدر وتحظى برضوانه قلت : ومن ذا الذي يأبى ذلك ولا يطمع اليه ؟ قال ـ وقانا الله شره ـ اذا فلتذنب ولتعط شبابك حقه وأمامك عمر طويل وباب المتاب مفتوح . فهيا انهض يا فتى قبل أن تفوت الفرصة السانحة ، وينفض سامر الكواكب والنجوم ، مع الأنس والبهجة . قال حيدر : وكأن اللعين قد قذف في دمي وأعصابي وكل جوارحي ومشاعري شعلا من طبيعته النيرانية النزقة الطائشة فقمت واثبا كالثور الوحشي المستطار أرتدي ملابسي وأتزين بما لدي من زينة ، وأتطيب بأجود ما عندي من طيب ولم أنس أن أنظر في المرآة لأتيقن من أني في أحسن هيئة ، وكأني ذاهب الى المسجد في يوم عيد أو الى حيث أزف الى عرسي بعد طول انتظار وشدة وجد والتياع ، ولا تعجب يا صديقي فإنه حينما ينام أو يموت الوازع الديني في المرء ويتلاشى سلطانه تجيش وحوش الغرائز والميول الراقدة في كيانه وتنطلق فتحطم القيود ،

وتجتاح الحواجز والسدود فيصير الانسان وحشا ضاريا - والعياذ بالله - تذوب فيه وتتلاشى كل المعاني الانسانية ولا يبقى من الانسان فيه الا الهيكل والشكل . صمت حيدر برهة وأنا أنظر اليه في قلق وإشفاق ثم ضحك وقال : خرجت من البيت . وفي يدي العنوان . وسرت في طريقي الى هناك حيث الفردوس الموصوف ، وليس في مخيلتي الا اللقاء الموعود الذي يصعد بي الى المجد المنشود ، وقد وقر في خاطري الملتاث أن الدنيا أوشكت أن تجثو عند قدمي ، ومضيت أدلف من حي الى حي ، وأمرق من شارع الى شارع حتى لم يبق بيني وبين الهدف الا مقدار مد البصر الكليل ، واذا بصوت ينبعث من المذياع يهمس في أذني إنه صوت قارىء القرآن الكريم ، يرتل قوله تعالى في سورة الكهف (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**) . الكهف/٢٨ سمعت الآية ولكن بأذن موقورة كما يسمع النائم نداء خافتا من مكان سحيق فلم تبلغ فكري ولم تلمس وجداني ، وسرت خطوات أخرى فعاد القارىء يرتل الآية مرة ثانية ولكن بصوت جلي يفيض خشوعا ويقطر حنانا وحزنا ، فقرع سمعي قرعا ، وتدفق في روعي تدفق السيل ، وكأني بالقارىء يتابعني بنظرات ينبعث منها إشفاق يمازجه تأنيب بصوت آخر يقول : الى أين أيها المفتون ؟! أتضل على علم وتغوى بعد رشد ؟! ونظرت زائغ العينين فخيل الي أن الطريق موصدة فلا منفذ فيها ولا مناص ، وأن المارة يحدجونني بنظرات تنطق بالمقت والسخرية ، وكأني بالكائنات من حولي جامدها ومتحركها تزمزم قائلة : يا ويحه ! من نجم هوى وطيب غوى ، فكفت قدماي عن المسير وثبتت في مكانهاوكأن الأرض قد غاصت بها ، ومضى وقت قبل أن أفيق وأقول لنفسي : ما هذا أيها الشقيّ ؟ أين ذهب لبك وكيف شرد عقلك ؟ فتحولت الى مفتون بزينة الحياة الدنيا ، وأطعت من أغفل الله قلبه وأعمى بصيرته واتبع هواه ، قال حيدر : واستأنفت السير في خزي وتهافت ورحت في غمرة من البلبال والذهول فلم أفق الا وأنا أمام با ب مسكني أدير المفتاح في قفله ، فتمتمت قائلا : **الحمد لك يا ربي ، لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** . وخلعت ملبس الزهو والتيه ، وطوحت بها هناك لتستقر أينما تستقر ، وأسرعت فتوضأت وأعدت صلاة المغرب وصليت العشاء تائبا مستغفرا شاكرا ، فقد كنت على شفا حفرة من النار فأنقذني الله وأقصاني عنها ، وكنت عالقا في حبائل شيطانين فخلصني منها ، فعدت الى سريري طاهر الذيل نقي الصفحة ، وشعرت بالجوع فتناولت ما تيسر لي من طعام ، ثم تلوت ما شاء الله ان أتلو من كتابه العزيز ، ثم أويت الى مضجعي راضي النفس قرير العين ، وكان الليل قد انتصف فأخذ الكرى يمسح جفني بأنامله

الوردية ، وبدأت أطيافه تتطاير حول مضجعي بأجنحتها الذهبية . وبينما أنا بين النوم واليقظة إذ بباب البيت الخارجي الثقيل يدفع بقوة ، ووقع أقدام غليظة تدك الأرض فترتج ، فقمت فزعا ، وسمعت من يقول بصوت أجش : أين مسكنك يا جلالة السلطان ؟! ولم أسمع إجابة ولكني سمعت ذلك الصوت يقول : فك القيد من يده اليمنى أيها الشرطي ليخرج المفتاح من جيبه فأسرعت بالخروج مستطلعا الأمر ، فرأيت ضابطا وشرطيين يمسكان بجاري الأحول مقيدا ، فتقدمت من الضابط الذي كان واقفا بين صحن البيت والدهليز وحييته وسألته : ما الخبر ؟ فأجابني بغلظة وما شأنك أنت ؟ هل تمت اليه بقرابة أو صلة ؟ قلت كلا ولكني أقوم بحق الجوار قال : فما مهنتك ؟ قلت طالب علم بالأزهر الشريف . قال : ـ وقد ألان قوله ـ : يا أستاذ مثل هذا الجار لا حق له ولا حرمة ، ولا يليق بأهل العلم أن يخالطوا أو يجاملوا مثل هذا ، إنه كالبعير الأجرب يعدي كل من يخالطه أو يلامسه .

أنست من كلامه وسمته دماثة الخلق ومسحة الصلاح فقلت : فما جريمة الرجل ؟ قال : لا بأس أن أصارحك على سبيل العظة والتحذير ، لقد قبضنا عليه مع زمرة من الخليعين والخليعات يشربون ويعربدون ويتعاطون أنفاس المخدر المحظور شرعا وقانونا بعد أن رصدنا ذلك الوكر الدنس وتأكد لدينا ما يمارس فيه فقلت : لقد سمعتك تخلع عليه لقب جلالة السلطان . فما المراد بذلك ؟ قال ليس الا سخرية ، ولست أنا الذي أطلق عليه ذلك اللقب ، وإنما هو اصطلاح عند هؤلاء ، فهم يطلقون على مجلسهم هذا اسم السلطنة ، ويسندون ادارته الى أكثرهم خبرة وأمهرهم في إعداد المخدر وتقديمه ، ومناغاة المخدرين بما يدفعهم الى الهذيان والضحك ، وهم يخلعون عليه لقب (السلطان) ، وحينما داهمنا ذلك الوكر وجدنا ذلك الشقي هو المتسلطن فيه ، وهذا كل ما في الأمر أعرفت ؟ قلت : نعم ، وشكرت له رحابة صدره معي ، وكان الشرطيان قد فرغا من مهمة تفتيش المسكن ، وتمتما للضابط برموز لم أفهمها وخرجوا يجرون أسيرهم في أغلاله منكس الرأس كاسفا حسيرا ، وعدت الى مسكني وأنا أقول : أهذه هي النهاية ؟ ذا عقاب الدنيا ـ وما أقساه ـ فما بال الآخرة ؟ ! **(فإنها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)** الحج/٤٦ لقد كدت يا أبا الأسود أن تكون أبا القرود مكبلا في القيود ولكن الله عصم وسلم ، ونظر الشيخ حيدر الي باسما وهو يقول : أظن أن صورة الوسواس الخناس من الجنة والناس قد وضحت في ذهنك قلت : أجل يا صديقي ، وأيضا قد تجلى لي معنى قول الله تعالى (**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) الأعراف/٢٠١ صدق الله العظيم .



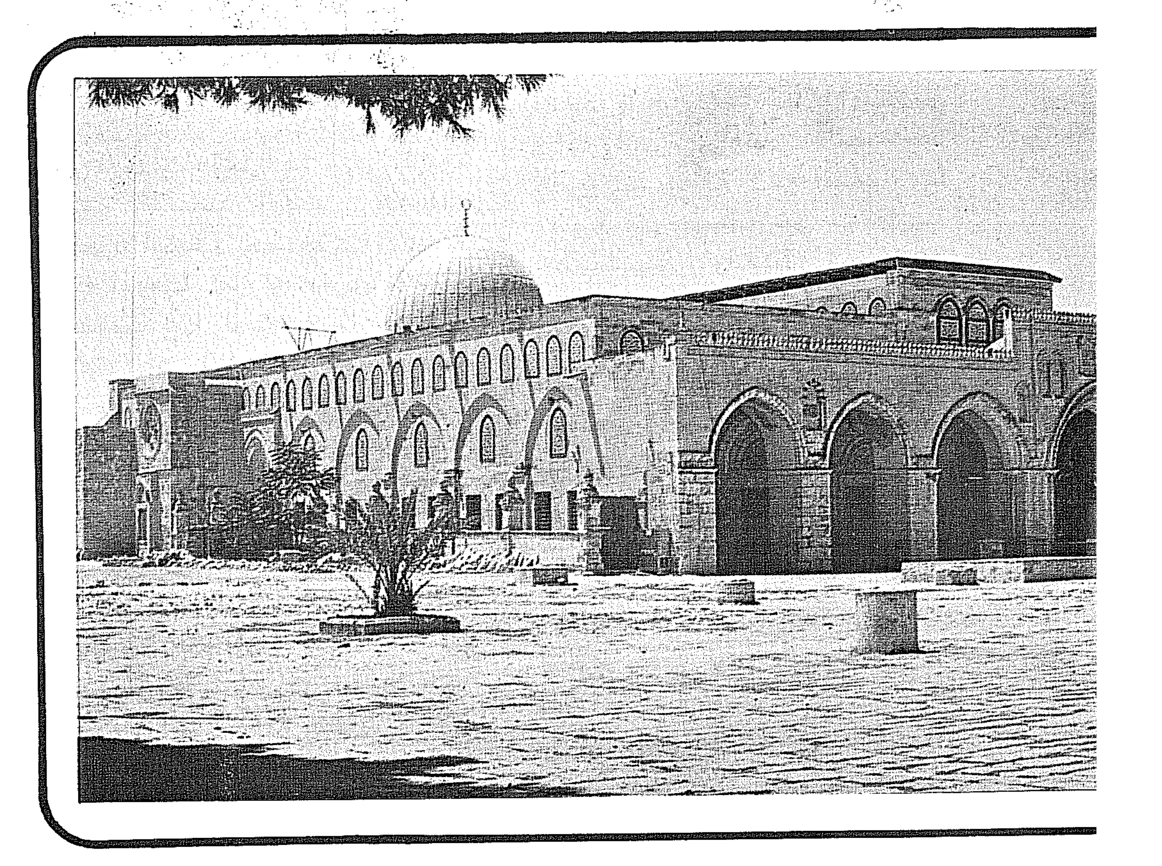
الأقصى المبارك

بين عدوان اليهود وعجز المسلمين

بقلم : نبيل الخانجي

الليل يرنق في عينيه الصمت .
اسمع قرع سنابك
ـ من هذا الفارس
يتوشح بجلال التاريخ ، يسابق جنح الريح على فرس غاضب ؟
○ ما تعرفني ؟!
ـ أحسب أني ...
لعلك طيف من حلم يعبر جسر التاريخ .. ويمضي ؟
○ لا تحسب شيئا ! ...
يبدو أنك لا تعرف تاريخك حقا ..
هل تذكر فتح القدس الثاني ؟ أو تكبير النصر بساحات الأقصى ؟

ـ عرفتك .. أنت صلاح الدين .. !
○ ومن أنت ؟
ـ ليس مهما أن تعرف أحدا من هذا القرن ..
فمعظم من في هذا القرن من النكرات ..
○ ما هذا البؤس المعشوشب في عينيك ؟
ما هذا الوهن البادي في عزمك ؟
ما ليديك ؟
ـ هل تعلم أن « يهود » احتلوا الأقصى من زمن
طال الزمن علينا من بعدك ..



حرقوا بعض الأقصى ...
حرقوا منبرك الخشبي الحامل عطر النصر القدسي ..
○ وأنتم .. ماذا فعلتم ؟
ـ واقتحموا الأبواب على من كان يصلي ..
قتلوا الراكع والساجد والمستغرق في التسبيح
○ وأنتم ماذا فعلتم ؟!
ـ حفروا أنفاقا تحت الأقصى ..
○ وأنتم ..
ـ فعلوا فعلوا ...
○ وأنتم ماذا فعلتم ؟
ـ نحن .. إنا ... أعني ...
○ حسبك ! ..
كف عن الشكوى ... فلقد أصبحت أشك بأنك مني !
حسبك .. !
فلقد أومض بركان الغضب على شفرة سيفي ..!
وتطاير لهب الفتح القدسي شواظا من عيني فرسي .. !
ـ أعرني سيفك .. أو فرسك ..
○ حسبك .. !
ليس لسيف صلاح الدين سوى زند صلاح الدين وقلب صلاح الدين
هذا العبد المفتقر الى الله تعالى .. !

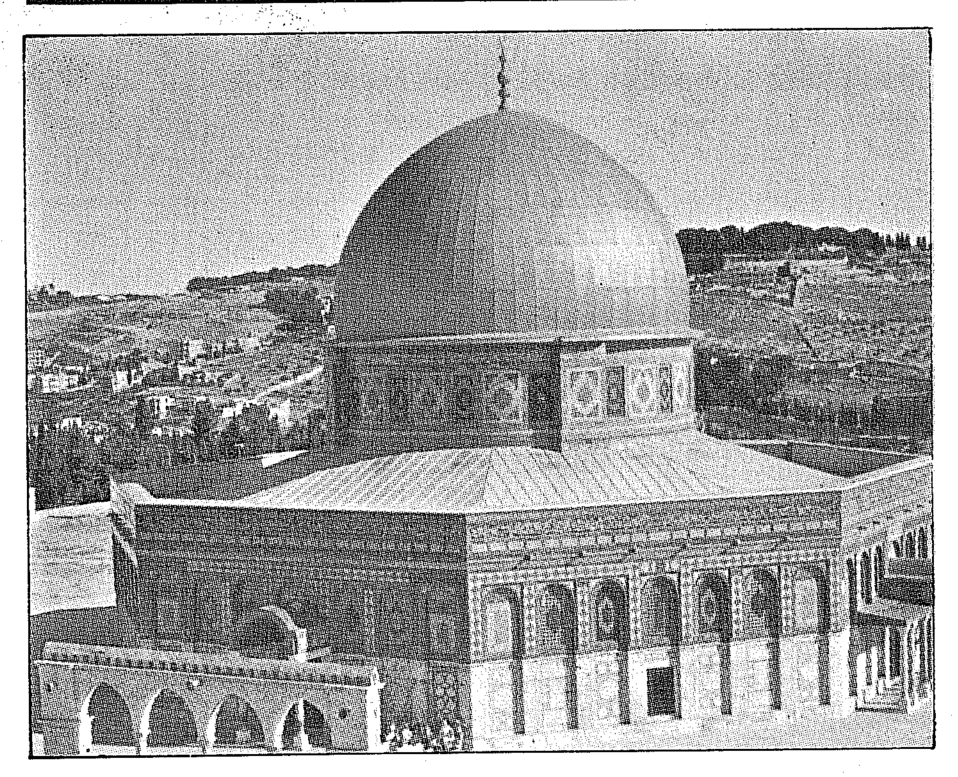
○ خطر وشيك

كثر الحديث مؤخرا عن سعي اليهود لتدمير المسجد الأقصى ، وتعددت مؤخرا أيضا - محاولات الاعتداء عليه ، وهذا أمر له مغزى خطير ، وبخاصة إذا استعرضنا سلسلة الاعتداءات الطويلة على المسجد الأقصى التي اقترفها اليهود منذ أن احتلوا القدس ، مما يوحي بأن خطرا وشيكا قد يقع ، أن جريمة أخرى يمكن أن يرتكبها اليهود ، ليختموا بها سلسلة اعتداءاتهم عليه . ففي الشهر الماضي تكررت أكثر من محاولة لتفجيره قام بها يهود تدعمهم الحكومة الاسرائيلية ، ولعل آخر تصريح صدر بهذا الشأن - حتى كتابة هذا المقال - ما نقل عن محافظ مدينة القدس في الضفة الغربية أنور الخطيب الموجود حاليا في عمان : أن هيكل سليمان المزعوم على وشك القيام على أنقاض المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة ، والذي تخطط سلطات الاحتلال لهدمه بالتعاون مع بعض الجهات المعادية ، وكشف المحافظ في حديثه عن أن جماعات مسيحية « متطرفة » من طائفة فناغالست في مدينة لوس انجلوس الاميركية قامت حتى الآن بجمع ٢٠٠ مليون دولار بهدف إقامة الهيكل المزعوم بالتعاون مع منظمات يهودية متطرفة .

○ الابعاد السياسية للخطر

ولعل مما يزيد من حدة هذا الخطر ما آلت إليه أوضاع العالم الاسلامي بعامة والعربي بخاصة ، لا سيما بعد الغزو الصهيوني الأخير للبنان ، وما أعقبه من ضعف حل بالمقاومة الفلسطينية ، وانقسام في منظمة التحرير ، وتنافر في مواقف بعض الحكومات العربية حول القضية الفلسطينية ، أضف إلى ذلك انشغال المسلمين بحرب الخليج المدمرة ، وقلقهم من استمرارها .

وإذا كانت إسرائيل - كما يرى البعض - تتهيب من ردة فعل العالم الاسلامي على محاولتها هدم المسجد الأقصى ، فإن أوضاع المسلمين الآن لا تؤيد وجهة النظر هذه فيما يظهر . ومن المرجح أن هناك عاملين أساسيين ما تزال إسرائيل تحسب حسابهما : أولهما ما يمكن أن ينجم عن الاعتداء على المسجد الأقصى ، في الأرض المحتلة ، من غضبة الشعب الفلسطيني المسلم ، وما يمكن أن تدفع إليه هذه الغضبة من تصاعد في العمليات الفدائية ضد العدو الصهيوني . وثانيهما : انعكاس مثل هذا الاعتداء على الخطط السياسية التي يحاول حلفاء إسرائيل الكبار أن يرتبوها في المنطقة ، وما يحتمل أن يسببه هذا الاعتداء من عرقلة لتلك الخطط ، مما يضر بمصالح حلفاء إسرائيل . والواقع أن هذا العامل الثاني عرضة للتغير ، فربما تجد إسرائيل مصلحة حقيقية في إرباك حلفائها أحيانا ، وتلجأ - كما رأينا في لبنان - إلى عمل من هذا القبيل لخلط الأوراق في لعبة المنطقة .



○ الرموز الدينية

والحقيقة أن الحركة الصهيونية والحكومات الاسرائيلية المتعاقبة أولت الرموز الدينية اليهودية اهتماما كبيرا جدا ، بلغ حد الخرافة في كثير من الأحيان ، وعمدت إلى تسخير هذه الرموز في سبيل قضاياها السياسية . فمنذ المؤتمر الأول للحركة الصهيونية الذي عقد في مدينة بال بسويسرا قال هيرتزل : « اذا حصلنا يوما على مدينة القدس ، وكنت لا أزال حيا وقادرا على القيام بأي شيء فلن أتوانى لحظة عن إزالة كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها ، وسوف أدمر كل الآثار التي مرت عليها قرون »

بدعة حائط المبكى

ومن هذا القبيل ما اخترعه اليهود حديثا من بدعة« حائط المبكى » وهو الاسم الذي أطلقه اليهود في مطلع القرن العشرين على الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم القدسي الذي يسمى حائط البراق ، مع أنه لم يرد قبل هذا التاريخ في أية وثيقة صهيونية ، وذلك لاثارة مشاعر اليهود ، وحثهم على العمل لاقامة دولتهم .

« يدعي اليهود ان هذا الحائط هو من بقايا الهيكل متناسين ان الهيكل الاول الذي بناه النبي سليمان عليه السلام عام (١٠٠٥) ق.م قد هدمه

نبوخذ نصر في عهد الكلدانيين عام ٥٨٧ ق.م ، ومتنياسين ايضا ان الهيكل الثاني الذي بناه هيرود الآدومي الأصل عام (١٨) ق.م قد هدمه تيطس الروماني عام (٧٠) ب.م ، وأزال آثاره بالكامل هدريان الروماني عام (١٣٥)ب.م الذي هدم جميع القدس حسب ما جاء على لسان المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس .. » - عن كنوز القدس ص ٣١ - .

والذي أثار غيظ اليهود أن كل الحفريات التي قاموا بها في المنطقة التي يزعمون أن هيكل سليمان كان عليها لم تكشف حتى الآن أي أثر له علاقة من قريب أو بعيد بزمن داوود وسليمان ، وربما كان إخفاقهم في البحث هذا يزيد من تهوسهم بالرموز التاريخية المندثرة ، ومن ثمة ينعكس هذا التهوس في عمليات الاعتداء المسعورة على المسجد الأقصى .

○ متطرفون و .. متطرفون !

وعلى الرغم من أن الحكومة الاسرائيلية تحاول أن تظهر أن عمليات الاعتداء هذه من تصرفات فئة من المتطرفين الدينيين ، فالحقيقة أنها تقوم بدعمهم ، ومن أدل الأمور على ذلك أن وزارة الداخلية الاسرائيلية قد أنشأت « صندوق أمناء المعبد » لدعم الحركة الجديدة التي تسمي نفسها « حركة أمناء جبل المعبد » التي أخذت على عاتقها تغيير كل طابع اسلامي في فلسطين والاستيلاء على المسجد الأقصى ، وهدمه ، وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاضه . ومن المظاهر الدالة كذلك أن رؤساء الحكومات الاسرائيلية الذين يحظون بأكبر تأييد هم من أشد اليهود عتوا وتطرفا ، ولقد كان آخر رئيسين (بيجن وشامير) إراهبيين لهما تاريخ دموي أسود .

○ النزاع على ملكية حائط البراق

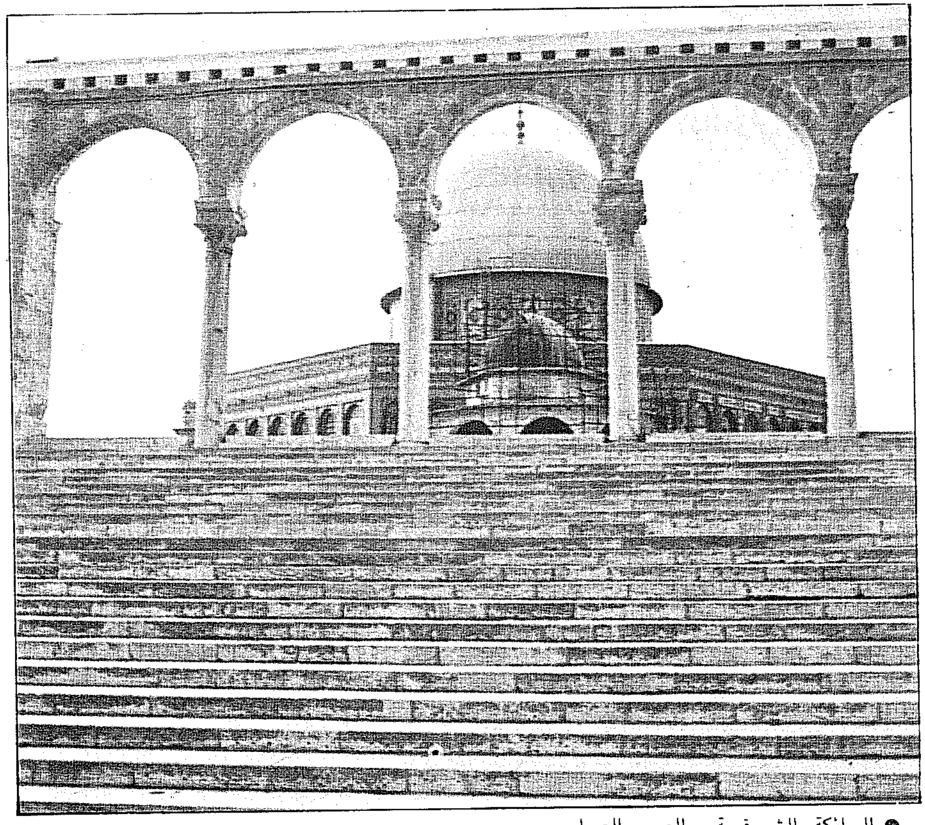
ومنذ أن صدر وعد بلفور المشؤوم في ٢ نوفمبر ١٩١٧ شرع اليهود في استغلال ما أسموه حائط المبكى لجذب المهاجرين إلى فلسطين ، وبدأوا كذلك في محاولاتهم لتغيير المعالم التاريخية لحائط البراق : يتسللون إليه ، ويتجمهرون حوله أيام السبت ويتباكون ، مما أثار حفيظة المسلمين فبدأ النزاع حوله يشتد ، وبلغ ذروته عام ١٩٢٩ ، فاضطرت سلطات الانتداب آنذاك أن تطلب من عصبة الأمم المتحدة الموافقة على تشكيل لجنة دولية للنظر في حق ملكية حائط البراق . وشكلت اللجنة في مايو ١٩٣٠ ، وعقدت ٢٣ اجتماعا خلال شهري يونيو ويوليو ١٩٣٠ ، استمعت فيها إلى عدد كبير من المواطنين المسلمين والمستوطنين اليهود ، ودرست الآثار التاريخية للحائط ، وعرض اليهود على اللجنة ٣٥ وثيقة ، وعرض المسلمون عليها ٢٦ وثيقة ، وأعلنت اللجنة قرارها في ديسمبر ١٩٣٠ على النحو التالي : للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط

الغربي ، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف ، التي هي من أملاك الوقف الاسلامي .. الخ ..

○ وبدأت الاعتداءات اليهودية

لكن هناك فرقا بين الاقرار بالحق وبين الاذعان للسيف . وقل أن أذعن اليهود في تاريخهم لغير السيف . ومنذ أن صدئت سيوف المسلمين ، وفل حدهم في حرب حزيران ١٩٦٧ بدأت سلسلة طويلة من الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى يمكن سرد بعض منها على النحو التالي :

- في الاسبوع الأول بعد عدوان عام ١٩٦٧ هدمت جرافات جيش العدو الاسرائيلي الحي الملاصق للمسجد الأقصى ، لكشف حائط البراق .
- في ١٩٦٧/٨/١٥ قام حاخام جيش العدو شكومو بن غوريون مع عشرين ضابطا يهوديا بالصلاة في المسجد الأقصى . وأعلنت صحيفة جروزالم بوست أن لدى الحاخام مشروعا لاقامة كنيس يهودي في ساحة الأقصى .
- في ١٩٦٧/٨/٣١ استولى جيش العدو على مفتاح باب المغاربة أحد



● البائكة الشرقية . العصر العباسي

الأبواب الرئيسية للحرم القدسي .
- في عام ١٩٦٩ أزالت قوات الاحتلال اليهودي حارة المغاربة كاملة : أبنيتها ومدارسها ومساجدها التاريخية ومنها المدرسة الافضلية والزاوية الفخرية ، وذلك بهدف توسيع الطريق المؤدية إلى حائط المبكى .
- في ١٩٦٩/٨/٢١ قام أحد اليهود ، تحت سمع جيش الاحتلال وبصره ، بجريمة إحراق المسجد الأقصى ، في محاولة لهدمه ، وقد تعرض المسجد لتلف شديد أوجزه يومها الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة العلمية الاسلامية في مؤتمر صحفي بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٢ كما يلي :
١ - احتراق منبر صلاح الدين الأثري التاريخي بأكمله .
٢ - تدمير سقف الجناح الجنوبي الشرقي ، ومحراب زكريا بأكمله ، وتبلغ مساحته ٤٠٠/م٢
٣ - وصول النيران إلى قبة الأقصى حتى باتت بطانة القبة معرضة للسقوط .
٤ - تلف جدران المحراب الداخلية جميعا وإصابة النقوش والزخارف الأثرية بشكل لا يمكن إصلاحه .
٥ - تلف العمودين الموصلين من ساحة القبة إلى منطقة المحراب ، وكذلك القوس المحمول عليهما .
وقد ثبت أن سلطة الاحتلال قد تعمدت الابطاء في إخماد الحريق ، إذ لم تصل عربات الاطفاء إلا بعد أكثر من ساعة من اندلاع الحريق ، وأكدت لجنة فنية مؤلفة من ثلاثة مهندسين شكلت للتحقيق في أسباب الحريق ، أن الحريق كان مفتعلا ومتعمدا .

بينما زعمت سلطات الاحتلال أن سبب الحريق احتكاك كهربائي ، ثم زعمت أنه بسبب تطاير شرارة من لحام الأكسجين ، ثم اضطرت في اليوم التالي أن تعلن عن اعتقال شاب يهودي يدعى مايكل روهان وصفته بالجنون ، وقالت إنه قد سبب في الحريق .

○ عمليات الحفر

واتخذ الاعتداء اليهودي على المسجد الأقصى أشكالا اخرى عدة أبرزها عمليات الحفر التي باتت تهدد أساسات المسجد بالانهيار ، والهجوم المسلح على المصلين فيه وقتل أعداد منهم ، وعمليات الاستفزاز بمحاولة الصلاة في ساحة الحرم ، ووضع المتفجرات فيه لنسفه .

وقد جرت عمليات الحفر سرا في البداية بفتح الأنفاق تحت ساحة الحرم ، بدءا من عام ١٩٧٠ ثم استعلنت بعد ذلك ، وقد أوضحت ذلك صحيفة عالهمشمار في عددها ليوم ١٩٧١/٧/٧ إذ نقلت رسالة من رئيس (حركة إسرائيل الكاملة) جاء فيها : « الآن وبعد مضي أربع سنوات على تحرير (..) القدس نود أن نوجه نداء إلى الدوائر والهيئات ذات الاختصاص بأن الوقت قد حان كي تجرى عمليات الكشف عن حائط المبكى على المكشوف وفي وضح النهار وليس فقط في أعماق الأرض . »

وقد فتحت أنفاق عمودية ثم

أفقية ، كما جرى التنقيب عن الآثار سنين عدة في كل التلة الواقعة إلى الجنوب من الحائط الجنوبي للحرم ومناطق أخرى ، ومواقع أخرى في القدس القديمة . وعلى الرغم من هذه الحفريات الواسعة لم يعثر على أي أثر له علاقة من قريب أو بعيد بزمن داوود وسليمان ، وأغلب الآثار التي وجدت تعود إلى فترة القرون الثلاثة الأولى قبل المسيح والقرون الثلاثة الأولى بعده أي في فترتي حكم اليونان والرومان للقدس .

وفي ١٩٨١/٨/٢٩ أكتشف حراس الحرم الشريف نفقا يبدأ من حائط البراق ، ويصل أنفاقا متعددة تفضي جميعا إلى أسفل المسجد الأقصى وساحاته ، لتصل إلى قبة الصخرة ، حيث يزعم المتدينون اليهود أن تابوت العهد الذي كان في هيكل سليمان موجود هناك ! بينما صرح عدد من الجيولوجيين الاسرائيليين أن هذا النفق يقود إلى بئر قديمة ، وأن من المحال أن يصل إلى هيكل سليمان كما ادعى المتدينون . وقال أحد علماء الآثار الاسرائيليين (مئير بندوف) إن الاكتشاف ليس بجديد فقد كان النفق معروفا من ١١٠ سنوات عندما اكتشفه العالم البريطاني شارلز وارن وعرف النفق باسمه وهو جزء من شبكة مائية .

وفي ١٩٨٣/٣/١٣ اكتشفت دائرة الاوقاف فتحات جديدة تحت الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى قام بحفرها اليهود في أثناء محاولتهم اقتحام المسجد .



● قبة موسى بجوار قبة الصخرة . انشأها الملك الصالح نجم الدين ٦٤٧هـ

بيد أن الخطير في الأمر ما كشفه الدكتور محمود أبو طالب رئيس قسم الآثار في الجامعة الأردنية عام ١٩٨٢ من تقرير أعده عدد من المهندسين المعماريين اليهود ركزوا فيه اهتمامهم على « إبراز هيبة حائط المبكى ، والاهتمام بتوفير المكان الكافي للمصلين ومواقف السيارات في ساحة الحائط . وهذا التقرير - كما يقول رئيس قسم الآثار - وضع كأطروحة أساسية للفكرة القائلة : إن منطقة الحرم القدسي هي التي تهفو إليها قلوب بني إسرائيل ، وإن حائط المبكى لا يمكن أن يحل محله .

○ الهجوم المسلح على المصلين المسلمين

في ١٢/٤/١٩٨٢ أقدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلية على ارتكاب جريمة بشعة ، حين اقتحمت مجموعة من عصابات الحاخام مائير كاهانا المسجد الأقصى ، فلما حاول حراس المسجد منعهم قام جندي مظلي إسرائيلي من المجموعة المقتحمة بإطلاق الرصاص على الحراس فقتل اثنين وجرح ثالثا ، ثم أخذ يطلق الرصاص بشكل جنوني على المصلين ، وأشعل النار في بعض سجاجيد المسجد ، فوقع ١٧ من المسلمين بين شهيد وجريح .

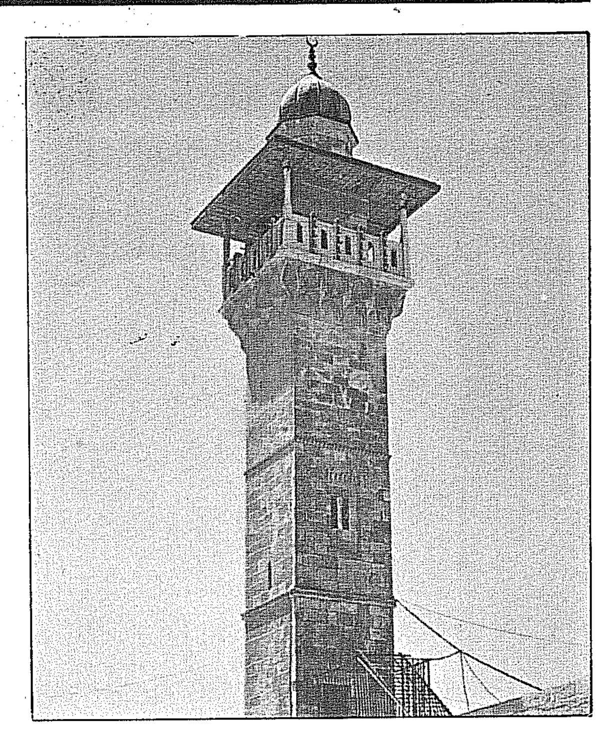
وقالت سلطات العدو فيما بعد إنه صدر الحكم على ذلك الجندي الاسرائيلي (هاري آلن جودمان) بالسجن المؤبد ، إلا أنها أفرجت عنه بعد وقت قصير ، وشوهد مع جنود إسرائيلين في بيروت .

● محاولات استفزازية

في أواخر عام ٦٩ قام ٢٥ يهوديا بتلاوة المزامير والنشيد الصهيوني (هاتفكا) على الدرجات المفضية إلى ساحة المسجد الأقصى .

وفي أوائل عام ٧٢ قام أعضاء من حركة بتيار ، شبيبة حزب حيروت ، بالصلاة داخل الحرم القدسي ، ثم أعادوا محاولتهم في منتصف عام ٧٢ فدخلوا ساحة المسجد في ٢٢/٧/١٩٧٢ ونفخوا في البوق .

وفي أواخر كانون الثاني من عام ١٩٧٦ أعادت هذه الحركة الكرة ، فقام ثمانية من أعضائها بمحاولة استفزازية للصلاة في ساحة المسجد ، فتصدى لهم شبان مسلمون ، وحدثت مشاجرة انتهت بحكم محكمة اسرائيلية بتبرئة اليهود والسماح لهم بالصلاة في المسجد الأقصى ، وصدر عن المحكمة قرار في ٢٨/٢/٧٦ يعطي الحق لليهود بالصلاة فيه . ونجم عن هذا القرار انتفاضة عارمة في الأرض المحتلة استمرت أسابيع ، وفي ١٣/٣/٨٣ نقلت بعض وكالات الأنباء أن عددا من أعضاء الكنيست الاسرائيلي وأساتذة إسرائيليين في الجامعات وأعضاء في الأحزاب الاسرائيلية وضباطا وجنودا في الجيش الاسرائيلي اشتركوا في اقتحام الحرم القدسي الشريف مع « المتطرفين » اليهود .



● المئذنة الفخرية

والواقع أن من الصعب أن نتتبع المحاولات الاستفزازية التي يقوم بها اليهود باستمرار وتدعمهم في ذلك سلطات الاحتلال .

○ تفجير المسجد الأقصى

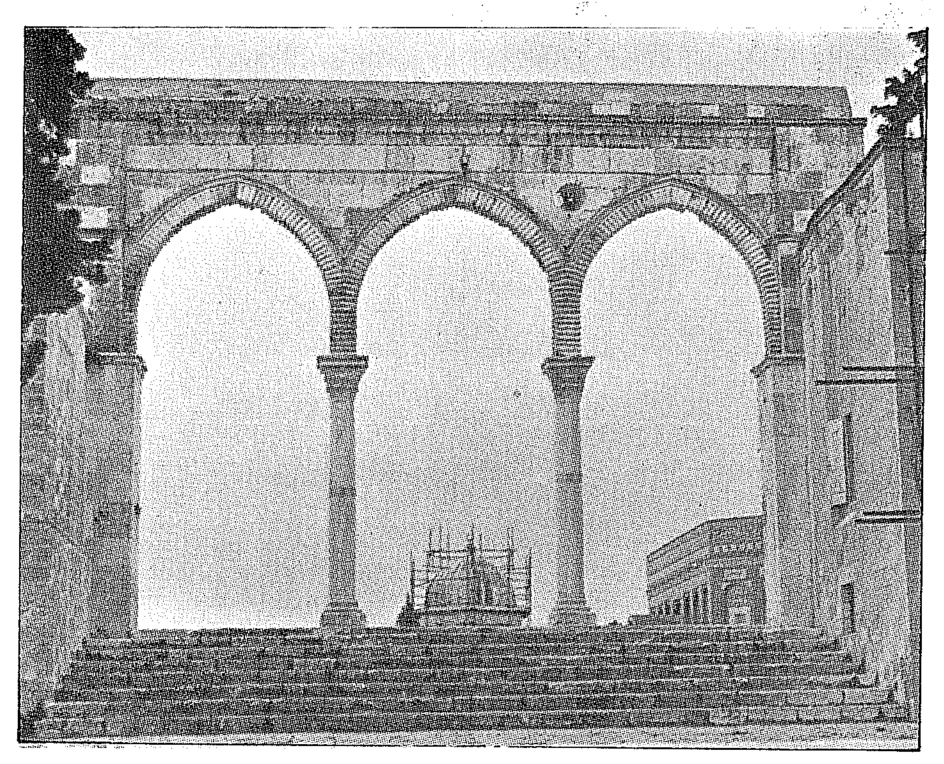
إن محاولات اليهود تفجير الأقصى التي كان آخرها في الشهر الماضي تدل على أن اليهود في نيتهم أن يقوموا بعملية اعتداء كبيرة على المسجد منتهزين الأوضاع السياسية والعسكرية المضطربة في المنطقة . ومن هنا تكتسب صرخات الانذار التي يطلقها بعض المسلمين المعنيين بالمسجد والآثار الاسلامية الأخرى .. جدية وخطرا .

وترجع محاولات اليهود هذه إلى تاريخ ١٩٧٩/٦/٢١ حين أحبط حراس الحرم القدسي محاولة يهودية ثانية لحرق المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وقد لاذ اليهودي بالفرار حين لاحظه أحد الحرس ، وعثر قرب المكان الذي فر منه على حقيبة تحتوي مواد متفجرة حارقة .

وفي ربيع عام ١٩٨٠ وقعت محاولة اعتداء بالمتفجرات ، استخدم فيها اليهود متفجرات من النوع الذي يستعمله الجيش الاسرائيلي .

وفي ٨٤/١/٢٧ قام إسرائيليان ، وصفا - كالعادة - بأنهما متطرفان ، بمحاولة جديدة للاعتداء على المسجد الأقصى ، وكانا يحملان بضع قنابل يدوية ، وست حقائب متفجرات ، وقد

● البائكة الشمالية الشرقية . انشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٧٢٦هـ



حاولا دخول الحرم في الليلة السابقة ، لتفجير المسجد ، غير أنهما لاذا بالفرار حين لاحظهما شرطة الحرم الشريف « وهم شرطة عرب يقومون بحراسته ، ويشرف عليهم قسم الشرطة الاسرائيلية » كما ذكرت الانباء .

وقد علق على ذلك مفتي القدس ورئيس الهيئة العلمية الاسلامية الشيخ سعد الدين العلمي بقوله « إن إرهاب المستوطنين الاسرائيليين الموجه للمساجد والكنائس والمدارس في الأراضي الفلسطينية المحتلة قد بدأ يأخذ أبعادا خطيرة » . واعترفت شرطة العدو الاسرائيلي نفسها بأن كمية المتفجرات الضخمة التي استخدمت تدعو إلى افتراض اشتراك العسكريين فيها بصورة مباشرة . وكانت معظم محاولات الاعتداء بالمتفجرات قد قام بها عسكريون اسرائيليون من جنود وضباط .

○ موقفان

وهكذا يمكن تلخيص موقف سلطات الاحتلال الاسرائيلي بكلمات : إنها قد خططت وسارت سيرا حثيثا في تنفيذ خططها للقضاء على الآثار الاسلامية في الأرض المحتلة ، وفي مقدمتها المسجد الأقصى

ومسجد الصخرة لاقامة الهيكل اليهودي المزعوم على انقاضه، وكدأبها دائما تنسب هذه العمليات التنفيذية لمن تدعوهم « متطرفين »، ثم تجعل من تصرفات المتطرفين واعتداءاتهم أمرا واقعا جديدا، بل تسن له قوانين كما رأينا في قرار المحكمة الاسرائيلية بحق اليهود في الصلاة في المسجد الأقصى .. وهلم جرا ...

كما يمكن تلخيص الاجراءات التي اتخذتها حكومات المسلمين في مواجهة الاعتداءات اليهودية على النحو التالي :

في ٦/١٠/٦٩ عقد أول مؤتمر قمة إسلامي في الدار البيضاء بالمغرب ردا على إحراق اليهود للمسجد الأقصى، ووضع المؤتمر « استراتيجية » تقوم على قاعدتين :

الأولى : التضامن الكامل والمطلق مع الشعب الفلسطيني في حقه في استرجاع أرضه المحتلة .

والثانية : اعتبار تحرير مدينة القدس مسؤولية إسلامية مشتركة .

وعقدت بعد هذه القمة قمم أخرى إسلامية، آخرها مؤتمر الطائف في خريف ١٩٧٨ وانبثقت عنه لجنة سميت لجنة القدس عهد إليها وضع « استراتيجية » أخرى لتحرير القدس .

وخلال فترة هذه المؤتمرات، وقبلها، وبعدها أيضا، قامت إسرائيل بسلسلة أعمالها « التنفيذية » التي قمنا بسرد بعضها في الصفحات السابقة، كما طردت ثلث سكان القدس من العرب المسلمين حوالي (٣٥٠٤) أسرة، وهودت القضاء، ولم تبق في القدس أية دائرة رسمية عربية، ومنحت ترخيصا لمنظمة جديدة تدعى مؤسسة هيكل أورشليم مهمتها إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وآخر ما أعلن عنه كما ذكرنا من قبل أن وزارة الداخلية الاسرائيلية أنشأت صندوقا خاصا « صندوق أمناء المعبد » لدعم الحركة الجديدة « حركة أمناء جبل المعبد » التي أخذت على عاتقها تغيير كل طابع إسلامي في فلسطين المحتلة، والاستيلاء على المسجد الأقصى وهدمه، وإقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاضه، بالتعاون مع عدد من القساوسة المسيحيين ورجال الأعمال المتحمسين في ولاية كليفورنيا الأميركية .

○ الحرم القدسي : قراءة تاريخية .

يطلق تعبير « الحرم القدسي » على المكان الذي يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس، ويقوم عليه مسجد الصخرة، والمسجد الأقصى، وما بينهما وحولهما من منشآت حتى الأسوار ومساحة الحرم على الاجمال ٥٠٠ × ٣٠٠ متر مربع .

○ مسجد الصخرة

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان الشروع فيه سنة ٦٦

هـ ، والفراغ منه سنة ٧٢ هـ . وقد نقش اسم عبد الملك بالخط الكوفي المذهب على قناطر التثمينة الوسطى .

وقد تعهده بعد عبد الملك معظم خلفاء المسلمين وأمرائهم ، ويعد في نظر كثير من علماء الآثار من أجمل ما خلده التاريخ .

وفي أثناء الحروب الصليبية حوله الصليبيون حين احتلوا القدس عام ٤٩٧هـ إلى كنيسة ، وبنوا على الصخرة مذبحا ، وكان قسوس النصارى في بادىء الأمر يقطعون من الصخرة قطعا يحملونها إلى بلادهم فيبيعونها بوزنها ذهبا . فلما فتح صلاح الدين القدس سنة ٥٨٣ هـ أزال عنه آثار الكنيسة ، وزين القبة من الداخل بالنقوش الجميلة ، وكسا جدران المسجد بالرخام .

وقد عني بالصخرة من بعده ملوك بني أيوب ، ويذكر أنهم كانوا يكسونها بأيديهم ويغسلونها بماء الورد ، وكذلك عني بها من بعدهم سائر أمراء المسلمين .

يقع مسجد الصخرة في وسط فناء مرتفع عن أرض الحرم ، قبته مستديرة قطرها ٢٠,٤٤ مترا وارتفاعها عن أرض المسجد ٢٠,٤٨م ، وتحت القبة تقوم الصخرة ، وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ مترا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ مترا ، وارتفاعها عن الأرض يتراوح بين متر ومترين .

تحت الصخرة مغارة ينزل إليها بإحدى عشرة درجة تسمى مغارة الأنبياء . وفي رقبة القبة ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب ، والقبة نفسها تقوم على اثنى عشر عمودا من الرخام ، وأربع أساطين مكسوة بالرخام الأبيض المعرق .

والبناء حول الصخرة مثمن الأركان ، وهو مكون من تثمينتين : الخارجية تتكون منها جدران المسجد . وطول كل ضلع منها ٢٠,٥٩ مترا ، وارتفاعه ٩,٥٠ أمتار ، وجملة ما في الجدران الثمانية ٥٦ نافذة ، أربعون منها ينفذ منها النور . والتثمينة الداخلية بين جدران المسجد والأعمدة الحاملة للقبة ، وهي مرفوعة على ثماني اسطوانات ملبسة بالرخام وستة عشر عمودا مختلفة الألوان ، وبين التثمينتين رواق للصلاة .

ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة من الخشب مكسوة بصفائح الرصاص ، وفناء المسجد واسع مربع الشكل مفروش بالبلاط الأبيض من أيام الملك المنصور قلاوون .

وحول مسجد الصخرة قباب أخرى كقبة السلسلة ، صنعها عبد الملك بن مروان ، وقبة المعراج ، ومحراب النبي بينهما وبين المسجد ، وقبة يوسف ، والقبة النحوية ، وقبة الشيخ الخليلي ، وقبة الخضر ، وقبة سليمان ، وهي من منشآت الأمويين أيضا ، وقبة الشجرة .....

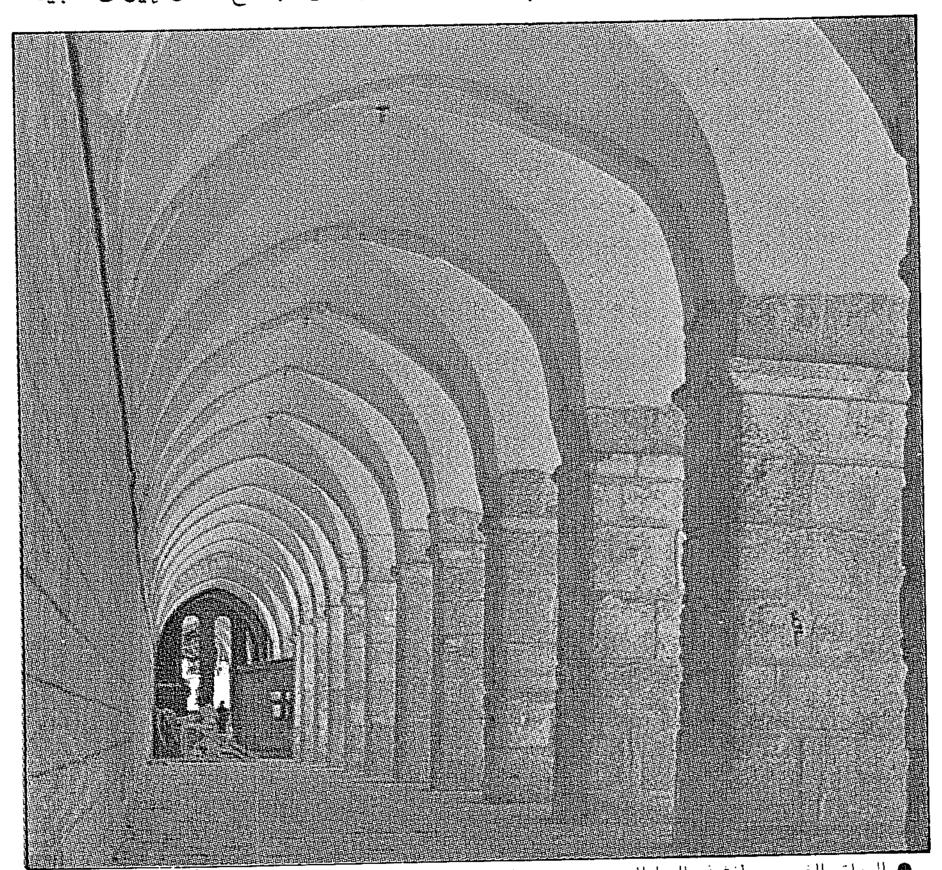
وذكر أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء إماما ليلة الاسراء كانت على الصخرة .

● المسجد الأقصى :

بعد أن أتم عبد الملك مسجد الصخرة بنى إلى الجنوب منه على بضع مئات من الأمتار المسجد الأقصى ، وذلك سنة ٧٤ هـ ونسب بعض المؤرخين بناءه إلى ابنه الوليد ، ولعل الوليد استتم في عهده ما بدأه أبوه من قبل .

طول المسجد ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ، ويقوم على ٥٣ عمودا من الرخام ، و ٤٩ سارية مربعة مبنية بالحجارة . وفي الصدر منه قبة خشبية مستورة من الخارج بصفائح الرصاص ، ومزينة من الداخل بالجص النافر المزخرف بفصوص الذهب الملونة ، وفي الصدر منه أيضا محراب كبير ، إلى يمينه منبر صلاح الدين الذي أحرقه اليهود فيما أحرقوا من المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ ، وكان المنبر من الخشب المرصع بالعاج والآبنوس .

وفي داخل المسجد عند زاويته القبلية إلى الشرق جامع مستطيل متصل به يسمى جامع عمر ، وإلى الشمال من جامع عمر إيوان كبير ،



● الرواق الغربي . انشاه السلطان محمد بن قلاوون ٧٠٧

يليه إيوان صغير .
وللمسجد أحد عشر بابا

وأمام المسجد من الشمال رواق كبير ، أنشأه الملك المعظم عيسى – من ملوك بني أيوب – وجدد بعده ، وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة تنتهي كل منها إلى باب من أبواب المسجد السبعة .

○ مآذن الحرم وأروقته ومياهه :

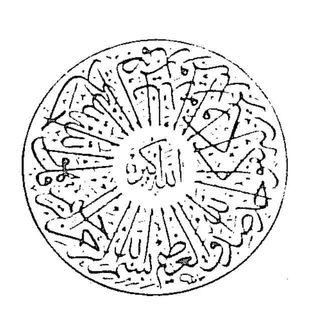
للحرم القدسي أربع مآذن : مئذنة باب المغاربة وتسمى المنارة الفخرية ، ومئذنة باب السلسلة ، ومئذنة باب الغوانمة ، ومئذنة باب الأسباط .
وفي طرف الحرم من الغرب أروقة محكمة البناء أنشئت في عهد الملك الناصر محمد قلاوون ٧٠٧ – ٧٣٨ هـ ، وفي طرفه من الشمال أيضا أروقة أنشأها ملوك آخرون بعده . وفي الحرم سبع وعشرون بئرا ، كلها كانت عامرة حتى عام ١٩٤٩ خلا اثنتين . وفيهما من الماء ما يكفي لسكان المدينة القديمة كلها ، وليس للمصلين وحدهم . وفي الحرم أيضا سبل ماء كثيرة .

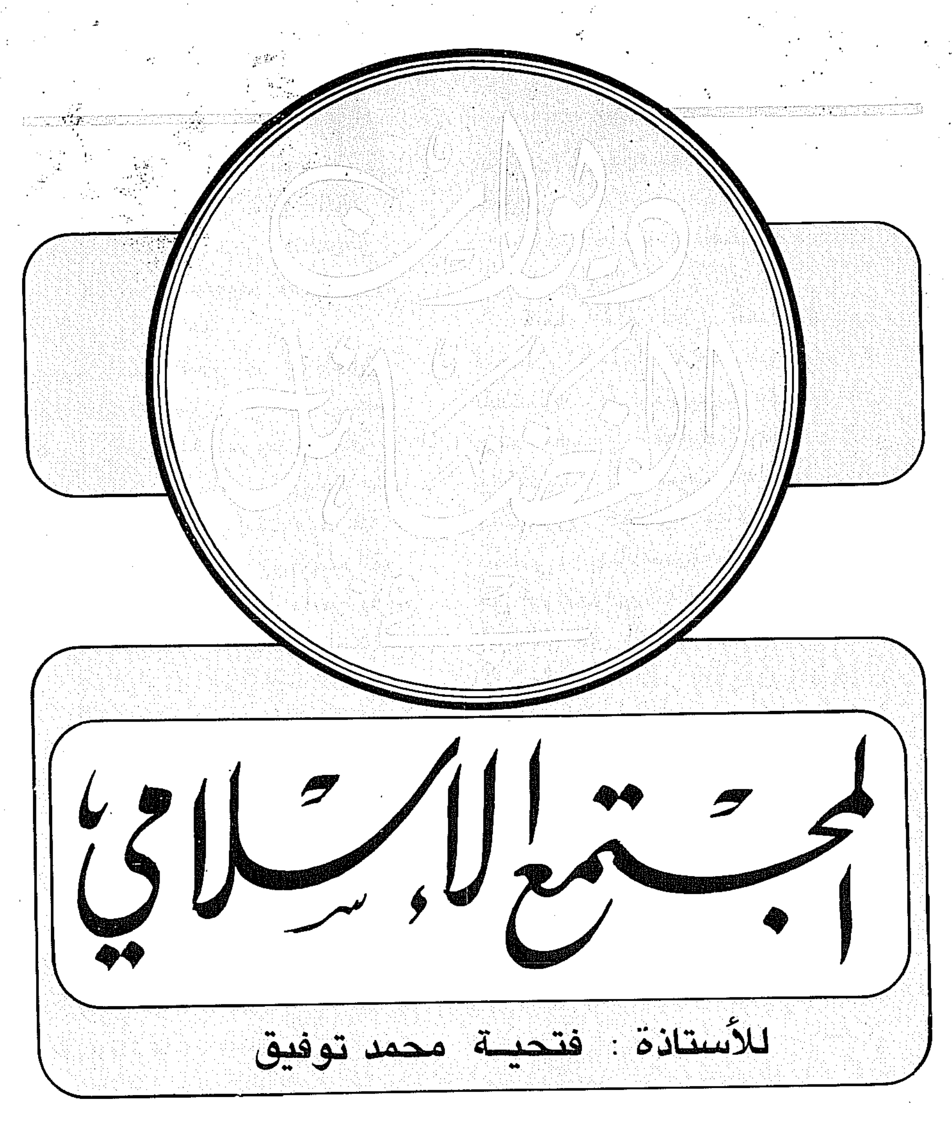
○ الحائط الغربي للحرم (حائط البراق) :

طول الحائط ١٠٠ متر وارتفاعه ٢٠ مترا . وذكر أن تسميته حائط البراق ترجع إلى أن جبريل عليه السلام ربط البراق بهذا الحائط حين ربطه ليلة الاسراء ، وذكر بعض من شاهده أن فيه تجويفا كانت فيه الحلقة التي ربط البراق بها .

وأورد ابن كثير في تفسيره حديثا رواه الترمذي عن جبير بن نفير عن شداد بن أوس وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم « .. ثم انطلق بي – أي جبريل – حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني ، فأتى قبلة المسجد ، فربط فيها دابته ، ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر ، فصليت من المسجد حيث شاء الله » .

وأورد حديثا آخر رواه الامام أحمد عن أنس بن مالك : « .. فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين .. » وفي ذلك أحاديث أخرى ..





المجتمع الإسلامي

للأستاذة : فتحية محمد توفيق

الفضيلة هيئة نفسية تصدر عنها الفضائل . وليس المراد بالفضيلة مجرد الفعل وحده . وانما المراد الهيئة النفسية التي يصدر عنها الفعل . والفضائل تصدر عن القوى النفسية في الانسان ومقياسها الاعتدال الذي هو الوسط الاخلاقي . فالقوة الناطقة اذا اعتدلت كان منها الحكمة .

وديوان الفضائل في المجتمع الاسلامي ، ليس مقصورا على تلك الألفاظ ، والمصطلحات التي نقرؤها ، ونرويها ، ونسمعها ، ولكن روى معها حقائق من الطبع والخلق والكسب . وكان أرفعها السعي لتحصيل العلوم والعمل بها ..

والمتأمل في الدراسات الاسلامية يجد أن العلماء المسلمين لم يقفوا عند حصائل الألفاظ والمصطلحات ، بل

عاشوا حياة العلم ذاتها ، وبذلوا كل الاهتمام باللباب دون القشر ، واشتغلوا بالجوهر دون العرض ، وزكوا أنفسهم بالمحمود الذي يزداد حمدا كلما زكا ونما ..

والفضيلة التي اهتم بها المسلمون ، مشتقة من الفضل ، والفضل ضد النقص ، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل ومعنى الفضل الزيادة على الحاجة او الاحسان ، ابتداء بلا علة ، وفضيلة الشيء مزيته ، او وظيفته التي قصدت منه ، او كماله الخاص به ، ويقال : فضيلة السيف : إحكام القطع . والفضيلة في علم الاخلاق هي : الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير او مطابقة الافعال الارادية للقانون الاخلاقي ، أو مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها .

فالفضيلة تعود الارادة تحقيق الخير ، واجتناب الشر في كل مايصدر عنها ، من فعل ، أو قول أو اعتقاد . ولذلك كانت ملكة مقدرة لكل فعل هو خير من جهة ذلك التقدير ، أويظن به أنه خير ، اعني المحافظة لهذا التقدير والفاعلة له .

ومن هذا يتضح لكل مفكر ، أن الفضيلة لاتتحقق بفعل الخير مرة او بصدور الخير عن الارادة وقتا دون وقت . ولكن لكي يكون الانسان متصفا بالفضيلة لابد أن يكون متعودا على فعلها ، وأن تصدر عنه الفضيلة صدورا مستمرا ، فلا يكفي في وصف الانسان بالصدق ان يصدق في موطن ويكذب في آخر . بل لابد أن يكون صادقا في المواطن كلها ، ومثل هذا يقال في كل فضيلة ، أو في الفضائل جملة .

ويرى العلماء ان الفضيلة لاتتحقق الا بالعلم والارادة والثبات

١ ـ اما العلم فلأن العمل لايكون فاضلا الا اذا كان مسبوقا بالعلم بفضيلته . ومن ثم يجب على المرء أن يعلم اصول المعارف والمعاملات والتأديبات كما يجب العلم بالرذائل والشرور الضارة بالانسان حتى يتسنى له بذلك معرفة نفسه وتطهيرها من أدرانها أي انه لابد من التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل .

٢ ـ وأما الارادة : فلا يكون الانسان فاضلا الا اذا كان مريدا مختارا لما يتصف به من الفضائل . ومن هنا فالمكره والمجنون لاتوصف اعمالهما بالفضيلة . فالارادة شرط الفضيلة بل هي أساس المسئولية والجزاء ولذلك يقول ابن مسكويه : الخيرات هي الامور التي تجعل الانسان بارادته وسعيه في الامور التي لها اوجد الانسان ومن اجلها خلق ، والشرور هي الامور التي تصرفه عن هذه الخيرات بارادته وسعيه ، أو كسله وانصرافه .

٣ ـ وأما الثبات : فبالاضافة الى العلم بالفضيلة والارادة لها ، لابد من الثبات عليها ، ودوامها ، لانها بذلك تصبح عادة وسجية وتربي في النفس الارادة القوية نحو الفضائل ، والاقبال عليها والتمكن منها ، ومن ثم فصدور الفضيلة من الانسان بغير ثبات عليها لايجعله من الفضلاء .

وبالعلم والارادة والثبات تتحقق

الفضيلة الكاملة للانسان فلا تنال منه الاحداث ، ولايفزع من نوائب الدهر ، ولايحزن على فقد محبوب ولايتحسر على فوت مطلوب ، ولايهش الا باظهار الحكمة الى اهلها .

ومن شرط الفضيلة ان تتم في الحياة الاجتماعية ، لان من ترك مخالطة الناس وتفرد بالأمر دونهم ، لاتحصل له الفضيلة .

ولامعنى للتواضع ، والصداقة ، والكرم ، والاخلاص وانكار الذات وغيرها من الفضائل ، الا بالنسبة الى رجل يعيش مع الناس ، ويشاركهم في أحوالهم ..

ولذا يقول العلماء : ان الفضائل تختلف باختلاف طبقات المجتمع فاذا كانت العفة فضيلة العمال ، والشجاعة فضيلة الجنود ، والحكمة فضيلة الحكام . فان المجتمع الفاضل هو المجتمع العادي الذي تتحقق فيه جميع الفضائل الانسانية في وزن واحد من الاتساق ..

ومن شروط الفضيلة ايضا : قدرة الفاعل على التمييز بين الفضيلة والرذيلة أو بين الخير والشر . فالذي يعمل الخير ، ولايدري أنه خير لايقال عنه انه فاضل ، ولايوصف فعله بأنه فضيلة ، ولكي يعد العمل فضيلة ، والعامل فاضلا ، لابد أن تتجه نيته وقصده الى الفضيلة .. والمرء لايوصف بفضيلة لانه فعلها مرة او عدة مرات ، بل لابد أن يتعود على فعلها وأن يستمر على التمسك بها دائما ..

ولكي يوصف المرء بفضيلة العدل لايكفي أن يكون عادلا مرة أو مرات بل لابد ان يكون عادلا على الدوام ..

والفضائل كثيرة ومتنوعة فالبر ، والعدل العام ، والشجاعة ، والمروءة والعفة ، وكبر الهمة ، والحلم ، والسخاء ، والحكمة ، والصدق ، والصبر كلها فضائل ..

وهذه الفضائل وان كانت مظاهر لحب الخير ، ومقت الشر الا انها مختلفة ، فمنها ماهي فضائل ذات فقط ، ومنها ماهي فضائل من جهة انها تفعل في أناس آخرين ..

وهذه التي تفعل في أناس آخرين ، تكون أعظم عند قوم منها عند آخرين ، وفي حال دون حال . مثال ذلك أن فضيلة الشجاعة آثر في وقت الحرب منها في وقت السلم .

وأما فضيلة العدل فمؤثرة في السلم والحرب جميعا . وفضيلة السخاء والمروءة عند المحاويج آثر منها عند غير المحاويج .

وانما تنفصل فضيلة المروءة السخاء بالاقل والاكثر ، لان فعل كليهما هو في المال . لكن المروءة هي فعل اكثر من فعل السخاء .

فأما البر فهو فضيلة عادلة يعطي الفاضل بها لكل امرىء من الناس مايستحق وذلك بقدر ماتأمر به السنة .

والجور هو الخلق الذي يأخذ به المرء الاشياء الغريبة التي ليس له أن يأخذها في السنة ..

واما الشجاعة ففضيلة يكون المرء بها فعالا للافعال الصالحة النافعة في الجهاد وعلى حسب ماتأمر به المبادىء

حتى يكون فعله ذلك خادما للتعاليم التي توجهه ..

فالفضائل الشخصية هي الفضائل التي تنظم حياة الفرد، وتجعل قواه وملكاته في حالة تعادل وتوازن. وأما الفضائل الاجتماعية فهي الفضائل التي تجعل المرء في حالة وفاق مع غيره من الناس، ومما يلاحظ ان كلا من الفضائل الشخصية والفضائل الاجتماعية، له علاقة وثيقة بالآخر، فبدون الفضائل الشخصية لايمكن تحقيق الخير للمجتمع، وبدون الفضائل الاجتماعية تلحق الأضرار والمفاسد بالافراد ..

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الفضيلة والفضائل أن نذكر أن الباحثين وصلوا الى أن مراتب الصفات في الجانب الخلقي ثلاث:

المرتبة الاولى:

مرتبة التعامل المألوف، الذي يجري عليه كافة الناس، حين لايكون هناك سبب من أسباب المجاملة والمكارمة، ولاسبب من اسباب المنازعه والمخاصمة. والشأن فيه أن يقع في المستوى الطبيعي، فلا يعلو عنه ولايهبط ..

وإن شئت بعبارة اخرى فقل: هو التعادل المحض، والتوازن الصرف فهذا يبيعك سلعة وأنت تشتريها، فلا فضل لك عليه ولافضل له عليك لانك حققت مصلحتك بالاخذ. وهو حقق مصلحته بالإعطاء. ثم مادمت قد أخذت منه حقك كاملا، وأعطيته حقه كاملا، فليس احد منكما قد أخل بمستوى التعادل والتوازن .. واذا أردنا أن نصف هذه المرتبة الخلقية في المجتمع فاننا نصفها بانها «هيكل التعامل» تشبيها لها بالهيكل الذي به يقوم البناء، وتأتي من بعده الاضافات او المكملات، وهي لاتسمى فضيلة ولارذيلة. ومع أنها هي الحد الاجتماعي الذي يقاس عليه التعامل والذي هو الشأن الغالب في أي مجتمع، فانها لاتكفي الناس ولايستقيم عليها شأنهم ..

المرتبة الثانية:

مرتبة التعامل الفاضل الذي يقوم على أساس أن يعتقد كل انسان ان واجبه يقتضيه الفضل اى الزيادة، فهو لايقيس علاقاته مع الناس بمقدار مايفيد منهم ومايفيدهم قياسا صارما لاهوادة فيه، بل يبنى دائما على ان يتفضل ويتكرم، ثم لايعتبر تفضله وتكرمه فضلا له، ولاكرامة، وانما يعتبره واجبا، وبهذا يسري في المجتمع روح السماحة واليسر والمحبة ويرتبط الناس برابطة الاحسان الذي هو فوق العدل، وينبعث فيهم لون من النشاط المثمر البناء.

المرتبة الثالثة:

مرتبة التعامل النازل، وأساسها الأنانية البغيضة، وأن يشعر الأفراد بأنهم في معترك، قوامه القوة والخديعة، والتحايل على استلاب ما يمكن استلابه من الآخرين. وأن

يؤدي الانسان أدنى الأموال أو الجهود ليحصل على أقصى ما يمكنه من المميزات وأسباب التفوق . ومن نافلة القول : أن مجتمعا تكون درجته الخلقية هي هذه الدرجة لا يمكن أن يكون مجتمعا سعيدا .

وهذه المراتب الثلاث إنما هي منازل طبيعية ، وصور واقعية عقلية معا ، لذلك لا يتبدل الحكم عليها في زمن من الأزمان ، ولا يمكن أن ينقلب أفضلها فيصبح أرذلها ، ولا أدناها ليصبح أعلاها ، والعقول تقرر ذلك في آخر الزمان ، كما تقرر في أول الزمان .

فكيف يسوغ مع هذا لقائل أن يقول : ما يصلح للأولين من الفضائل والمثل لا يصلح للآخرين ؟

وربما سمعنا هذا كثيرا من كتاب ، وأدباء ، وعلماء ، ورجال فكر وتواجهك هذه المقولة التي لا واقع لها كلما دعا الداعون في المجتمعات الاسلامية إلى الأخذ بما صلح به حال الأمة الاسلامية في أول أمرها فينبري هؤلاء المخرفون بتلك الأقاويل المضلة التي تكشف عن عمالتهم وتبعيتهم .

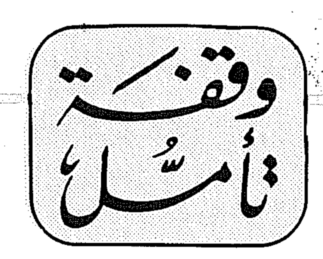
ولعل من أشد البلايا على الأخلاق ما نراه من داء التقليد الذي منشؤه ضعف النفوس ، واستهانتها بالقيم ، والفضيلة ، والدين . وهي بلايا خلقية تبتلي بها الأمم الضعيفة التي أتلف الغزو الفكري فيها روح الصلابة والمقاومة ، فهي تسرع إلى تقليد الأقوياء في رذائلهم ، دون أن تلتمس الطريق إلى معرفة فضائلهم . ولو تماسك الناس بعرى الأخلاق وعرفوا لأنفسهم قيمتها لكانوا بنجوة من هذا السقوط المزري .

ونحن نحمد الله عز وجل فقد بقي للأمة الاسلامية على الأبد ـ مع تباعد أقطارها واختلاف أحوالها ، وتفرق آمالها ـ ديوان من الفضائل السليمة ، وهذا الديوان ثابت القاعدة ، شاهق البناء ، وهو الذي لم يزل يشدها إلى طباعها من الاستعداد والتأهب .

فقد تفتحت في ظل الاسلام الأخلاق فتسامت بفضائل النفس وعائشة رضي الله عنها تنبه إلى ذلك في إجابتها حين سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان ؟

فقالت : « كان خلقه القرآن » وهذا يمدنا بعطاء خلق النفس الناطقة التي يمتاز بها القرآن لأنه حكم وتنظيم ، ورأى وحكمة ، ومنهاج وتدبير ..

وإذا لم ترسم لهذه النفس الانسانية فضائلها المميزة ، فإن الانسان يستوي عند الغضب بالنمر الجائع ، وعند الزهد بالسبع المريض ، وما أجدرنا أن نتمسك بالفضائل التي دعا إليها الاسلام ، ونتخلق بأخلاق القرآن الكريم ويكون سلوكنا مثلا يحتذى في عالم الفضائل ، حتى تتهذب النفوس وتزكو ويرتفع شأن الفرد ، والجماعة ، والأمة ، وتقوى عرى التآخي والتعاون بين بني الانسان ..



الذكرى النافعة

● جرت عادة المجلات الاسلامية أن تتحدث في شهر رجب من كل عام عن حادث الاسراء والمعراج ـ على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . كما جرت عادة المؤسسات الاسلامية عموما أن تحتفل بهذي الذكرى العطرة .

● وفي زاويتنا تلك لن نتعرض لما يقال عادة عن الاسراء ... وهل كان بالجسد والروح معا ؟ أو بالروح فقط ؟ .. فإن ذلك في نظرنا لا محل له .. خاصة بعد التطورات والعجائب التي أصبحت أمورا مألوفة في غزو الفضاء ..وإيماننا الراسخ بأن قدرة الله فوق كل قانون عرفه البشر .. لأن الله سبحانه هو خالق الناموس ،وهو القادر وحده على خرقه .. وسبحانه قال : « **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** » .

ونفهم من هذا أن الاسراء كان بالجسد والروح معا .. والا لم يكن الحادث فتنة للناس « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » .. ولما استغلها الكافرون فرصة للنيل من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولما ارتد من ارتد من ضعفاء الايمان . ولما تمثل الايمان الصادق في قولة الصديق أبي بكر : « إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في الخبر يأتيه من السماء في ساعة من ليل أو نهار » .

● ولن نتعرض لتفصيلات ذلك الحدث .. فذاك حديث شاع بين الناس ، ولكنا ندعو إلى أن نترجم احتفالاتنا الاسلامية إلى واقع محسوس في دنيا الناس ، فتكون الذكرى نافعة .

● أولا : يجب على المسلم أن يبذل كل ما يستطيع من أجل الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، وتمكين دين الله في الأرض .. ولا يأس ، فإن نصر الله للمؤمنين الصادقين العاملين وعده ، ومحال أن يتخلف وعد الله .. وقد يتأخر تحقيق الوعد بمقاييسنا الأرضية ، ولكنه لابد آت .. « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم

نصرنا فنجي من نشاء . ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ،

● ثانيا : لا يفرط المسلم في حق من حقوقه ، ولا يساوم على دينه ، ولا يقبل أنصاف الحلول . « **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون** » ولهذا فمنطق الاسلام إما نصر ، وإما شهادة .. يقول الشاعر :

ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر

● ثالثا : لابد أن نتخطى حدود القول إلى نطاق العمل لابد أن نترجم دعوتنا إلى منهج حياة ... فالدعوة إلى الاحسان ، لا جدوى لها .. إن لم تتحول إلى لقمة في فم جائع محتاج ، أو كسوة تستر عورة عريان ، أو صدقة تيسر السبل أمام من منعته الحاجة من مواصلة المسير .

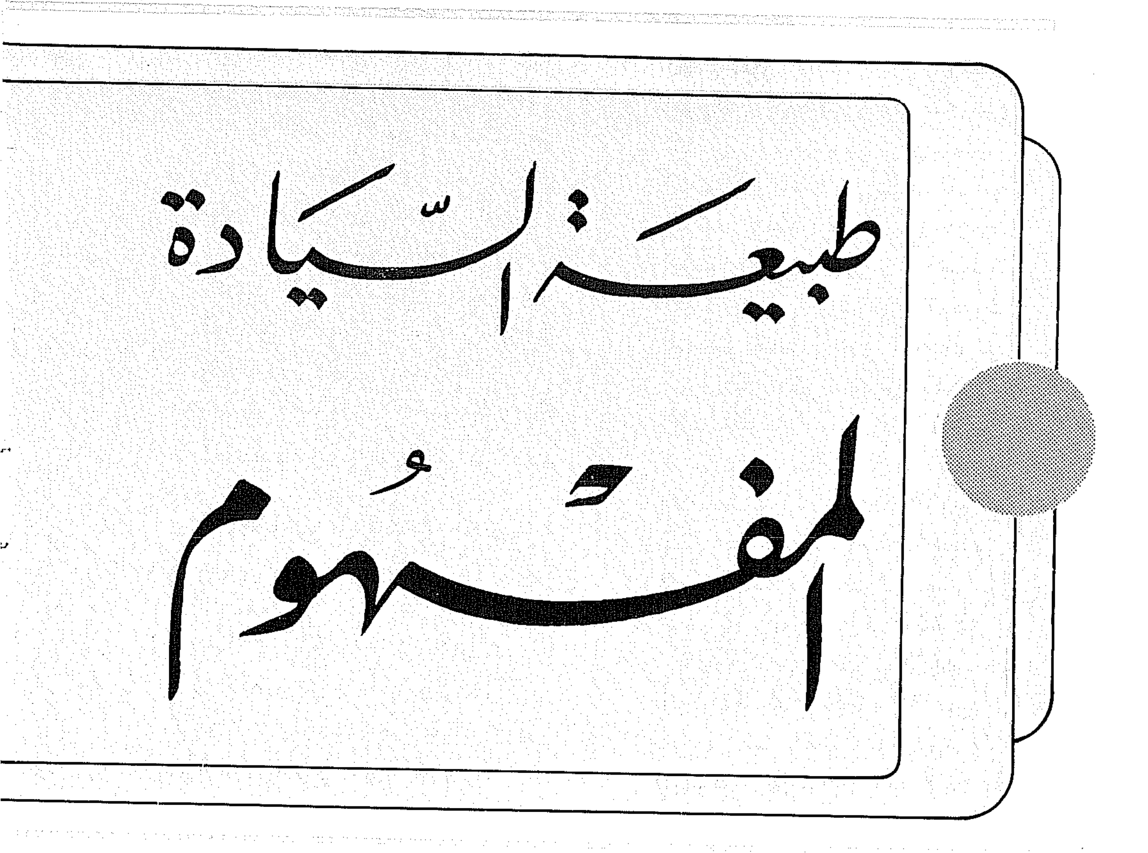
لا معنى حقيقي للصلاة إن لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، وتشيع الألفة والمحبة بين الناس . لا معنى للزكاة إن لم تطهر نفس الغني من الشح ، وتقتلع من قلب الفقير الحقد والشعور بالمرارة .

وهكذا كل شعائر الاسلام ، وحتى تكون المناسبات الاسلامية ذكرى نافعة لابد من ترجمة القول إلى عمل .

● وفي ذكرى الاسراء والمعراج .. ينبغي أن يعمل المسلمون لفك أسر الأقصى المبارك ، وتطهير ساحته من الدنس الصهيوني ، ومساندة المسلمين هناك ، وإعداد كتائب الجهاد لاسترداد ثالث الحرمين الشريفين إلى الحظيرة الاسلامية ، لابد من توحيد الصف تحت راية الجهاد في سبيل الله حتى نستعيد الأمجاد الاسلامية .. ولا سبيل لاسترداد الحقوق المغتصبة غير هذا السبيل ، لم يحدثنا التاريخ عن مغتصب أعاد الحق لأصحابه تفضلا منه أو إحسانا ، أو احتراما لضعفه ، أونتيجة مفاوضات بين عناصر غير متكافئة القوة ، لا طريق يعيد لنا الحق السليب إلا الجهاد ، ولا سبيل يعيد الشعب الطريد إلى أرضه إلا الجهاد ..

● ونحن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم - الذي إجتاز الفضاء حتى سدرة المنتهى ، وعندها رأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد إلى الأرض ليحقق العدل ، وينشر شرعة الله ، ثم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا ضال أو هالك .

● وما علينا إلا نترسم خطى نبي البشرية قدر ما نستطيع ، فنحول الذكرى من مجرد ذكرى إلى ذكرى نافعة ، ونعوذ بالله من أن نضل أو نخزى ، ونسأله التوفيق للذي يرضى .



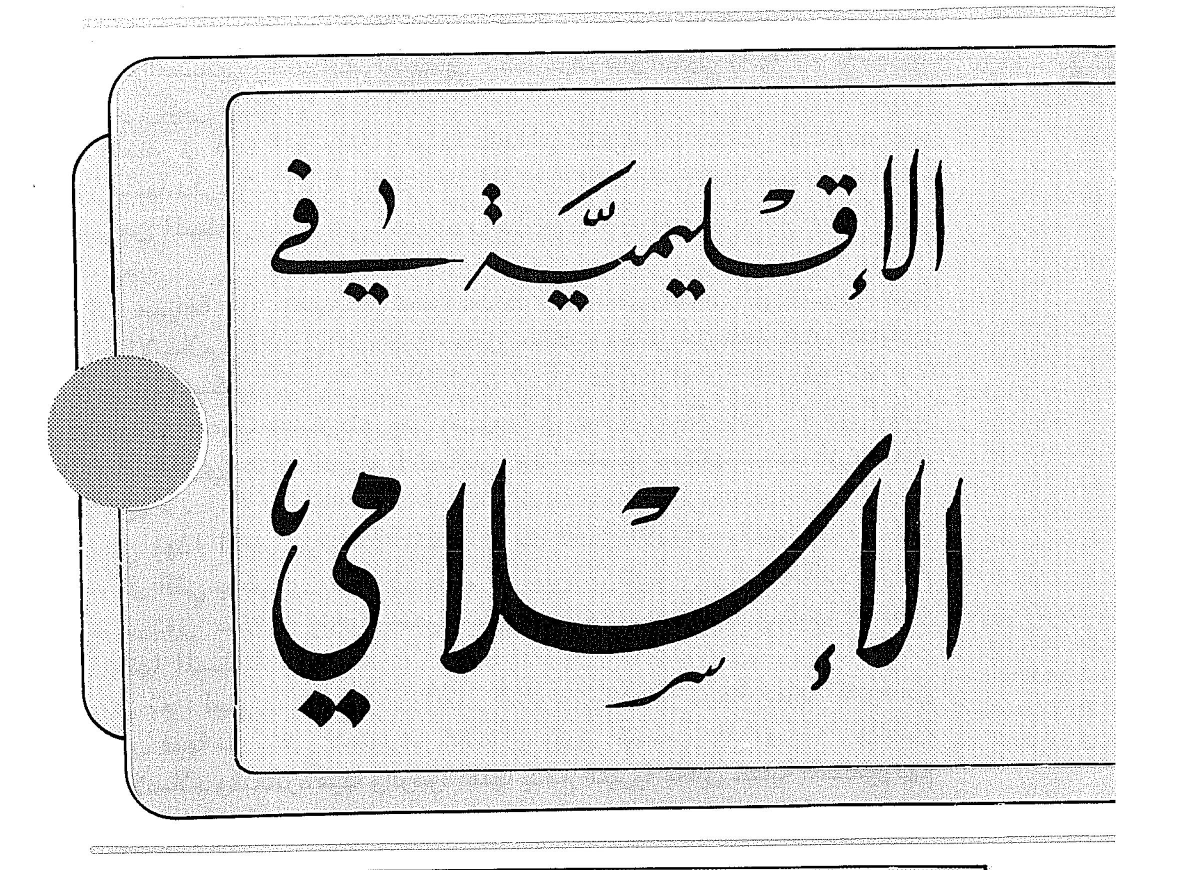
جاءت الشريعة الاسلامية لتطبق على الناس كافة في أي مكان وزمان ، ومن ثم فهي شريعة عالمية لأمكانية إلا أن تطبيق أحكام الشريعة مرتبط بسلطان المسلمين ومداه ، فكلما امتد هذا السلطان اتسع نطاق تطبيق هـذه الشريعة ، فالشريعة من الناحية النظرية شريعة عالمية ، ومن ناحية الواقع شريعة إقليمية يتحدد نطاقها بدار الاسلام .

وليس هنا أوضح في الدلالة على قيام السيادة الاقليميةللدولة الاسلامية من وجود مبدأ تقسيم المعمورة الى قسمين أو إلى دارين :

أ ـ دار الاسلام .

ب ـ دار الحرب

وهذا أحد المبادىء الاساسية للأحكام الدولية للشرع الاسلامي ، وهو مبدأ فريد في بابه تميز به الفقه الاسلامي ، وحدد به كيان الدولة الاسلامية وسريان



للأستاذ / محمد عيسى داود

أحكام الشريعة في نطاقها . فبموجب هذا التقسيم للمعمورة الى دارين حدد الفكر الاسلامي نطاق السلطة السياسية للدولة الاسلامية بدار الاسلام ، وفقهاء الاسلام على اختلاف فيما بينهم قد بنوا على أساس هذا التقسيم للمعمورة تفريعات وأحكاما مختلفة تنطق بسريان القانون وحكم قواعد النظام العام للمسلمين داخل دار الاسلام وعدم إمكان ذلك خارج نطاق الاسلام .

وقد بلغت المدرسة الحنفية في هذا المجال شأوا بعيدا : فعرف صاحب « السير الكبير » « محمد بن الحسن الشيباني » صاحب أبي حنيفة دار الاسلام بأنها « اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين ، وعلامة ذلك أن يأمن فيه المسلمون » .

وعرفها الامام « الفاهستاني » الحنفي في « جامع الرموز » بأنها : « ما يجري

فيه حكم المسلمين وحكم إمام المسلمين » كما عرف دار الحرب بأنها : « ما يجري فيه أمر رئيس الكافرين » .

وبالنظر في هذه التعريفات وغيرها نجد أن الفقهاء قد اعتمدوا في الحكم على الدار بأنها دار الاسلام أمورا مؤداها أن تكون السيادة والغلبة فيها للمسلمين ، وأن يأمن المسلمون فيها على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم وأن تسري فيها أحكام الاسلام .

ويمكن صياغة هذا المفهوم في تعبير حديث بأنه « هي البلاد التي تسري عليها أحكام الاسلام وتقام فيها شعائره ، وتبرز مظاهره ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء أكان سكانها جميعا من المسلمين أم من غيرهم أم من الفريقين معا » .

أما دار الحرب فيمكن تعريف مفهومها في عبارة حديثة بأنها : « هي البلاد التي لا تسري عليها أحكام الاسلام ، ولا يخضع سكانها لحكم أو سلطان المسلمين » .

وهي بهذا المعنى وحدة لا تتجزأ في مقابلةدار الاسلام بالنظر إلى الأحكام والمسائل التي يمكن أن يكون لاختلاف الدارين أثر فيها ، ولو أنها تتألف في واقع الأمر من دور مختلفة وبلاد متفرقة لكل منها حدودها المعينة ونظمها الخاصة وحكومتها المستقلة .

ومن ثم : ليس بالضرورة أن تعتبر الدار دار اسلام نتيجة وجود أغلبية من المسلمين فيها بل يكفي لاعتبارها كذلك أن يكون المسلمون قد قهروها ، وأعلنوا منائر الاسلام وشعائره فيها وألزموا أهلها بدفع الجزية مقابل حماية المسلمين لهم بموجب عهد الذمة ، ومما لا شك فيه أن طبيعة السيادة في هذه الحالة هي سيادة إقليمية .

غير أنه يبدو من عبارة بعض المتأخرين من فقهاء الحنفية : أنه يكفي لاعتبار البلد دار إسلام ظهور أحكام الاسلام فيه ، وقدرةالمسلمين على إقامة مظاهره وتطبيق أحكامه على أمورهم ومعاملاتهم سواء أكانت الغلبة والسيادة للكفار أم للمسلمين فقد غلب التتار على بلاد المسلمين واجتاح « هولاكو » بجيشه مدنهم وسهولهم وأخضع السكان فيها لحكم المغول ، ولكنهم أبقوا ولاة من المسلمين وقضاة منهم يحكمون بشريعة الاسلام بينهم في عقائدهم ومعاملاتهم على السواء .

وهنا حار فقهاء الاسلام : هل الدار بقيت دار إسلام ؟ أو أصبحت دار حرب ؟ وما حكم حكام المسلمين الذين أبدوا الخضوع للفاتحين ؟ هل هم مرتدون أو مسلمون ؟

وانتهى الرأي بين الفقهاء في هذا الصدد إلى أنه لا شك في أن البلاد التي غُلب أهلها المسلمون ـ كما هو الحال في شأن البلاد الاسلامية التي خضعت للاستعمار الغربي في الآونة الحديثة ـ هي دار الاسلام ، وذلك لعدم اتصالها بدار الحرب ، وعدم ظهور أحكام تتناقض وأحكام الاسلام فيها بل كان القضاة مسلمين ، ومن

قال إنه مسلم بالشهادتين حكم بإسلامه .

ولعل هذه الفتوى التي أفتى بها فقهاء ذلك العهد من غلبة التتار على بلاد الاسلام لا تختلف عما قرره أبو حنيفة من صيرورة دار الاسلام دار حرب بقيام شروط ثلاثة :

١ ـ إجراء الأحكام المغايرة لأحكام الاسلام جهارا ، وأن يحكم الحاكم غير المسلم المسلمين ، ولا يرجعون في منازعاتهم الى قضاة مسلمين .

٢ ـ الاتصال بدار الحرب بحيث لا يكون بينهما بلد من بلاد الاسلام يلحق المسلمين المدد منها

٣ ـ زوال الأمان الأول ، بمعنى ألا يأمن المسلم أو الذمي فيها إلا بأمان غير المسلمين ، ولم يبق الأمان الذي كان للمسلم بإسلامه ، وللذمي بعقد الذمة ، قبل استيلاء غير المسلمين على تلك الدار .

فإن تخلف واحد من هذه الشروط بقيت الدار دار إسلام ، وبقي الحكم فيها على ما كانت عليه أما فيما يتعلق بما فرع فقهاء المسلمين على اختلاف الدارين وسيادة كل منها على أرضها ومن عليها سيادة إقليمية ، فقد أتى الفقهاء في ذلك على تفصيل كبير ، نذكر بعضه :

١ ـ عند الحنفية : أن انتفاء العصمة بين الدارين لا يجيز عقد الوكالة بين الموكل المقيم بدار الاسلام والوكيل المقيم بدار الحرب ، وكذلك بين الموكل المقيم بدار الحرب والوكيل المقيم بدار الاسلام : لأن العصمة منتفية بين الاقليمين . ومن ثم فإن عقد الوكالة في أي من هاتين الحالتين يتناف وطبيعتها ، من حيث أن الوكيل يجب أن يعمل بموجب توجيهات الموكل وإرشاداته .

٢ ـ عند الحنفية : أنه لا يجوز شهادة مستأمن أجنبي من أهل دار الحرب مقيم إقامة مؤقتة لا تزيد عن عام في دار الاسلام ـ ضد من في دار الاسلام ، نتيجة لاختلاف دار كل منهما . فالذمي رعية من رعايا الاسلام ، أما المستأمن فهو من مواطني دار الحرب . وعلى خلاف ذلك تجوز شهادة الذمي ضد المستأمن ، لأن المستأمن أجنبي فهو في مركز أقل من مركز الذمي المقيم في دار الاسلام . وواضح أن كلا منهما يستمد مركزه القانوني في هذه الحالة من تبعيته لدار معينة .

٣ ـ عند الحنفية : على حد قول « الشيباني » ـ انانتفاء العصمة بين الدارين يعني عدم جواز التوارث بين المسلمين في دار الاسلام و المسلمين في دار الحرب وكذلك بين غير المسلمين وبعضهم في كل منهما . فليس لغيرالمسلم في دار الحرب أن يرث غير المسلم في دار الاسلام ، كما ليس للمسلم في دار الاسلام أودار الحرب أن يرث مسلما مات في الدار الأخرى . وبعبارة أخرى : أن التوارث غير جائز بين من يعيشون على أي من الاقليمين بالنسبة للاقليم الآخر .

٤ ـ عند الحنفية : أنه إذا دخل مسلم دار حرب وعقد مع حربى عقد « ربا » أو غيره من العقود الفاسدة في نظر الشرع الاسلامي فإن العقد جائز . فيحل للمسلم أن يتعامل بالربا وأن يتعاقد بالعقود الفاسدة مع الحربي في دار الحرب ،

وكذلك مع المسلم الذى أسلم هناك ولم يهاجر إلى دار الاسلام.وهذا هو ما اتجه إليه الامام أبو حنيفة ، وأيده الشيباني فيما يتعلق بالحالة الأولى ، وخالفه في الثانية .

أما « أبو يوسف » فذهب والأئمة الثلاثة الآخرون إلى أنه لا يحل للمسلم في دار الحرب إلا ما يحل له في دار الاسلام ، واحتجوا في ذلك بالعموميات الدالة على الاطلاق ، كقوله تعالي : « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » **وقوله جل شأنه** « **لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة** » .

وهكذا يبلغ المذهب الحنفي على وجه الخصوص - بنظرية السيادة الاقليمية للدولة الاسلامية شأوها البعيد سواء فيما يتعلق بمفهومها ككل بمعنى سيادة الدولة الاسلامية على دار الاسلام ، أو فيما يتعلق بالتطبيقات والأحكام التي تجري على جميع الأشخاص والأشياء فيها .

وعلى خلاف ذلك ذهب المذهب الشافعي الى أن دار الاسلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصير دار حرب ، مهما كانت الصورة التي تأخذها بعد الاستيلاء عليها من الكفار ، أي سواء كانت تقام فيها بعض أحكام الاسلام ، وتعطل إجراء البعض الآخر ، أم انقطعت فيها جميع آثاره . يصرح بذلك العلامة « ابن حجر » وحينئذ يصبح الظاهر أنه يتعذر عودة دار الاسلام دار حرب أو كفر وإن استولى عليها الكفار .

وفي الواقع أن هذه شدة تمليها العاطفة في التمسك بحكم الاسلام ، ولكن لا أثر لها في الاعتبارات العملية ، مثلها كمثل الحكم على أسبانيا اليوم بأنها دار إسلام برغم امتلاك الكفار لها وسيطرتهم عليها كلها ، ومحو كل أثر للاسلام والمسلمين كان قديما في الأندلس .

وجلية الأمر أن نظرية تقسيم المعمورة الى دارين ، وتحديد نطاق دار الحرب ودار الاسلام لا تعدو أن تكون فكرة سياسية بحتة استلزمتها طبيعة الأمور في وجوب سيادة الدولة على أراضيها وسيطرتها على من يقطنون عليها سيطرة كاملة في مواجهة أعدائها . أما ما اختلف العلماء عليه والفقهاء ، الحنفية من جانب ، والشافعية والمالكية من جانب آخر : حول اختلاف الدارين والأحكام الفقهية الواجب تطبيقها في شأنه : إن هو في حقيقة الأمر الا اختلاف في فهم مضمون السيادة : هل هي سيادة إقليمية أو شخصية ؟ وفي تحديد طبيعة القوانين والأحكام الشرعية : هل هي إقليمية تطبق داخل الاقليم على جميع القاطنين فيه ولا تتعدى حدوده إلى الخارج أو يجوز تعديتها إلى أرض دولة أخرى ؟ .

والظاهر أن المدرسة الحنفية كانت أبرز أثرا وأقوى حجة وأعم نفعا في الأخذ بالنظرية الاقليمية في السيادة وسريان التشريع ، بالنسبة إلى عصرنا الحالي من جانب ، والتطورات الدستورية والدولية الحديثة من جانب آخر .

وهذا مثال حيوي خاص بنطاق سريان التشريع العقابي الاسلامي من حيث المكان : فقد اختلف الفقهاء في تطبيق التشريع العقابي الاسلامي ، وفيما يلي إيجاز لآراء المدرسة الحنفية والفقهاء في هذا الشأن :

أولا : بالنسبة للجرائم التي ترتكب في إقليم الدولة :

(أ) الجرائم التي لها عقوبات مقدرة (وهي الحدود والقصاص) .

الأصل أن عقوبات الحدود والقصاص هي جزء من الأحكام الدينية ، ولا تختلف في إقليم عن آخر ، ومن ثم فإنه لا يفرق في تطبيقها على كل من حل بدار الاسلام سواء أكان مسلما أم غير ذلك .

إلا أنه بالنسبة لحد الشرب للخمر يرى « أبو حنيفة » أن غير المسلم ليس مطالبا ولا مخاطبا بالتكاليف الشرعية الاسلامية لأنه **لا إكراه في الدين** ، وشرب الخمر بناء على هذا من الذميين ليس جريمة تستحق العقاب وإلا كان ذلك تدخلا في حريتهم الدينية .

وقد خالف « الشافعي » هذا الرأي ، واعتبر احتساء الخمر جريمة بالنسبة للمسلم وغير المسلم تأسيسا على القاعدة المأثورة « **لهم ما لنا وعليهم ما علينا** » ، ولأن القاعدة في حدود الله تعالى أنها فرضت لحماية نظام الجماعة الاسلامية ، فهي من النظام العام الشامل ، ومن‌ثم تسري على القاطنين في دار الاسلام بغير استثناء .

ويؤيد« أبو يوسف » رأي الشافعية . فيرى أن أحكام الشريعة الاسلامية تسري على كل من يقيم‌بالاقليم المسلم ، سواء كان مسلما أم ذميا أم مستأمنا ، لأن المسلم ملزم أصلا بمراعاة أحكام الاسلام ، والذمي ملزم بمراعاتها بمقتضى عهد الذمة الذي يضمن له الأمان الدائم والمستأمن ملزم بهذه الأحكام‌بمقتضى عقد الأمان المؤقت،والذي بمقتضاه يلزمه بأحكام الاسلام مدة إقامته .

ويرى أبو حنيفة أن المستأمن ـ بالذات ـ إذا ارتكب جريمة تمس حق الله تعالى فلا تطبق عليه أحكام الشريعة ، فإن كانت جريمته مما يمس حقوق الأفراد فإنها تطبق عليه . ويعلل ذلك بأن المستأمن عندما دخل دار الاسلام‌مقيما‌لمدة محدودة التزم بعدم الاعتداء على حقوق العباد ، أما ما يكون من الحدود متعلقا بحق خالص لله فإنه من الدين والتدين ، ولم يلتزم المستأمن بالأمان الذي أخذ عليه وقت دخوله دار الاسلام أن يتبع أحكام الاسلام في العبادات .

والحقيقة أن هذا الرأي ـ بالذات ـ فيه نظر ، لأن الحدود فرضت أصلا لدرء الفساد عن المجتمع الاسلامي ودفع الضرر ، ومن دخل دار الاسلام التزم بداهة بألا يفسد أو يكون قنطرة فساد . فوق هذا: الأخذ بهذا الرأي مؤداه أن يكون المستأمن في حل من ارتكاب جرائم الحدود دون عقاب . وهو ما يتعارض مع سيادة الدولة في إقليمها ، وما تقتضيه هذه السيادة من تطبيق الدولة التشريعات العقابية التي تحفظ كيان المجتمع على القاطنين في إقليمها .

(ب) العقوبات التعزيرية :

يرى أبو حنيفة عدم تطبيق هذه العقوبات على المستأمنين إذا كانت جريمتهم

تمس حقا لله تعالى ، وتطبق عليهم إذا كان ما ارتكبوه يمس حقوق الأفراد ويرى جمهور الفقهاء : أن هذه العقوبات ليست مقدرة بنص شرعي ، وإنما يقدرها ولي الأمر في ضوء الظروف القائمة والسائدة بالاقليم ، ومن ثم وجب اعتبار فرض هذه العقوبات في إقليم دون آخر وفقا لمقتضيات الظروف فإذا فرضت هذه العقوبات في إقليم معين فإنها تطبق على القاطنين فيه سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين .

ثانيا : بالنسبة للجرائم التي ترتكب خارج إقليم الدولة :

يرى جمهور الفقهاء أن ولاية الدولة الاسلامية تمتد إلى المسلمين أينما أقاموا ، فإذا ارتكب المسلم ما يوجب الحد وعاد إلى دار الاسلام أقيم عليه الحد ونفذ فيه .

ويطبق ذلك على الذمي مادام باقيا على ذميته راضيا بالولاية الاسلامية لأنه بانتمائه للدولة الاسلامية بعقد الذمة ورضاه ببقائه يظل مشمولا بالولاية الاسلامية ولا تنخلع عنه تلك الولاية .

ويعاقب على الأفعال التي ترتكب خارج دار الاسلاممادامت تستحق العقاب طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية ولو كانت فعلا مباحا في البلاد التي وقعت فيها ، ومرد ذلك أن الاسلام أثم هذه الأفعال لما فيها من فساد ، وأنه لا يجوز للمسلم أو للمشمول بالولاية الاسلامية أن يرتكب الاثم أينما كان .

وأما المستأمن فلا يسأل في دار الاسلام عن الجرائم التي يرتكبها في غير الديار الاسلامية ، لأنه لا ولاية للدولة الاسلامية عليه في مدة إقامته في دار الحرب . وأما سريان العقاب عليه في أثناء إقامته في دار الاسلام إذا ارتكب جريمة فيها فيرجع إلى التزامه بأحكام الاسلام في تلك الفترة المؤقتة لا لأنه دخل في ولاية المسلمين .

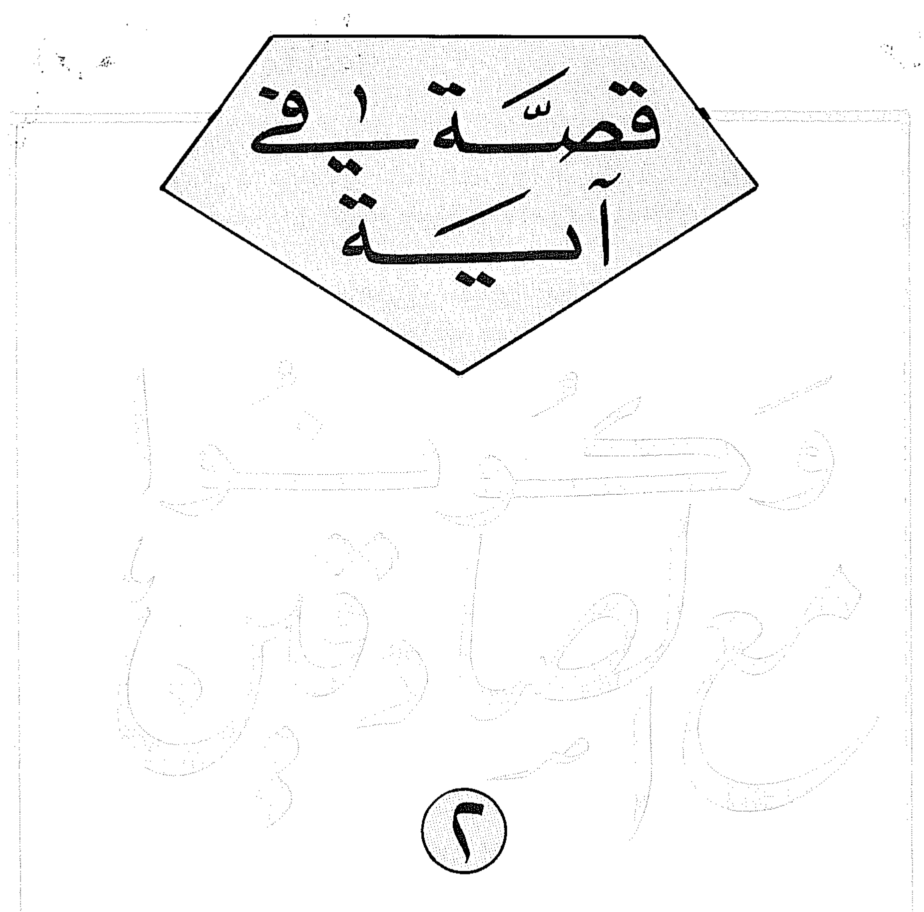
ولكن الامام « أبا حنيفة » يرى أنه لا عقوبة على مسلم أو ذمي على جريمة توجب حدا ، كما يرى أنه لاقصاص على الجرائم التي تقع في دار الحرب مع وجوب الدية .

وأساس هذا الرأي أن العبرة بثبوت الولاية العامة الفعلية القادرة على تنفيذ العقاب وقت ارتكاب الجرم ، إذ لا عبرة في هذا الشأن بالولاية الحكمية .

وتجب الديةحتى لا يهدر الدم إذا كان المقتول معصوم الدم ، ولأن الدية تثبت في مال الجاني وقد يكون له مال في دار الاسلام .

ويتفق « أبو يوسف » مع « أبي حنيفة » في أن أحكام الشريعة لا تسري على الجرائم التي ترتكب فيدار الحربولو من المقيمين في دار الاسلام للاعتبارات السالف بيانها

من كل ما سبق نتيقن عظمة الاسلام ، وشمول أحكامه ، وصلاح الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان ، كما نفهم المفاهيم الأساسيةللسيادة الاقليمية للدولة الاسلامية . ومن ثم نسأل ألم يأن للأمة الاسلامية أن تحكم بما أنزل الله وتطرح جانبا قوانين البشر الوضعية ؟



قصة نشرنا الجزء الأول منها في عدد ربيع الثاني ١٤٠٤هـ .

ودار الحديث فيه حول دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس إلى الخروج لحرب الروم التي استدعت وجمعت جموعها ، وانضم إليهم من انضم من نصارى العرب . لقتال المسلمين .

وأعلن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن وجهة سير الجيش الاسلامي ـ على غير عادته ـ لأن الرحلة شاقة ، والحر شديد ، والابتلاء عظيم .. ولن يصبر على ذلك إلا المؤمن الحق .

ومن هنا انقسم الناس إلى طوائف :

الأولى : منافقة .. فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وتواصوا بألا ينفروا في الحر ..

وهؤلاء جاءوا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد عودته بأعذار واهية ، قبلها الرسول على علاتها ، وأوكل أمرهم إلى الله سبحانه الذي يعلم سرائرهم فهو محاسبهم عليها .

الثانية : أصحاب أعذار منعتهم عن حضور غزوة « تبوك » .. وهم صادقون ، مؤمنون ، تواقون حقا للجهاد في سبيل الله ، ولكن حال

بينهم وبين ما يريدون أعذار ليس في استطاعتهم التغلب عليها ولذا فأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . وهؤلاء لهم أجر المجاهدين .
الثالثة : مؤمنون مجاهدون ، بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله « وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون »
الرابعة : خاصة بجماعة من المخلفين .. هم ثلاثة نفر : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، ـ رضي الله عنهم ـ تخلفوا من غير شك ولا نفاق ، ولكنهم استجابوا لداعي الدعة والراحة ، غلبتهم النوازع الأرضية حتى خرج الجيش المسلم ، وأصبحوا لا يرون في المدينة المنورة إلا منافقا معروفا .. أو معذرا .. فعاشوا الهم والغم والحزن ، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم .. تحيروا .. وفكر كل واحد منهم ، كيف يقابله ، وماذا يقول له ، أيختلق أعذارا واهية كالمنافقين أو يقول الحق مهما كان مرا ؟.. واختاروا الصدق .. فلما سأل الرسول كعبا : « ما خلفك ؟ » أجاب « والله ما كان لي عذر » فقال النبي : « أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضي الله في أمرك » . وهكذا كان هلال ، وهكذا كان مرارة .
ثم صدر توجيه من النبي بمقاطعة الثلاثة .. فعاشوا حصارا اجتماعيا رهيبا ، وتنكر الناس لهم ، فلا كلام ، ولا سلام ، ولبثوا على ذلك خمسين ليلة ..
وماذا بعد ؟.. ذاك ما يقصه علينا الاستاذ/عاطف شحاته زهران فيقول :ـ

ـ ٥ ـ

خمسون ليلة مرت على مقاطعة الثلاثة بسبب صدقهم . لم يندم أحدهم على صدقه هذا . فلم يكن يرضى واحد منهم أن يحشر في زمرة المنافقين . وكل ما يكون في الدنيا فأمره هين ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . فإيمانهم قوي وأعمالهم شاهدة على ذلك . وما حدث إنما هو خطأ يتحملون تبعته ما دامت دنيوية . فقد سمع كل منهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبدالله بن مسعود (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور . وإن الفجور يهدي إلى النار . ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) رواه الشيخان . فما لهم والكذب وطريق الكذابين .

مرت الساعات بطيئة يستوي النهار فيها بالليل فقعد هلال ومرارة في بيتهما يبكيان . ولأن كعبا كان ذا جلد فلم يطق الاستكانة مثلهما في بيته . وكان يخرج ليشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف في الأسواق ولا يكلمه أحد .. كان يأتي الرسول فيسلم عليه عله يرد عليه السلام فيستريح خاطره ويطمئن قلبه . فلا يرد عليه .

وبعد مرور أربعين يوما جاء أمر من النبي لكعب باعتزال امرأته . وأمر صاحباه أيضا بمثل هذا . وفي هذه المحنة المرة . وهذه الأيام الأليمة . وصلت رسالة من ملك غسان إلى كعب تقول : (أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك . ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة فألحق بنا نواسك) وكأن الله أراد أن يشتد في البلاء على هذا فبينما هو مجفو بين المسلمين إذا بصدور غيرهم مفتوحة له . واذا كانت أرض المسلمين قد ضاقت به ففي أرض غسان فسحة لمثله ومتسع . وكان لغير كعب أن يختار أو يلبي دعوة ملك غسان ولكن كعبا من المسلمين الراسخين وكان رده على الرسالة أنه اخذها وألقاها في النار فصارت رمادا . فهو يطمع في سعة رضا الله . وهو راض بما يلقاه ما دام فيه تكفير لذنبه ومغفرة لجرمه .

وبمرور الوقت كان ضيق نفسه يزيد ، ويزداد شعوره بفداحة ما أتاه .. وكان يحاول أن يقطع الحصار المنصوب حوله بمبادرة من جانبه فلم يفلح ، شعر بأنه كالسجين .. نعم السجين الحر . وما ظنك برجل تنكر له كل شيء حتى زوجته وقاطعه كل من حوله من المسلمين كيف يطيق العيش في هذا الجو الرهيب ، حتى أن نفسه التي بين جنبيه كادت تقاطعه هي الأخرى وتتنكر له .. نعم إنها حرية أقسى من السجن . وها هو ذا يتسور الدار على ابن عمه عساه يسمع منه كلمة فتسري عن نفسه وتهون ما هو فيه ولكن ابن عمه لا يرد له سلاما ولا ينطق بأي حرف فالصحابة جميعا يعرفون أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بهذه المقاطعة يريد علاج الأمر وإصلاحه .

ولا بد من طاعته صلى الله عليه وسلم . فليست هذه المقاطعة إذن عن كراهية للثلاثة . بل رجاء أن يتوب الله عليهم . حتى أن زوجة كل منهم وقد كانت تمثل عالما بأكمله يأوى إليه ويبثها ما بنفسه فيجد في ذلك راحة بعض الراحة يأتي الأمر باعتزالها وهكذا تقسو الأيام عليهم حين يفرق بين كل منهم وزوجته وتناهي الى سمع كعب أن هلال بن أمية أحد الثلاثة لا يكف عن البكاء . حتى أوشك بصره أن يذهب لكثرة بكائه . واتجهوا جميعا إلى رحاب الله يجأرون بالدعاء . ويبتهلون صباح مساء عسى أن يكشف غمتهم ويقبل توبتهم . ووجدوا في الله أنسا لا يعادله أنس . ووجدوا في الصلاة سلوانا لا يفوقه سلوان . فهي الباب الذي لم يغلق بعد !

اختار كعب مكانا أقام فيه زمن الحصار .. **وحيدا فريدا طريدا** .

ويطرد احساسه كل ساعة بضيق الأرض انها تضيق وتضيق على أضلاعه وتضغط عليها في قسوة . تغير أمامه وأمام صاحبيه لون الحياة وطبائع الناس . كانوا يشعرون بالنسيم العليل كأنه يلفح وجوههم . وبأنداء السحر تنزل على جسومهم محرقة تذيب شحومهم .

ـ ٦ ـ

عشر ليال بعد الأربعين مرت . فيها من القسوة ما فيها .
بعدها صحا المخلفون من نومهم إن كان أحدهم قد نام ـ صحوا لأداء صلاة الفجر في موعدها . بعد أن ضاقت بهم الأرض على سعتها ـ وضاقت عليهم أنفسهم . وظنوا أن لاملجأ من الله إلا اليه . ويسمع كعب بن مالك صائحا يصيح .. وتشق صيحاته سكون الليل وظلمته يقول « يا كعب بن مالك أبشر !! »

يالها من بشارة تثلج الصدر وتطمئن القلب وتهديء النفس . حدثته نفسه أن هذه البشرى فيها الفرج بعد الكرب . واليسر بعد العسر . فهم أن البشارة تعني بالنسبة له ولصاحبيه بدء حياة جديدة فالمحنة انقضت أيامها والحصار القاسي أذنت أيامه بفراق . وتوبة الله قد حان وقتها .

وحين حملت نسائم الفجر العليلة هذه البشارة إلى كعب وشقت صمت الليل الذي هم أن يودع الكون ليفسح الطريق لنهار جديد مشرق سعيد ، بعد أن مرت خمسون ليلة كلها أشد من بعضها وبمجرد أن سمع كعب ذلك الهاتف بالبشرى خر لله ساجدا شكرا له سبحانه وبعدها توالت البشارات من المسلمين جميعا للثلاثة المخلفين . وتلقاهم الناس فوجا فوجا مهنئين بالتوبة عليهم .

وهرول كعب بن مالك إلى المسجد ليتحقق نبأ البشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم وهناك ألقي السلام على الرسول في مسجده فقال له ووجهه يبرق من السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ! ـ قال له كعب ـ أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ فقال لا بل من عند الله ـ فقال : يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله ، قال رسول الله : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، فقال : يا رسول الله إنما نجاني الصدق . وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا مابقيت ! »
وأنزل الله تعالى على رسوله (**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين**

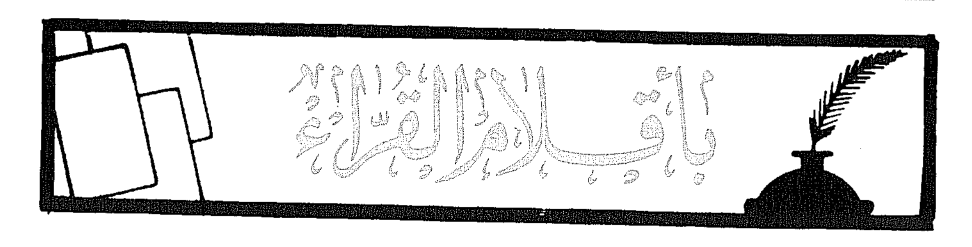
والأنصار - إلى قوله - ..... **وكونوا مع الصادقين**) رواه الشيخان .
وهنا يلقن كعب من بعده درسا في الصدق .. ففيه كل النجاة .. ولربما ازداد البلاء للصادقين ليهون عندهم شأن الكذب ، ولكن نفس المؤمن تنأى عن مزاول الخلق .وهي ترضى بما يكون مالم تغضب ربها جل وعز وهذا كعب لما رآه من ثمرة الصدق يعاهد ربه ألا يحدث كذبا قط ما دام حيا وهو يقول : « والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله ذلك أفضل مما أبلاني الله . والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا . وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للاسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله يومئذ إلا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا . فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد قال : (**سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**) التوبة ٩٥ ـ ٩٦ .

ومن ذلك اليوم لا يقرأ كعب وهلال ومرارة سورة التوبة الا واهتزت قلوبهم ولانت جلودهم . واقشعرت نفوسهم . لأن التوبة تعني التوبة عليهم . وكلما قرأ أحدهم آية التوبة مر أمامه شريط طويل وتتراء له تلك الساعات الأليمة لتي مرت به .

ويرى كل منهم اسمه مطبوعا وراء أحرف الآية النورانية .

وبقيت الآيات بعدهم لتحمل لكل مسلم تلك المعاني السامية في قصة المخلفين لتفتح أبواب العفو أمام المسيئين ، وأبواب التوبة في وجوه العصاة القانطين (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » التوبة ١١٧ ـ ١١٩

رضي الله عن كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وعن الصحابة أجمعين وجمعنا بهم مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الآخرة ونفعنا بسيرتهم في الدنيا وجعلنا من الصادقين ... آمين .



مرحلة الضياع لدى الفتيان

تحت هذا العنوان كتب الأخ/محمد أحمد القحطاني - من المملكة العربية السعودية - يقول :

يمر الطفل بمراحل متعددة ونزوات مختلفة يضيع أثناءها فلا يركز اختياره وتهتز الصور أمامه فلا يكاد يرى ما يهديه الى الطريق السوي ، ويزيد من تعقيد مرحلة الاختيار هذه ما يجده من والديه من عدم مبالاة أو أدني اهتمام لتوجيهه ونصحه .

فالطفل أو الفتى عندما ينهي مرحلة الدراسة الابتدائية ويدخل في المرحلة المتوسطة يبدأ في الانفتاح الاجتماعي ويشعر بشيء من الزهو وبأنه بلغ مبلغا كبيرا من الاعتداد بالنفس ويفكر في أن حماية وتوجيه أسرته تنتهي عند هذا الحد ، فيرى أنه رجل سوي يستطيع بمفرده حل جميع المعضلات التي تواجهه .

وموقف الآباء من هذه المرحلة إما تفريط أو إفراط . فتفريط بأن يهملوا التربية ويتركوا الحبل على الغارب .. وإفراط بأن يتعنتوا في التربية مما يخلق التعقيد النفسي والكبت الاجتماعي لدى هذا الفتى .

وتعالوا نناقش التفريط

أولا : نجد الحرص على الطفل وهو في مرحلة الدراسة الابتدائية والعطف عليه وتدليله تدليلا يفوق الحد المعقول ومراقبته في ذهابه وإيابه ، ثم إذا دخل المرحلة المتوسطة ترك له الحبل على الغارب ، واعتبروه في نظرهم قادرا على توجيه نفسه نحو الطريق السوي ، ومن هنا يبدأ هذا الفتى مرحلة الضياع ، والضياع الذي سيمتد معه أو ربما قد ينتهي بمجرد نصح والديه أو أقاربه مستقبلا لا ينطبق على كل الفتيان .

وينطلق الفتى ليشبع نزواته ورغباته بعيدا عن أنظار أهله ، ويلتف حوله القرناء ، والكل يعلم ما يتمتع به قرناء السوء من لباقة في الحديث وتملق فيه ونفاق يشعر

الفتى الغر بأنه ذلك الفارس المنتظر ، ويسقط في حبائل الصياد دون أن يشعر بسقطته ، ويبدأ من أول الطريق المنحدر فتمتد يد أحد أصدقائه إليه بسيجارة (تزيل الهم وتقوي الفكر) ثم بتشجيع للهروب من المدرسة والقفز من فوق الجدران وجلسات المفاخرة بهذا المسلك ، وما يوغرون به صدره من أنه يجب أن يوقف المدرّس والمدير عند حدودهم .

ومن سيجارة واحدة الى علبة سجائر الى علبة فاخرة وولاعة يحملها في جيبه يفاخر بها الأقران ، الى « الشيشه» ليمسك بها في فخر واعتزاز

ويبدأ في الانزلاق الى ما هو أخطر وأشد تأثيرا ، فقد يتعاطى المخدرات ويصبح مدمنا وهذا شيء طبيعي في مرحلة الضياع هذه والتي سببها الأب والأم..

ولا أقول أن الأب والأم هماالسبب في كل الحالات فقد ينحرف الفتى برغم ما يحاط به من حسن التأديب والرعاية والاصلاح وذلك من تأثير المجتمع المدرسي وهذه حالة شاذة .

ثانيا : قضية الإفراط في التربية للفتى في هذه المرحلة ، فنجد القسوة المتناهية وعدم فهم موقف الفتى وما يجب أن يكون عليه من واجبات تجاه البيت والمدرسة والمجتمع ، وما له عند الأسرة والمدرسة والمجتمع ، فتجد الأب والأم متحجرين عندما يطلب منهماابنهما شيئا ـ بالطبع ليس طلبا ماديا ـ يصران على موقفهما ويرفضان النقاش مطلقا ويفرضان عليه أحكاما جائرة (في نظرهما عادلة) يعيش الفتي في دوامة لا يهتدي الى أي طريق سوى طريق العصيان والخروج عن الطاعة ويتخذ القرار المرّ وهو التهرب من واقعه المؤلم ، فعندما تواتيه الفرصة للخروج من المنزل يأخذ في إشباع رغباته باندفاع وطيش ويتمرد على كل الأخلاقيات والقيم وعندما يعود الى المنزل تكون قد اختمرت في ذهنه فكرة العقاب الذي سيناله ثم يعاود نشاطه المتمرد متى واتته الفرصة مرة أخرى ، وهكذا نجد النتيجة لهذا الكبت والقسوة تكون بعكس ما أراد الأبوان .

النتيجة والحل :

ومن هذا نجد أن النسبة الكبري في كلا الأمرين تقع على كاهل الأبوين فمنهما كان التفريط والإفراط ، وليس هناك من حل إلا أن يقف المربون موقفا وسطا ، فيجب أن يشعروا الفتى بأنه أصبح قادرا على الاتصال بالآخرين بنفسه ، وبأنه ذلك الذكي الذي يستطيع الاعتماد على نفسه ، وكذلك يغرسوا في قرارة نفسه أنه لا زال داخل نطاق الأسرة ، وأنه لا زالت تنطبق عليه أحكامها ، كما يجب عليه طلب مشورة أهله وأخذ مواقفهم ورأيهم ، ومن هنا يغرسون فيه العزة والكرامة وكذلك التقدير والاحترام فيطيب المغرس ويطيب بعده الثمر .

الفتاوى

في الاسراء والمعراج

ورد إلى المجلة أسئلة خاصة بالاسراء والمعراج في وقت سابق ورأينا تأجيل الاجابة عنها حتى تنشر في عدد رجب شهر الاسراء والمعراج .

يسأل أحد طلاب مدرسة السالمية الثانوية للبنين بالكويت فيقول هل كان الاسراء والمعراج بالجسم والروح أم كان بالروح فقط ويقول مع أني مؤمن بأنه كان بالجسم والروح ولكني احتاج إلى توضيح الدليل لمن ينكر ذلك .

أولا : بقليل من التأمل في قول الله تعالى :(**سبحان الذي أسرى بعبده**) نجد أن فعل الاسراء مسند إلى الله تعالى بمعنى أنه هو الذي أسرى ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أسرى به وما دام الفعل فعل الله فلا يبقى للعقول أن تستبعد وقوعه أو أن تبحث فيه البحث الجاري في قوانين البشر ـ إن قدرة الله تعالى فوق تصور البشر وقد بدئت الآية الكريمة بقوله الله تعالى « **سبحان** » ومعناه أن الله منزه في ذاته وصفاته وأفعاله فلا تقاس بأفعال العباد فقدرة الله تنقله بجسمه وروحه في طرفة عين لأنه على كل شيء قدير .

ثانيا : لو كان الاسراء بالروح فقط أو مناما كما يقول البعض ما تعجب كفار قريش من ذلك ولا استبعدوا وقوعه لأن الانسان في المنام يمكن أن يرى نفسه في أمريكا مثلا وهو لم يذهب إليها من قبل ولا ينكر احد عليه ذلك لأنه منام ولكن المشركين لشدة إنكارهم طلبوا منه أن يصف لهم المسجد لعلمهم أنه لم يذهب هناك في رحلاته .

ثالثا : قول الله تعالى : (**أسرى بعبده**) دليل على أن الاسراء كان بالجسم والروح معا لأن كلمة العبد لا تطلق إلا على الروح والجسد فلا يقال للروح عبد ولا للجسد عبد وانما هذه الكلمة تشمل الأمرين معا الجسد والروح ولماذا يستبعد البعض ذلك والأحاديث الصحيحة تذكر الاسراء والمعراج بما يفيد أن ذلك وقع بالجسم والروح وإذا كان الله قد مكن للكفرة والملاحدة أن يجتازوا الفضاء ويسر لهم المشي على سطح القمر أفلا يسخر البراق ويطوى الزمان والمكان لحبيبه ومصطفاه ؟ ليطلعه على آثار قدرته ليزيد إيمانه بأن الله القوي القادر لن يتخلى عنه . **وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .**

الأستاذ محمد عطوة مدرس تربية إسلامية بأحدى مدارس مدينة أسيوط ج . م . ع . يقول قرأت أن الاسراء كان تفريجا لكرب النبي صلى الله عليه وسلم بعد عودته حزينا من الطائف وأسأل لماذا اتجه إلى الطائف ولم يتجه إلى المدينة المنورة التي هاجر إليها بعد ؟

نقول للأخ الكريم إن كتاب السير ذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم إتجه إلى الطائف لأمور :

منها : أن بها قبيلة ثقيف وهي من أكبر قبائل العرب بالاضافة إلى أن هذه القبيلة بينهم وبين أخواله رابطة نسب ومصاهرة فراوده الأمل أن ينصروه أو على الأقل لا يشتركون مع قريش في محاربته ولم يتجه إلى المدينة في الشمال لأن العرب فيها من الأوس والخزرج لم يعرفوا الاسلام بعد وكانوا مشغولين بحرب بينهم يشعلها اليهود كلما هدأت فالاتجاه إليهم لا تؤمن عواقبه .

ومنها : أن المدينة كانت منطقة مهددة من الرومان في هذا الوقت ، لأنها أقرب أرض إليهم من أرض الحجاز وما دام للرومان نفوذ هناك فسيجد منهم حربا ومقاومة .

ومنها : أن اليهود كانوا من سكان المدينة ولهم قدرة على الدس والمكر وخلق أسباب الكيد له ومعروف أنهم أصحاب كتاب يخشون عليه من الدين الجديد وكانوا يتآمرون عليه وهو بمكة فكيف لا يصدونه وهو بينهم في المدينة ؟ ومعلوم أنه لم يهاجر إليها إلا بعد بيعتين عند العقبة وبعد أن انتشر الاسلام بين أهلها فاطمأن إلى اتخاذها دار هجرته ونصرته .

استخدام غير المسلم

قارىء من الكويت يقول هل يجوز الاستعانة بغير المسلم في الأعمال الفنية وهل نقبل منهم الهدايا أم نردها ؟ وما حكم استخدام الهندية غير المسلمة في المنزل ؟

الاستعانة بغير المسلم وخاصة في الأعمال الفنية التي لا تتصل بأمور تمس الاسلام لا مانع منها شرعا ما دام لم يوجد في المسلمين من له هذه الخبرة الفنية أما إذا وجد الكفء الأمين فهو أولى من غير المسلم .

وعلى المسلمين وهم أتباع دين يأمر بالعمل وإتقانه ويحث عليه في أكثر آياته أن يكون عندهم اكتفاء ذاتي في كل مجالات الحياة .

قال العلماء ولا يلزم من كونه كافرا ألا يوثق به في شيء أصلا فقد وثق الرسول صلى الله عليه وسلم برجل مشرك هو (ابن أريقط) واتخذه دليلا في أخطر مرحلة من مراحل الهجرة ويشترط فيمن يستخدم من غير المسلمين أن يكون

أمينا حسن الظن بالمسلمين غير حاقد على الاسلام فان كان غير مأمون أو كانت نواياه سيئة بالنسبة للمسلمين فلا تجوز الاستعانة به ولا ينبغي الاطمئنان إليه مهما كانت كفاءته في العمل وإذا كان غير الأمين من المسلمين لا يوثق به فالكافر أولى بالبعد عنه ويجوز إهداء غير المسلم وقبول الهدية الحلال منه فقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا الكفار فعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لها إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من حرير . كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى إليه الملوك فقبل منهم وكانوا غير مسلمين .

فإهداؤهم وقبول هداياهم أمر جائز ما دامت الهدية غير محرمة شرعا واستخدام غير المسلمات في أعمال البيت لا مانع منه مع الحذر والحيطة فلا تترك الأولاد للخادمة غير المسلمة تؤثر فيهم وتعلمهم مبادىء عقيدتها . كل ذلك إذا لم تيسر استخدام المسلمة فإن وجدت العاملات المسلمات فلا ينبغي العدول عنهن إلى غير المسلمات وذلك حدود الاستطاعة والمصلحة العامة .

حكم الغناء

وردت أسئلة من القارىء عبد الرزاق قيراط الرملة قرقية جمهورية تونس ومن بعض الشباب في المغرب ومصر تدور حول الغناء هل هو حلال أم حرام ؟

أفاض العلماء في حكم الغناء وخاصة الامام الغزالي في كتاب الاحياء ـ كتاب السماع . ودار حكم الغناء بين الحل والحرمة وقد ذهب الكثير إلى أن الغناء من اللهو الذي تستريح إليه النفس ولا بأس به إذا خلا من فحش ولم يشتمل على تحريض على إثم وكان بعيدا عن الاثارة والاغراء .

الغناء البريء يباح في المناسبات السارة بقصد إشاعة السرور والترويح عن النفس كأيام العيد وفي مناسبة العرس وقيل يباح أيضا في العقيقة وعند ولادة مولود أو حدوث نعمة .

يباح في العرس لما جاء في البخاري أن عائشة رضي الله عنها زفت امرأة إلى رجل من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة « ما كان معهم من لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو » . وقال ابن عباس : زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أهديتم الفتاة قالوا نعم قال أرسلتم معها من

يغني ؟ قالت لا فقال عليه الصلاة والسلام إن الانصار قوم فيهم غزل إلى آخر الحديث كما يباح في أيام العيد لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى (في عيد الأضحى) تغنيان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال « دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد » متفق عليه .

ومع هذا فالغناء يكون حراما أداء وسماعا إذا اقترنت الأغنية بمحرمات كشرب مسكر أو خلاعة أو فجور أو كان موضوع الأغنية يخالف أدب الاسلام وتعاليمه كالغزل المثير والدعوة إلى معصية أو تمجيد محرم كذلك طريقة أداء الأغنية إن كان فيها تكسر وتميع ومحاولة إثارة الغرائز وتحريك الشهوة كما هو الحال في كثير من الأغنيات المعاصرة فأداؤها وسماعها واقتناء أشرطتها والتجارة فيها أمر حرمه الاسلام لما فيه من تحطيم الأخلاق ودفع أبنائنا وبناتنا إلى مصير غير كريم .

كرم الله الانسان

القارىء أحمد سنان من الرياض يقول هل الانسان أصله قرد وتطور إلى إنسان وما حكم اعتقاد ذلك ؟

لم يثبت أبدا أن الانسان أصله قرد أو أنه متطور في خلقته عن نوع آخر . هذه النظريات باطلة وعلى المسلمين أن يرفضوها ما دامت تخالف النص القرآني الذي صرح بخلق الانسان الأول في قول الله تعالى :(**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) ٢٨ ، ٢٩ / الحجر

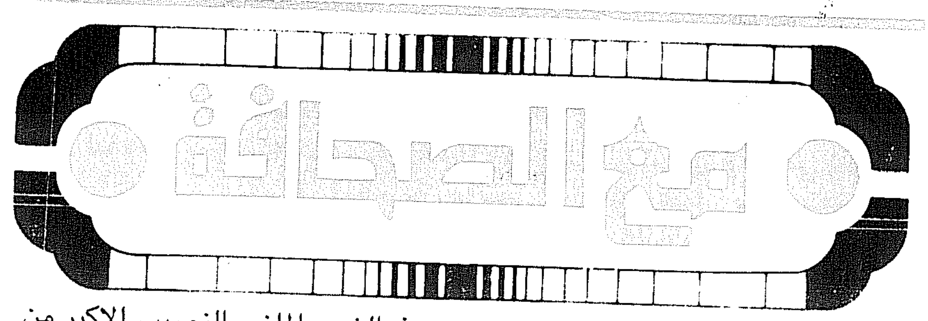
وإذا كان الانسان في الأصل قردا فكيف يسجد الملائكة لقرد ؟

لا دليل عند أصحاب هذه النظرية الخاطئة إلا أن هناك تشابها بين الانسان والقرد .

على أن القرآن الكريم نفى أن يعلم الانسان مبدأ الخلق قال تعالى : « **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم** » الآية ٥١/ الكهف .

وقال تعالى : « **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الآية ٧٠/ سورة الاسراء ومن تكريم بني آدم ألا يكون قردا في الأصل .

هذه النظريات الخاطئة نرفضها نهائيا ولا نعتقد إلا ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة .



كان لحرب الخليج التي تصاعدت بشدة في الشهر الماضي النصيب الاكبر من اهتمام الصحافة العربية والعالمية . فقد بدت مرحلتها الجديدة هذه في نظر بعض المراقبين مرحلة حاسمة بينما يعتقد مراقبون آخرون أكثر استقصاء لملابساتها أن الحسم غير وارد مادامت الدولتان العظيمتان لاتجدان مصلحة في وضع حد لها . كما بعثت حرب الخليج مخاوف لدى بعض الدول الصناعية من انقطاع تدفق النفط ، ومخاوف أخرى لدى دول المنطقة من أن تؤدي تطوراتها هذه الى تقويض الاستقرار القائم فيها . وقد ركز عدد من الصحف على الخسائر البشرية والاقتصادية الكبيرة التي يتكبدها الشعبان المسلمان في العراق وايران . واجتمع وزراء الخارجية العرب في بغداد ، ونقل عن مصادر مطلعة قولها ان دولا عربية تخطط لتحركات لاقناع الدول الصناعية بعدم التعامل مع ايران .

وتجيء في المرتبة الثانية من اهتمام الصحافة التطورات السياسية السريعة في الشرق الاوسط ، بعد أن منيت السياسة الامريكية في لبنان باخفاق ذريع ، فقدتم الغاء الاتفاق الذي ابرم بين لبنان واسرائيل في ١٧ مايو ٨٣ ، وعلى الرغم من أن معظم الصحف اعتبرت الغاءه نصرا للمعارضة اللبنانية وحلفائها ، فان بعض المخضرمين في المسألة اللبنانية يتخوفون من المستقبل مع أنهم يرحبون بالغاء الاتفاق ترحيبا كبيرا ، كما يقول ريمون اده الزعيم اللبناني المعارض ويضيف « وأرجو ألا يكون هذا الالغاء بمثابة تجسيد للاحتلال الاسرائيلي للبنان ، واستمرار التواجد السوري فيه ، كذلك انا متخوف ... أن يكون قرار الغاء الاتفاق بداية « لتبويس اللحى » ولتمرير صفقة كبيرة ضد استقلال لبنان .. »

وعلى صعيد القضية الفلسطينية عقدت سلسلة اجتماعات بين الملك حسين وياسر عرفات في الاردن ، وصدر عنها بيان وصف بأنه يمثل بداية على طريق ملء بالاشواك كما تقول مجلة شتيرن الالمانية .

وفي شرقي العالم الاسلامي نشط المجاهدون الافغان في هجماتهم ضد قوات الغزو السوفياتي ، مما اعتبرته بعض الصحف رسالة « رصاصية » الى الزعيم السوفياتي الجديد تشيرننكو . كما وجهت جبهة تحرير مورو الاسلامية نداء عاجلا من المجاهدين المسلمين الذين يخوضون معارك متواصلة ضد القوات الفيليبينية التي تشن على المسلمين في الفيلبين حملات عسكرية فتاكة وغارات جوية مدمرة .

وفي السودان نقلت وكالات الانباء في ٣ جمادى الآخرة أن النائب الاول لرئيس الجمهورية السوداني صرح بأن الحكومة الامريكية قررت اقامة جسر جوي مباشر بين الولايات المتحدة والسودان لنقل الاسلحة والمعدات والمؤن العسكرية لمساندة السودان في التصدي لما وصفته وكالة أنباء السودان بالمؤامرة التي يتعرض لها السودان .

○ عن حرب الخليج

عن اسهام الدولتين العظيمتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في « تغذية » حرب الخليج عن عمد نشرت صحيفة الديلي تلغراف مقالا في أوائل جمادي الآخرة جاء فيه :

تغذي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي عن عمد حرب الخليج بين العراق وايران عن طريق تزويد جانبي الصراع بالاسلحة في وقت واحد .

ويقول معهد البحوث السلمية الدولي في ستوكهولم ان موسكو وواشنطن تخشيان من ان يؤدي انتصار احد الجانبين الحاسم في القتال الدائر حاليا الى تعريض الاستقرار في الشرق الاوسط الى مزيد من الاخطار والى تغيير ميزان مصالح الدولتين العظيمتين في المنطقة .

وجاء في التقرير الذي سينشره المعهد في كتابه السنوي ان الاتحاد السوفياتي قام مؤخرا بتزويد العراق بعدد كبير من صواريخ اس اس ١٢ التي تمكنه من تنفيذ تهديداته بضرب جزيرة خرج التي منها تصدر ايران نفطها الى الخارج . ويقول مايكل بروزوسكا الخبير في المعهد ان الرؤوس الحربية في هذه الصواريخ سوف تنجح في تدمير الاهداف التي تعجز صواريخ اكسوسيت الفرنسية عن تدميرها .

ويقول التقرير ان الولايات المتحدة زودت العراق ايضا بستين طائرة هليوكوبتر وبطائرات استكشاف نفاثة وبسلسلة واسعة من الاسلحة الصغيرة . ولكن المفاجأة المثيرة للدهشة في تقرير معهد الابحاث السلمية الدولي هي ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كليهما يقومان ايضا بتزويد ايران بالاسلحة وبقطع الغيار حتى تظل قادرة على الاستمرار في الحرب . وقد قال بروزوسكا ان حاجة ايران هي لقطع الغيار اكثر وان الدولتين العظيمتين تزودان ايران بها .

واضاف : ان ايا من الولايات المتحدة او الاتحاد السوفياتي لم يبذل اي جهد لوقف تدفق الاسلحة على الجانبين وان هناك اكثر من اربعين بلدا تقوم بارسال اسلحة الى الجانبين بالاضافة الى الدول المنتجة الاصلية .

وقد استقى المعهد معلوماته من بحوث دولية مكثفة في مصادر السلاح الذي تستعمله الدولتان في حربهما وتشير هذه المعلومات الى ان الدولتين العظيمتين غير مهتمتين بوقف الحرب .

وحول مخاوف الدول الصناعية من وقف تدفق النفط تقول الصحيفة :

وبالنسبة لمضيق هرمز واحتمالات اغلاقه يختلف الاستراتيجيون الغربيون حول اهمية هذا المضيق في الوقت الحاضر . واولئك الاستراتيجيون الذين ينظرون الى الماضي يقولون ان دواعي القلق حيال اغلاق هذا المضيق قد تقلصت . ويجادلون بان الاوضاع التي حملت وزير الدفاع الاميركي الاسبق جيمس شليزنجر الى وصف الخليج وهرمز

بانهما شريان حياة العالم لم يعد قائما .

ففي اواخر السبعينات عندما قال شليزنجر ذلك كان هناك نقص حاد في النفط واعتقاد سائد بان الاتحاد السوفياتي سوف يتحرك من افغانستان باتجاه بعض اقاليم ايران المضطربة وانه بمساعدة حزب تودة الشيوعي في ايران سيسيطر على موارد النفط الايراني ويهدد جيران ايران المباشرين .

ولكن موسكو بدلا من ذلك اصبحت مقيدة في افغانستان وزعماء حزب تودة اعدموا مؤخرا في ايران وهناك الآن وفرة عالمية في النفط . الا ان المخططين الذين ينظرون الى المستقبل بدل الماضي يشعرون بالقلق لاسباب اخرى .

فهم يوافقون على ان هناك وفرة في النفط في الوقت الحاضر وان اهداف الاتحاد السوفياتي او نفوذه في ايران لم يعد قائما .

ولكن مايثير قلقهم هو ازدياد الطلب على النفط مع انتعاش الدول الصناعية الغربية الاقتصادي في الوقت الحاضر بعد الركود في عام ١٩٨٣ وما قبله . ومع ان معدلات النمو في الدول الصناعية او الدول النامية لا يمكن تقديرها بدقة فان تقديرات ٣٥٠ شركة اقتصادية في اميركا الشمالية وأوربا الغربية واليابان تشير الى زيادة حادة في النمو خلال عام ١٩٨٤ بالمقارنة بالعام الماضي .

وتقول دراسة اخرى وضعت في شهر يناير الماضي من قبل مجلس ادارة اوروبى ان دولا مثل السويد وفنلندة والنمسا والنرويج قد زادت بدرجة كبيرة من حدة تنافسها الصناعي . وهذه مقدمة طبيعية لزيادة الصادرات والنمو الصناعي . وجاء في الدراسة ايضا ان زيادات كبيرة في الطلب على النفط من قبل الدول التي تشتري النفط من دول الخليج في الوقت الحاضر ستبدأ في الظهور قريبا . ولان هذا النفط يمر من مضيق هرمز كان القلق كبيرا حيال احتمال اغلاقه .

وعن الخسائر الجسيمة التي يتكبدها الشعبان المسلمان نشرت صحيفة الريفوليسيون الفرنسية مقالا في اوائل جمادى الآخرة جاء فيه :

في شباط ١٩٨٤ استؤنفت الهجمات الايرانية التي بدأتها ايران في السنة الماضية . ومن الآن بات واضحا ان حرب الخليج تدخل في مرحلتها الاكثر دموية وخطرا بعد ٤١ شهرا من القتال وما يشير الى خطورة الهجمات الجديدة اصرار ايران على احتلال طريق البصرة - بغداد التي يمر عبرها ٦٠ بالمائة من امدادات العراق . كذلك ظهور الطيران من الجانبين بصورة مكثفة ولاول مرة لقصف المنشآت المدنية ودخول المواجهة الى حقول النفط بعد ان بدأ العراقيون بقصف جزيرة « خرج » الايرانية مما يهدد بتدويل الصراع .

هكذا عاد الى الواجهة صراع نفسي هو الاكثر كلفة في تاريخ الشرق الاوسط . فعلى الصعيد البشري يشهد هذا الصراع مذبحة فعلية اجهزت على حوالي ٢٠٠ الف انسان حتى الآن بينهم الكثيرون من الفتيان الذين يجندهم الجيش الايراني باساليب متنوعة . ولا توفر مجزرة الخليج المدنيين بعد ان باتت الهجمات العسكرية تستهدف تجمعات المدنيين . ومن الناحية الاقتصادية يكفي ذكر ما قاله رئيس البرلمان الايراني رفسنجاني : ان الحرب تلتهم ثلث موازنة الدولة أي مايوازي ٣٠٠ مليون فرنك فرنسي « حوالي ١٠ ملايين دولار » يوميا . ومن الناحية النفطية يكفي التذكير بان احتياطي الخليج من البترول يوازي نصف احتياطي العالم باسره . وهذا الاحتياطي ينفد من اجل الحروب التي تهدد بدمار بيئي اذا استمر قصف حقول النفط كما حدث لدى تدمير حقول ايرانية في البحر ادت الى نشر بقع زيت هائلة في الخليج اتت على الحياة البحرية وهددت منشآت التكرير المائي والمصانع التي تحتاج الماء لسير عملها .

ان الحرب العراقية ـ الايرانية تقود اولا وقبل كل شيء الى اضعاف العراق وايران معا وتهشيم الحركة الثورية فيها ولذلك عمدت القوى الامبريالية الى تأجيج نار هذه الحرب مادامت لا تهدد مصالحها ومادامت الدول الغربية تتوزع فيما بينها مبيعات السلاح للطرفين بمليارات الدولارات وعبر الكثير من الوسطاء « ومنهم اسرائيل » بسبب احتمال ضرب العراق للنفط الايراني واغلاق مضيق هرمز من جهة واحتمال دخول دول عربية الى جانب العراق لان العالم العربي ـ عدا سوريا وليبيا ـ لا يرضى بهزيمة عراقية ويدعمه الغرب في ذلك . اما الاتحاد السوفياتي الذي كان محايدا في البداية فقد نقل دعمه الى جانب العراق الذي اصبح بلدا معتدى عليه منذ هجمات « الفجر » الايرانية . ان الحرب الخليجية لايمكن ان تطول الى مالانهاية وعلى الجميع تغليب صوت العقل في المسألة .

○ عن المحادثات الأردنية الفلسطينية

نشرت مجلة شيترن الألمانية مقالا في الاسبوع الاول من جمادى الآخرة عن المحادثات الأردنية الفلسطينية ، جاء فيه :

بعد سلسلة من الاجتماعات الأردنية الفلسطينية ، اقتصر بعضها على ملك الأردن الملك حسين وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، صدر بيان مشترك لخص القضايا الاساسية التي تم الاتفاق عليها بين الاردن والفلسطينيين ، لكنه قال ان جولات عديدة أخرى من المحادثات ستعقد لمناقشة القضايا التي مازالت بحاجة لبحث أعمق وأكثر هدوءا وصبرا ، وان زيارة عرفات لعمان لن تكون الأخيرة هذه المرة .

البيان المشترك لم يتحدث كما كان متوقعا عن مبادرة أردنية فلسطينية جديدة بل تضمن تأكيدا من الجانبين على ضرورة العمل على كافة الأصعدة الدولية والعربية لتنفيذ قرارات مؤتمر قمة فاس العربي وضرورة قيام تحرك أردني فلسطيني على الساحة الدولية بشكل عام والساحة الاوروبية بشكل خاص من أجل اسهام جميع الدول والقوى المؤثرة بدور في المساعي الرامية الى العثور على حل عادل لقضية الشرق الاوسط .

الملفت للنظر أن هذا البند المهم من بنود البيان المشترك الذي يتعلق بالعمل على الساحة الدولية ، تجاهل تماما الاشارة لمشروع ريغن الذي كان محل اجتهادات متباينة بين الطرفين الأردني والفلسطيني أثناء حوار ابريل الماضي الذي توقف بسبب ذلك الخلاف بالذات وبسبب عدم موافقة بعض المنظمات الفلسطينية المتطرفة على منح الملك حسين التفويض وحرية التصرف نيابة عن الفلسطينيين خلال محادثات كان من المتوقع ان يجريها مع ادارة الرئيس ريغن ، كما تجاهل البند نفسه الاشارة الى القرارات الدولية وخاصة قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الذي يعترف به الأردن وترفضه منظمة التحرير لانه يتعامل مع الفلسطينيين باعتبارهم لاجئين وليس اصحاب قضية وحق .

وحول مستقبل العلاقات الأردنية الفلسطينية أكد بند آخر في البيان المشترك على ضرورة استئناف الحوار بين الجانبين لبلورة موقف بينهما على قاعدة راسخة ومتوازنة تمكنهما من الانطلاق للتحرك يدا واحدة .

خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة فتح الفدائية ، أبلغ مراسل مجلة شتيرن في باريس تعليقا على هذا البند ، أن الأردن ومنظمة التحرير توصلا الى اتفاق أساسي بشأن تشكيل اتحاد كونفدرالي بين الأردن والدولة الفلسطينية التي سيتم تشكيلها في المستقبل ، وهذا الاتحاد سبق أن أقره المجلس الوطني الفلسطيني في المنفى (البرلمان) في دورته

الأخيرة في الجزائر في شهر فبراير عام ١٩٨٣ ، باعتباره صيغة مناسبة لتنظيم العلاقة بين الشعبين الأردني والفلسطيني اللذين يرتبطان معا بروابط تاريخية وعملية مشتركة وواسعة .

وحول الوضع في الاراضي المحتلة الذي شكل جزءا اساسيا من هموم المباحثات الأردنية الفلسطينية على امتداد كل جلساتها الطويلة والمكثفة ، اتفق الجانبان على عدد من الترتيبات والاجراءات لتخفيف معاناة الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي الخارج . ومن هذه الترتيبات الاتفاقية على أن تستأنف اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة لدعم الصمود اجتماعاتها فورا وتكليف وفد مشترك خاص للقيام بجولة في الدول العربية لبحث موضوع الالتزامات العربية المتعلقة بالمساعدات المالية للفلسطينيين في الداخل وذلك عبر صندوق دعم الصمود في الاراضي المحتلة الذي شكل بقرار من قمة بغداد العربية عام ١٩٧٨ ليكون الاطار الوحيد الذي يجري عبره تقديم مساعدات عربية حددت قرارات القمة مجموعها وحصة كل دولة عربية منها وذلك من أجل قيام تنسيق أردني ـ فلسطيني مشترك لصرف هذه الاموال بطرق مناسبة .

الانطباع الذي خرج به معظم المراقبين السياسيين عن البيان الأردني ـ الفلسطيني المشترك ، هو أنه يمثل بداية فقط على طريق طويل مليء بالاشواك نتيجة التناقضات القائمة حاليا بين الاسرة العربية الواحدة ونتيجة لتباين مواقف كل دولة عن الأخرى بشأن أكثر القضايا تعقيدا في المنطقة . لكنهم اشاروا الى أن المحادثات الأردنية الفلسطينية نجحت في تجنب الخوض في كل المسائل التي مازال الطرفان يختلفان في تقييمها .

○ عن المجاهدين الأفغان

نشرت مجلة الوطن العربي في عددها ٣٦٩ مقالا عن الجهاد في افغانستان بعنوان « رسالة بالرصاص الى تشيرننكو » جاء فيه :

يوما بعد يوم وسنة بعد سنة يتأكد السوفيات انهم يعيشون في افغانستان وضعا لا يحسدون عليه . على الرغم من الهجومات الواسعة والوحشية التي يشنها نحو مائة ألف جندي على الثوار الافغان منذ خمس سنوات فانهم لم يتمكنوا بعد من توجيه الضربة التي يريدونها للمجاهدين او على الاقل حماية انفسهم من ضرباتهم .

في الآونة الأخيرة كثف الثوار عملياتهم في شكل أربك القوات الحكومية الافغانية والسوفياتية وأثار قلق زعماء الكرملين عن تطور الوضع في البلاد . وللمرة الثانية خلال اسبوع واحد كانت سفارة الاتحاد السوفياتي في كابول هدفا لهجوم عنيف قام به المجاهدون ليل ٢١ ـ ٢٢ شباط « فبراير » مستخدمين مدافع الهاون والقذائف الصاروخية من المواقع التي يحتلونها في التلال المحيطة جنوب غرب كابول . وقد أتت هذه العملية الجريئة في اطار سلسلة عمليات نظمها الثوار داخل العاصمة الافغانية ، احتفالا بالذكرى الرابعة للانتفاضة التي قام بها الطلاب الافغان ضد الغزاة السوفيات في شهر شباط (فبراير) ١٩٨٠ . يوم ملأ الطلاب الشوارع وصعد الأهالي الى السطوح بالمئات يرفعون نداء « الله أكبر » . ويومها أيضا كان رد السوفيات عنيفا أوقع أكثر من ٢٠٠ قتيل في صفوف المتظاهرين .

والجدير بالذكر ان العمليات الاخيرة شملت هجوما مدفعيا على القيادة العامة للقوات

السوفياتية في كابول ، ذهب ضحيتها حسب تصريحات الثوار ٢٢ جنديا سوفياتيا ، وأدت الى تدمير أربعة مراكز للشرطة وبالاضافة الى ذلك ، عمد الثوار الى زرع عدد من الالغام في مبان رسمية من العاصمة انفجر منها على الاقل ثلاثة ، قبل أن تعطل القوات الحكومية البقية . وقد دمر احد هذه الانفجارات قسما من مكتب رئيس الوزراء ومركز جهاز الاستخبارات الافغانية .

والمعلوم ان القوات السوفياتية كانت قد حرصت على اتخاذ اجراءات أمنية مشددة جدا لمناسبة ذكرى تظاهرات شباط (فبراير) ١٩٨٠ . لم يسبق ان شهدت مثلها كابول منذ ثلاث سنوات ، وقد شملت هذه الاجراءات اعتقالات بالجملة لعدد من الطلاب والاساتذة وتسيير دوريات مؤللة ومكثفة في شوارع العاصمة .

وتأتي عملية الغارة بعد اسبوع من الهجوم الاول في ١٤ ـ ١٥ شباط (فبراير) تأكيدا على اعتناق الثوار الافغان سياسة الهجوم الوقائي لتخفيف هجمات السوفيات على مواقعهم . وعلى الرغم من ان هجومات المجاهدين على كابول لم تعد في حجمها السابق نظرا لازدياد احتياطات السوفيات منها ، فانه يبدو ان الثوار يصرون على الأقل على ابقاء الجو متوترا في العاصمة وكذلك ابقاء السوفيات في حال حذر وذعر وتأهب وارغامهم على الأقل على الاحتفاظ بأكبر عدد من قواتهم في كابول ، بدل ارسالهم لمطاردة الثوار في المناطق الأخرى . ذلك ان الغارات الجوية التي قام بها السوفيات في الأشهر الثلاثة الأخيرة على مواقع الثوار في وادي بانشير وشومالي ، دمرت عددا كبيرا من القرى وأدت الى مئات القتلى خصوصا بين المزارعين .

ولعل السبب الأهم في عمليات المجاهدين الأخيرة هو اعادة اثارة مشكلة افغانستان أمام زعيم الكرملين الجديد تشيرننكو او على الأقل تذكيره بها . وكذلك تذكير العالم الغربي الذي يسعى الى التفاوض مع السوفيات انه مايزال هناك نحو مائة ألف جندي سوفياتي يحتلون افغانستان على الرغم من توافد ثلاثة زعماء على الكرملين .

○ عن المجاهدين في الفيلبين

وجهت جبهة تحرير مورو الاسلامية نداء عاجلا من المجاهدين المسلمين يحمل عنوان « البيان رقم ٣/٤٠٤ » جاء فيه :

« ان أعداء الاسلام يواصلون حاليا تنفيذ مؤامراتهم الخبيثة التي تهدف الى استئصال الاسلام وابادة المسلمين ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) . وحتى اليوم لايزال المسلمون يتعرضون لحملات التصفية من قبل حكومة الفلبين الصليبية الكافرة حرصا منها على تطهير البلاد من جذور العناصر الاسلامية لتصبح الفلبين دولة نصرانية بحتة تستطيع أن تفرض على شعبها الايمان بعقيدة التثليث الباطلة . ولذلك فإن قوات الفلبين المسلحة تقوم باستمرار بشن عمليات عسكرية فتاكة وغارات جوية مدمرة على المسلمين الأبرياء بغية الوصول الى هذا الهدف العدواني .

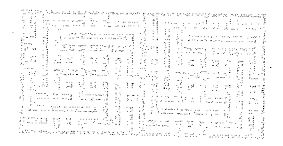
وفي الاسبوع الثاني من ربيع ثاني ١٤٠٤ بدأت حكومة الفلبين حملاتها العسكرية الجديدة المستمرة حتى كتابة هذا التقرير وتشمل عددا كبيرا من المناطق الاسلامية في (ميندناو ـ صولو بلاوان) . وتستخدم قوات ماركوس في هذه الحملات الجديدة الدبابات والطائرات ومدافع الهاون والمدافع الثقيلة من نوع ٨١ايم و ١٠٥ و ١٠٦ ايم ايم .

وفي هذه الحملات الوحشية كسابقاتها يمارس الجيش الصليبي الغاشم التقتيل الجماعي والفردي والتمثيل بالقتلى من المسلمين وهتك أعراض النساء المسلمات وخطف الفتيات المسلمات ليتزوجهن الجنود الصليبيون الكفار بأمر من الحكومة مما أدى الى انتحار معظمهن صيانة لكرامتهن . كما يفرط هذا الجيش في نهب واغتصاب أموال المسلمين وممتلكاتهم وتدمير وسائل المعيشة واحراق المزارع والبيوت والمساجد والمدارس الاسلامية العربية وقتل المواشي . ويقوم كذلك بتعذيب المسلمين الأبرياء بما فيهم الاطفال والشيوخ . هذا بالاضافة الى اهتمامه باحراق المصاحف الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والكتب الاسلامية الأخرى .

وايمانا بوجوب الجهاد في سبيل الدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ورغبة في الشهادة في سبيل رفع راية « لا آله الا الله محمد رسول الله » ، فان أبناءنا المجاهدين يتصدون لهذا العدوان الصليبي المستمر على قلة العدة والعتاد ويلحقون بقوات العدو الصليبي الذي يدعمه الاستعمار الامريكي والعدو الصهيوني الاسرائيلي خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات بعون من الله ونصر منه (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) . ففي معركة وقعت في بلدة (ببونج) قتل أوجرح عدد كبير من جنود العدو ومن بين القتلى ضابطان برتبتي رائد وملازم . وفي معركة أخرى ببلدة (بيغافو) قتل عدد كبير من جيش ماركوس واستولى المجاهدون على كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر ، ونال خمسة من أبنائنا المجاهدين الشهادة (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

وأثناء كتابة هذا التقرير العاجل تدور معارك عنيفة بين أبنائنا المجاهدين وقوات العدو الصليبي لليوم الرابع على التوالي في بعض مناطق (ماجينداناو) .
ولهذا فاننا ننادي اخواننا في الله في كل مكان الى المساهمة والمشاركة في هذا الجهاد المقدس في سبيل الله كما يفرضه عليهم كتاب الله قبل أن يأتي يوم لا ينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وذلك لمواجهة القوى الصليبية الطاغية تحت راية « لا آله الا الله محمد رسول الله » والرسول القائد صلى الله عليه وسلم يقول ـ مامعناه :) من مات ولم يغز لم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق) ، ويقول أيضا ـ ما معناه : (من جهز غازيا فقد غزا ..)

وننادي كذلك الحكومات الاسلامية والامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي الى تحمل مسئولياتها أمام الله ذي العزة والجبروت تجاه المسلمين المستضعفين في جنوب الفلبين وغيرها من البلاد كالهند وتايلاند وبورما وقبرص اليونانية والحبشة وأفغانستان ولبنان وفلسطين وغيرها . ونطالب الأمانة العامة للمنظمة تنفيذ مقررات المؤتمرات الاسلامية تجاه المسلمين في الفلبين فورا قبل فوات الأوان .





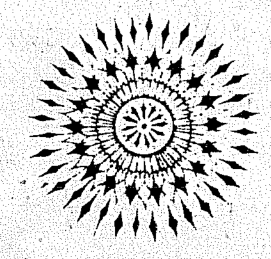
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع ـ5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	:	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص .ب (٣٧٥)
السعودية	:	جدة : مكتبة مكة ـ ص . ب (٤٧٧) الخبر : مكتبة مكة ـ ص . ب (٦٠) الرياض : مكتبة مكة ص . ب (٤٥٢) المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	:	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص . ب : (٣٣٧٦)
صنعاء	:	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص .ب :١١٠٧
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص . ب ٦٣٣
أبو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص .ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .





مطابع دار السياسة ـ الكويت